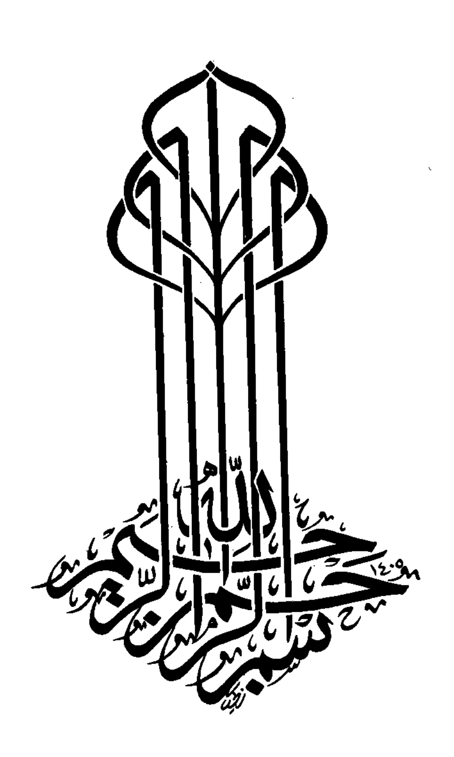
ديوان
حمزة شحاتة

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

هَـذا الدّيــوَان

بقلم الأستاذين
محمد على المغربي وعبد المجيد شبكشي

هذا الديوان ، أو هذه المجموعة الكاملة من شعر الشاعر الكبير الأستاذ حمزة شحاته ؛ يرحمه الله ، مدينة بظهورها إلى النور لصاحب السّمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل ، فهو الذي سعى إلى جمع ما تفرّق منها ، ونظم ما تناثر من أوراقها ، لتخرج إلى الناس مجموعة بين دفتي كتاب ؛ وليس هذا بالغريب على كَرَم سموّه ، فاهتمامه بالشعر والأدب ، لا يأتي من فراغ ، وهو الشاعر الرقيق المبدع الذي حاز على جوائز الشعر والأدب ، من داخل المملكة وخارجها .

ونرى لزاماً علينا ، وقد عهد إلينا سموّه بالإشراف على جمع هذه المجموعة ، وإعدادها للنشر ، أن نعرِّف القارئ بالطريقة التي تمَّ بها جمع الديوان ، وتبويبه ، وترتيبه .

كان أول ما اتجهنا إليه في جمعنا للديوان أن تقدمنا إلى سعادة الشيخ محمد نور صلاح جمجوم رجل الأعمال المعروف ، والذي تربطه بالشاعر الراحل صداقة حميمة طويلة ، والذي يحتفظ بمجموعة كبيرة من قصائد الشاعر ، تقدمنا إليه بطلب هذه المجموعة التي يحتفظ بها ، فقدَّمها لنا راضياً ، وكانت هذه المجموعة تمثل شعر الشاعر قبل هجرته إلى مصر ، وكثير منها كان قد نشر في الصحف المحلية في الحجاز ، ويمثّل بعضها الآخر ما نظمه الشاعر في مصر بعد هجرته إليها ، مما يمكن وصفه بالشعر التقليدي الذي يلتزم عمود الشعر العربي وزناً وقافية .

ولابدّ لنا أن نشير إلى أن الشاعر بعد أن طالت إقامته في مهجره بمصر ، ظهرت له قصائد شعرية مما يطلق عليه وصف « الشعر الحديث » ، بعضها يلتزم التفعيلة ، وبعضها يشذّ عنها ، ولم يكن فيما

وجدناه في مجموعة سعادة الشيخ محمد نور جمجوم شيء من هذا « الشعر الحديث » ، رغم أن صلته بالشاعر استمرت إلى حين وفاته .

وعلمنا أن سعادة الدكتور عبد اللطيف صلاح جمجوم يحتفظ بمجموعة من شعر الشاعر ، وبعد اتصالنا به تبيّن أن ما لديه هو نسخ مكررة مما وجدناه لدى سعادة أخيه الشيخ محمد نور جمجوم .

وأن من واجبنا أن نشكر للشيخ محمد نور جمجوم احتفاظه بهذه المجموعة الشعرية السنين الطوال رغم ما يمتلئ به وقته من مشاغل أعماله ، فلقد أسدى للأدب والشعر في بلادنا يداً تذكر له بالثناء والفضل .

وإلى جانب مجموعة الشيخ محمد نور جمجوم ، قدمت السيدة شيرين شحاته ، ابنة الشاعر ، مجموعة أخرى من الشعر ، تضم قصائد قديمة ، كما تضم قصائد الشاعر الجديدة التي نظمها في مصر .

وكانت مهمتنا الأولى هي استعراض كل القصائد التي تجمّعت لدينا ، واستثناء المكرر منها ، ثم تبويبها ، وترتيبها .

وقبل أن نتحدث عن التبويب والترتيب يجب أن نذكر أن مجموعة من قصائد الشاعر طبعت في مصر في نوفمبر ١٩٧٥ م بعنوان (شجون لا تنتهي) ، وهذه المجموعة هي عبارة عن أربع عشرة قصيدة ، لم نستطع إثباتها تحت هذا العنوان ، لأنها تختلف مع الترتيب الذي ارتأيناه للديوان ، وقد كنا وضعنا هذه القصائد في مواضعها التي اخترناها لها ، ولم يضف ديوان (شجون لا تنتهي) إلى المجموعة أيّ جديد ، فالقصائد كلها كانت موجودة ضمن ما تجمّع لدينا من قصائد الشاعر ، بل إن بعضها كان سبق أن نشر في الصحف بزمن طويل .

هناك مجموعة أخرى من قصائد الشاعر جمعها صديقه الأستاذ عبد الحميد مشخص ، وسماها الأستاذ مشخص (رجْع الصَّدَى) ، وقد راجعنا هذه القصائد ، فلم نجد فيها جديداً نضيفه إلى ما لدينا باستثناء قصيدتين : الأولى بعنوان (إلى ابنتي شيرين) ، وهي من الشعر الحديث ، ومطلعها : (يا بنتاه أديري رأسك) ، والثانية بعنوان

(وداع) ، وهي كذلك من « الشعر الحديث » ، ومطلعها : (يا سيدتي قد كان فضولا مني أن أحمل قلبي بين يدى) .

كما تفضل الأستاذ عبد الحميد مشخص فحصل من الأستاذ محمد سعيد بابصيل على المجموعة التي يحتفظ بها من شعر الأستاذ شحاته ، وكذلك الأستاذ محمد سعيد طيب فقد وافانا بمجموعة من شعر ونثر شاعرنا الراحل .

بعد أن تم استعراض كل هذه المجموعات ، رأينا تقسيم شعر الشاعر إلى أربعة أقسام : —

١ — الشعر الوجداني . ٣ — الملحمة الكبرى .
٢ — شعر الغزل . ٤ — شعر المتنوعات .

وقد أدرجنا في الشعر الوجداني كلّ ما نظمه الشاعر من شعر الوجدان ، وما تغلب عليه مسحة التأمل المشوب بأشجان الشاعر وأحلامه ، وأدرجنا في شعر الغزل كل قصائد الشاعر الغزلية ، وما يجري مجراها من فنون .

أما الملحمة الكبرى فقد أدرجنا فيها كل القصائد التي نظمها الشاعر في معركته الشعرية مع الشاعر الراحل الأستاذ محمد حسن عواد ، وأضفنا إليها بعض قصائد الهجاء التي دارت بين الشاعرين — يرحمهما الله — .

وأدرجنا في باب المتنوعات البقية الباقية من شعر الشاعر ، وبعضها يدخل في باب الإخوانيات ، وهى قصائد موجهة إلى أصدقاء الشاعر ، وهي مما نظم في الحجاز قبل هجرته إلى مصر .

وبعضها يمكن أن نطلق عليه عنوان (هموم البيت) ، وفيه يتحدث الشاعر عن أحوال بيته وأسرته ، والبعض الآخر يدخل في باب (الشعر الضاحك) ، وتتخلله بعض الكلمات العامية ، والبعض يدخل في باب (النقد والهجاء) ، ولأن هذه القصائد محدودة العدد فقد أدرجناها جميعاً تحت باب المتنوعات .

أما بالنسبة لترتيب القصائد فقد عمدنا إلى تقديم القديم من القصائد ، ليكون لدى القارئ فكرة عن التسلسل التاريخي لشعر الشاعر ، وقد وجدنا قصائد قليلة جداً سجل فيها الشاعر تاريخ النظم ، فأثبتنا ذلك كما سجله الشاعر ، واعتمدنا في الترتيب تقديم القصائد التي نظمها الشاعر في الحجاز قبل هجرته إلى مصر ، ثم ألحقنا بها القصائد الأخرى التي نظمها في مصر بعد هجرته إليها ، وقدمنا القصائد التي التزم فيها الشاعر بعمود الشعر قافية ووزناً . ثم أتبعنا ذلك بشعره الحديث ، وقدمنا ما التزم فيه الشاعر بالتفعيلة على ما لم يلتزم فيها بها ، واعتمدنا هذا الترتيب في جميع أقسام الديوان .

وأخيراً ، فإن الشاعر لم يكن يضع عناوين لشعره ، والقصائد التي وضعت لها عناوين قليلة جداً ، وقد أثبتناها كما وضعها ، وقد لاحظنا أن العناوين التي وضعها الشاعر لقصائده كانت موجزة أشد الإيجاز ، كان يكتفي بكلمة واحدة لعنوان القصيدة ، فوضعنا العناوين للقصائد الباقية بنفس الأسلوب ، وحرصنا أن يكون العنوان على إيجازه معبراً عن محتوى القصيدة .

وأخيراً ، فإن أغلب ما تجمع لدينا من قصائد الشاعر على اختلاف مصادره كان مكتوباً بخط اليد ، وبعض ذلك بخط الشاعر ، وهو السليم من الأخطاء ، والبعض الآخر قام بنسخه بعض أصدقاء الشاعر ، كما وجدنا بعض القصائد مطبوعة على الآلة الكاتبة ، وكانت الأخطاء في القسمين الأخيرين واضحة ، ونستطيع أن نقول : إن القسم الأكبر من المجموعة قد مضى على كتابته ونسخه السنون الطوال ، وتعرض بحكم التصوير والقدم إلى طمس بعض السطور أو الكلمات ، وقد بذلنا جهدنا في تصحيحه ما وسعنا ذلك .

وقبل أن نختم كلامنا هذا نود أن نشير إلى المعونة القيّمة التي قدمها لنا سعادة الشيخ سالم أسعد نعمان الذي أشرف على نسخ الديوان ، وشارك مشاركة فعالة في ترتيبه وتبويبه ممّا استحق التنويه بهذا الجهد والثناء عليه .. وبالله التوفيـــق.

عبد المجيد شبكشي　　　محمد علي مغربي

هذا الشاعر

بقلم الأستاذ
عـــزيــز ضيـــاء

في اللحظات التي أوشكت فيها أن أفرغ من قراءة مجموعة القصائد ، التي آن لها أخيراً ، أن تجتمع بين دفتي كتاب يمكن أن يطلق عليه : (ديوان حمزة شحاته) ، وأن تطبع فعلاً على نفقة صاحب السّمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل آل سعود ، فتتواجد بين أيدى المئات من القراء الذين لا أستكثر أن أقول إنهم فُتنوا ، أو أنهم مفتونون فعلاً ، ليس فقط بشعر الشاعر ، وإنما باسمه الذي قلَّ بين المثقفين من لم يسمع به ... في هذه اللحظات كان أغرب ما يتبلور في ذهني ، هو أن حمزة - رحمه الله - قد تمتّع بشهرة واسعة مستفيضة ، ليس لأنه هذا الشاعر ، الذي يجد القراء اليوم شعرَه بين دفتي هذا الديوان ، وإنما لخصائص أخرى غير الشعر قطعاً ، أو لأسباب ، إن كانت لها علاقة بالشعر ، فلأن بعض هذا الشعر ، ومنه الهجاء ، بينه وبين الأستاذ محمد حسن عواد - رحمه الله - قد ظهر في فترة كان فيها حمزةُ ، الشاعرَ ، والصديقَ ، والعضوَ البارزَ وربما الأهمَّ بين كوكبة من الشباب الذي كان يشق طريقه إلى تلك الآفاق المسحورة أو الساحرة التي كانت تتلامح في حياتنا ، أو هي تسطع كلّما صدر في مصر أو في لبنان كتاب ، لتوفيق الحكيم ، أو الدكتور طه حسين ، أو شبلي شميّل ، أو لطفي السيد ، إلى آخر تلك الأسماء التي توفّر لها من الإبهار في حياة أمثالنا ، ما كان له الفضل في شدِّنا إلى محاولة التحليق في تلك الآفاق . فكان يتاح للقصيدة من شعره - وهو في تقديري أوائل شعره - أن تنتبها عيون وأذهان هذه الكوكبة من الأصدقاء ... ولعلي لا أثير ذكريات غمرتها رمال الزمان ، إذا قلت إن قصيدته القصيرة التي مطلعها :

بعد صفو الهوى وطيب الوفاق عزّ حتى السلام عند التلاقي

كانت تتردد على أذهان المجموعة في هوس أو هلوسة ، لا تكاد تهدأ حتى تثور ، ولعلي لا أنسى أن الأستاذ عبد السلام الساسي – رحمه الله – وكان من المدمنين أو الحريصين على ألا تفوتهم جلسة « المركاز » في رياض المسفلة ، قد حفظ هذه القصيدة – كما يحفظ غيرها – فلا نكاد نجتمع ، ويوضع على المنضدة براد الشاهي ، حتى يردد الساسي أحد أبيات هذه القصيدة مازحاً ، أو مثيراً لشهية الحوار ، فنسمعه يقول :

أنت حر ، والحسن لا يعرف القيـ..........ـدَ ، فصادر حرّيتي وانطلاقي
لم يكن باليسير صبري على عسْـ..........ـفِكَ لو أنني طليق الوثاق

فلا يكاد ينتهي الساسي ، حتى نسمع عبد الله عريف – رحمه الله – يرسلها ضحكة صاخبة قائلا : يعني إيه ؟؟؟ يعني كنت رايح تعمل إيه ؟؟؟ تتضارب معاه ؟

فيلاحقه أحدهم قائلا :

لا ... كان يزيد من وثاقه ... كأن يربطُ نفسَه في روشان المقعد ... عشان يشوفه وهوّه نازل يتمشى في العصر .

وتتلاحق الضحكات ، ليفاجئنا الساسي بسرد قصيدة من أبياتها ذلك البيت :

واهاً لماضٍ أنيقِ اللهوِ كنتُ به ... إلى وفائك بالآمال أختلفُ
يجري الحديثُ رموزاً بين أعيننا ... يَلينُ مَسراه تاراتٍ ويَعتسفُ
والصّحبُ بالحفلِ مشغولونَ عن بِدَعٍ ... تجلو فنونَ جناها الروضةُ الأُنفُ
واليومَ يَثينك عن داري وقد قَرُبتْ ... ما لَفّق الصّحبُ عن سرّي وما اقترفوا

وعند الدار التي قربت ، يدور أشد الحوار صخباً وتعليقات ، ربمّا يداخلها الأستاذ أحمد قنديل رحمه الله ليقول :

ماتزال دارك في جدة ... وأنت هنا ... فكيف قربَت الدار ؟؟

ويجيب آخر :

إنك لا تدري أنه الآن قد نزل داراً في الطريق إلى المركاز .

* * *

ولا أذكر الآن مَنْ مِنْ ذلك الرعيل الذي عايش مركاز المسفلة ، يذكر ذلك المساء الذي ظهرت فيه تلك القصيدة ، التي ما تزال – في تقديري – تعد أروع وأحفل شعره بمعان ، أثارت الكثير الكثير من الحوار والنقاش ، حين وجد من قال إنه متأثر فيها بالشريف الرضيّ ، ومن نفى التأثر كلّيا ، مصرًّا أنها فريدة من فرائد الشعر العربي ، في القرن العشرين ... إنها : التي تظهر في هذا الديوان بعنوان (لِمَ أهواك) ... وهكذا ظهرت ، في المجموعة التي نشرها الأستاذ الساسي رحمه الله ... إنها التي يقول فيها :

يا حبيبي .. يا مُلتقى السّحرِ والفتـ..........ـنةِ ، يا غالبي على أمرِ نفسي
لِمَ كانتْ – ولا أسومُكَ لوماً – قِسْمتي في هواكَ قِسمةُ وَكْسِ
ألأني آثرتُ في حبّكَ القا.........هرِ عزّي ذهبتَ تطلبُ تعسي
أم لأني ضحيّةُ الألمِ الصّا.........متِ أطوي على الجوانح حِسّي

ومنها ذلك البيت الذي يقول فيه :

أمْ لمعنىً شَفَّتْ مفاتنُكَ العَذْ.........بةُ عنه فكادَ أن يَتراءى
فالمعاني في الكونِ ليست على الإنـ.........ـسانِ وَقفاً إلّا هوًى وادّعاء

وهو بيت ، زعموا يومها أن حمزة ، رحمه الله ، كان ينظر فيه إلى رأي الجاحظ في المعاني ، التي قال إنها لا تميّز شاعراً عن شاعر ، وإنما التمييز والفحولة ، في صياغتها ... في الألفاظ التي تصاغ بها المعاني .

ويبدو أنه لابدّ من وقفة عند هذه القصيدة التي تعدّ من أشهر ما كتب حمزة ، بل قد لا يبالغ من يذهب إلى أنها رائعته الكبرى ، التي ندر أن قرأها قارئ في تلك الأيام ولم تعلق بذهنه بعض أبياتها . والوقفة تحتمها حقيقة أن الأستاذ أحمد قنديل قد ظهرت له في نفس الفترة قصيدتُه التي تُعدّ هي أيضاً من روائعه ، والتي تستوقفك بأنها تحلّق في نفس الأفق الذي تحلق فيه رائعة حمزة .

وُجدَ من ذهب إلى أن القنديل كتب رائعته متأثراً ، إن لم يكن منافساً للأجواء التي حلّق فيها حمزة ، إذ نجد في (لِمَ أهواك ؟) تساؤلاً ، يتدفّق بعده حمزة في شتيت من الصور والمرائي والأفكار ، والرفض لحقيقة ، ثم التناغم مع نفس الحقيقة ، بفكرة أن التناقض طبيعة

المشاعر التي يشعل أتونها الحب ... أو نظرة المحب .

ولا نكاد نمضي مع قصيدة قنديل (ما الذي فيك ؟) حتى نشعر أننا في نفس الأفق التي كنا فيها مع (لِمَ أهواك ؟) ... ونفس الآفاق هنا لا تعني التطابق أو التماثل ، أو حتى التشابه في المعاني والصور ، ... كلا ... وإنما هي آفاق التساؤل .. والحيرة ... والوقفة الذاهلة ، والإلحاح على اكتناه ما وراء المحجوب المستور من معاني الحسن ، كما يزدحم بها إحساس الشاعر .

وأجواء الأستاذ أحمد قنديل في رائعته ، تعايش مكامن الحسن ، وتلتمسها هنا وهناك ، وكأن الشاعر يحلق في أجواء فردوس عبقري ، لا يدري هو نفسه ، كيف يصوّره أو يعكس إحساسه نحو مرائيه .

كلّ ما فيك فاتنٌ ، يَعجز اللفـ.........ـظ إذا رام للذي فيك حلّا
وإذا شاء أن يحددَ معنا.........ك تناهى فما يكاد يُبين

ثم .. تستدرجه مكامن الحسن والحس فيقول :

في البريق الذي يضيءُ بعينيـ.........ـك معانٍ كثيرةٌ لا تُسمَّى
ملؤها السحر والدلال و (شيءٌ) لست أدرى لمعنييه مُسمَّى
فهو نورٌ يَهدي القلوبَ إليه وظلامٌ (يُصيّر العقل أعمى)
كلّما امتد من معانيه ضوءٌ كان قلبي لذلك الضوء مَرمَى
فإذا قلت (ما الذي فيك ؟) – من بعـ.........ـدُ – تراءى هذا الخفيُّ المبينُ

ويسترسل القنديل ، فيقف ، تارة عند هذا الثغر المنسق ... فهو الحياة تأخذ العين ، وتخفى في منتهى شفتيه ، وتارة أخرى عند (الجمال) ككل ... ولكن الحبيب ، يتعالى حتى على هذا الجمال ، إلى أن يقول :

ليس أمر الجمال والود إلّا متعة تنقضي وإلفاً تَغالى
فتنفنّنْ في الظن ، ينكشف الأمـ.........ـر ، فيا طالما تصيب الظنون

ومع أني كنت صديقاً للشاعرين ، ولم يكن عندي ما يمنع أن أسأل كلا منهما عن الذي سبق الآخر في إبداع قصيدته ، فإني رغم تعدد المحاولة ، لم أظفر بجواب حاسم ... ومن هنا يظل التساؤل معلّقا ... وتظل القصيدتان ، تعيش كل منهما حياتها في الأذهان ، رائعة من روائع

الإبداع ، لو قُدّر لهما أن تجدا مجالهما للنشر في العالم العربي – منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان ، لكان من الطبيعي أن تتصدّرا الكثير من الأعمال الفنية ، التي كانت تصطخب بها حركة الإبداع ، في هذا العالم ، ومصر منه خاصة ، التي كنا نتهافت على ما يتسلّل إلينا منها بين الحين والحين .

وليست هاتان القصيدتان ، هما وحدهما ، اللتان ، تشابهتا موضوعاً وآفاقاً ، فهناك قصيدة (جدّة) . لكل من الشاعرين الكبيرين ... والشاعران في القصيدتين عن جدة ، لا يجاري أحدهما الآخر في الوزن أو القافية ، بل ويختلفان في النظرة إلى هذه العروس التي رأياها ، بمشاعر وأحاسيس بالغة الرهف ، بل بالغة الحب ، عروساً قبل أن تتألّق وتتبرج ، وتتيه هذا التيه الذي يكاد يملأ النفوس انبهاراً بها ، وبما تحقق لها من النمو .

نظرة الأستاذ حمزة شحاته إلى جدة ، فيها هذا الخيال الجموح الذي يرى في جدة ، في تلك الأيام (دنيا رفافة بمنى الروح وكون بالمعجزات نطوق) و :

جدّتي أنت عالم الشعر والفتـ.........ـنة يَروي مشاعري ويَروقُ
فإذا أومض الخيال بذكرا.........ك تداعت بعض لبعض يتوق

ويحلق حمزة تحليقا بالغ السموق في إحساسه بجدة حين يقول :

جدّتي ... لا التي يحب الخليو.........ن شقاءٌ عذبٌ وأسرٌ أنيق
وصراع بين الحجا والأماني يطلق الحس تارة ويعوق

ولكم يستوقفنا ، الشاعر ، مع مشاعر التفجع والأسى ، بل والاستنكار حين يقول :

حبذا أنتِ لو وفيتِ وأجملْـ.........ـتِ ، ولم ينتهك لديك الصديق
فوفاء الحبيب أسمى معاني الـ.........ـحسن ، والطهر بالجمال خليق

إلى أن يقول ، في نبرة توجّع ملؤها الحزن :

أكذا أنت للنقائض وِرد يستوي عنده التقى والفسوق
بين من تمنحينهم وُدَّك السا.........ئغ قوم ودادهم ممذوق
من مياسير جاهلين أضاعو ك ، وكلٌّ بما يَشين عَلوق

ومهازيل كالضفادع في الظلـ.........ـمة أقصى ما يستطعن النقيق
قادهم أخرق الخطى للدنايا وهو فيهم بما جناه مسوق
وشباب غراسُه ما زكت فيـ.........ـكِ – ولا غرو – فالغراسُ العروق
لعلعت صرخة النهوض حواليـ.........ـكِ ، وأصواتهم لديك نعيق
هم أسارى مناعم العيش والحـ.........ـق عليهم – مما أذيل حنيق

إلى أن يقول :

لا تلومي على عتابك حرّاً قلبه منك بالجراح شريق
أنا للمجد – والهوى يؤثر العز.........وغيرى لغيره مخلـــــوق

وتختلف نظرة الأستاذ أحمد قنديل إلى جدة ، في هذه القصيدة ، إذ فيها إلى جانب مشاعر الحب والوله ، لمسات من الذكرى ... ذكرى الأمس البعيد ، ومشاعر الانتماء أبناء وجذوراً ، وطفولةً وصبا وشبابا ، والإحساس العميق (والهادئ) بأنها جزء من موطن (ملء القلب) ... وفيها وقفات الوصف المبدع عند الخضم ، الذي يشبهه (بصب على الباب طريح وهي عنه عيوف) .

ويترامى من هو فتقصينه عنك فيرتد ... والمحب ضعيف

وفي قوله (والمحب ضعيف) نوع من النظرة الرائية لهذا المحب ، الذي لا يملك إلا أن يرتد أمام الحسن ، أو أمام الحب ، إلى أن يقول :

هكذا أنت فتنة من كوى الفكـ.........ـر يراك المدلّه المشغوف
ولدى عالم الحقيقة شيء دون هذا لولا هواك العنيف

* * *

وبعد ... فهذه المجموعة من الشعر الذي قدر له أخيراً أن يظهر ديواناً ، كانت بالنسبة لي شخصياً مفاجأة ، إذ كان مما رسّخه الشاعر عندي ، وعند فريق من أصدقائه الشعراء وغير الشعراء أنّه لا يحتفظ بشيء مما يكتب من شعره ... يمزّقه ، أو يتناساه ، فيما يتناسى من مهملات ملفاته وأوراقه ... ولقد عكفت على قراءة معظم قصائد المجموعة ، متوخياً أن ألمس تطور حركة الإبداع عنده ، وإذ وجدت المجموعة ضخمة نسبياً ، قدّرت أنني سأجد شواهدَ هذا التطور فيما لم يسبق أن قرأت من هذا الشعر ، ولكن لست أدرى ، إن كانت

نظرتي إلى مفهوم التطور في الإبداع ، أم توقف حركة التطور في شعر حمزة ، هي التي جعلتني أقول بعد كل قصيدة قرأتها : إن أوائل ما أبدع من شعره في مكة وجدة ، وربما بعد ذلك بفترة قصيرة في مصر ، يظل هو الذي بنى له هذه الشهرة وذيوع الصيت كشاعر في القمة ... وعدم التطور أو وقوف حركة التطور لا تعني بطبيعة الحال أنه هبط عن مستواه ... ولكن لا شك أنه لم يرتفع ، وباستثناء (نفيسة) أو (فتاة بولاق) ، وقصيدة (قالت شجرة لأختها) ، وقصيدة (العجل أبيس) ، لا أجد في جملة ما قرأت ، ما يجعلني أشعر أنه تفوق على نفسه ، أو حتى جاء بمثل الروائع التي عرفت له في بداية حركة إبداعه ، مما سبق أن نشر له في الصحف ، أو فيما عني بنشره الأستاذ عبد السلام الساسي ، رحمه الله .

تلك نظرة ، أعلم أن كثيرين يرفضونها ، إذ للشاعر ذلك الأثر الفتّان ، على كل من سمع عنه ، أو قرأ له روائعه الأولى ... ولكن قد ينبغي ألا أحجم عن أن أقول : إن الشعر لم يكن وحده خصيصة الشاعر الذي استقر في الأذهان عبقرياً من عباقرة هذا البلد في القرن العشرين ، فهو – رحمه الله – طراز فريد في شخصيته ، كمحدث ، يملك أذهان وأسماع مستمعيه ... ، وككاتب أشعر أن نثره ، إنْ لم يكن أقوى من شعره كثيراً ، فإنه النثر الذي تشعر بقوته ، ولا تملك إلاّ أن تستزيد من قراءته ، كما في (المحاضرة) التي ألقاها في جمعية الإسعاف ... وكما في رسائله إلى ابنته (شيرين) ... بل وفي الكثير جداً من رسائله إلى أصدقائه ، وهو ما أرجو أن يتجمّع ، وأن يظهر في كتاب في يوم ما .

وبعد ... فليرحم الله الشاعر الفذّ ، وليغدق عليه من شآبيب رضوانه ... ولعله قد آن الأوان بعد اليوم ، لنسمع ونقرأ آراء النقاد في إبداعه ... وهو ما لابد أن تزدحم به أنهار الصحف ، والفضل في ذلك لليد الكريمة ، يد الشاعر الأمير عبد الله الفيصل ، الذي يعطينا المثال الفذّ ، لرعاية دوحة الأدب والفن ... ولا عجب فهو الأديب الفنّان ، الذي سيأتي اليوم الذي يعكف النقاد على دراسة شعره ، فيما صدر ، وفيما سوف يصدر له ، إن شاء الله .

عزيز ضياء

مَاتمَ عَمله في هَذا الديوَانْ

بقلم
الدكتور بكري شيخ أمين

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد أفصح العرب أجمعين .. وبعد ..

فلقد سَعِدتُ يوم كُلِّفتُ بالإشراف على ديوان الشّاعر الكبير المرحوم حمزة شحاته ، وإعداد ما يلزم من نواح علميّة أو فنّية لإخراجه إلى النّاس على الصّورة الطيّبة المقبولة .

وكان من أسباب سعادتي أنّ هذا الدّيوان يَخرج بهذا التّكامل لأول مرّة ، وأنّ العلماء والأدباء والمثقّفين في قلب المملكة العربيّة السعودية وخارجَها ، سيتلقّفون الديوان ، ولسوف يَنْكَبّ فريق من الباحثين على دراسته ، وقد يكون موضوعاً لعدد من الدّراسات العليا في الجامعات المختلفة .

إضافة إلى ذلك ، فإن الشّاعر حمزة لم يكن بالشّاعر الهيّن ، أو الليّن ، أو الضّعيف ، وإنما كان يملأ السّاحة الأدبيّة في أيّامه ، يُصاول ويُجاول ، ويُصالح ويُخاصم ، ويقف كالطَّود في كثير من القضايا ، وأمام عديد من النّاس ، حتّى لَيَصدُق فيه قول القدماء عن أبي الطيّب : (مَلأ الدّنيا وشَغَل النّاس) .

ولقد يظنّ كثير ممن لا يعرفون هذا الشاعر حقّ المعرفة أنّ شعره شبيهٌ بما نُحِتَ على الشّراع الحجريّ المنصوب على جانب من شواطىء (كورنيش) الحمراء بمدينة جدة ، فيه السّهولة والسّلاسة والحلاوة ، حتى لَكَأنّه شِعر البُحتري أو الشريف الرَّضِيّ .. من تلك الأبيات قوله في جدة :

النُّهى بين شاطِئَيْكِ غَريقُ   والهَوَى فيكِ حالِمٌ ما يُفيقُ
ورُؤى الحُبِّ في رِحابِكِ شَتَّى   يَسْتَفِزُّ الأسيرَ منها الطَّليقُ
ومَغانِيكِ ، في النّفوسِ الصَّدِيَّا......تِ إلى رَيِّها المَنيعِ رَحيقُ
إيهِ ! يا فتنةَ الحياةِ لِصَبٍّ   عَهدُهُ في هواكِ عَهدٌ وَثيقُ
كمْ يَكُرُّ الزَّمانُ ، مُتَّئِدَ الخَطْـ......ـوِ ، وغُصْنُ الصِّبا عليكِ وَريقُ
ويَذوبُ الجَمالُ في لَهَبِ الحُبِّ.......إذا آبَ ، وَهْوَ فيكِ غَريقُ
جدَّتي ! أنتِ عالَمُ الشِّعرِ والفِتْـ......ـنَةِ ، يَرْوِي مَشاعِرِي ، وَيَرُوقُ

لكنَّ الحقيقة تختلف عن هذا ، فبَيْنا تَجدُه في قصيدةٍ مُنساباً ، مُتَرَقرِقاً ، واضحاً ، إذا هو في أخرى معقَّد ، غامِضٌ ، ميّالٌ إلى اللّفظ الغريب ، والمعنى الغامض ، والتركيب المتعاظِل .

لهذا ، فإنّ شعرَ حمزة شحاته لا يمكن أن يُقرَأَ بسرعة ، ولابدَّ من التوقُّف بين الحين والآخر ، وإعادة القراءة – أحياناً – مَرّة بعد مرّة ، ليتّضحَ المُراد ، ويَترابطَ الموضوع ، وبدون ذلك يَبقى المقروء في عالم الغموض والإبهام .

من هذا الجانب كان الدّيوانُ بحاجة إلى جُهد ، ومراجعة ، وتأمّل ، وإعادة نظر ، وشرح ، وإتقان في الطبع ، ليمكن الإفادة منه ، وبدون ذلك نكون قد ظَلَمْنا الشّاعرَ والقارئَ .

كان في النّسخة المعتَمَدة للطباعة غيرُ قليل من أوهام نحويّة وإملائية وتطبيعية .. وكان أمرُ تصحيحها سهلاً يسيراً .

أمّا التّصحيف ، والكلماتُ المحرَّفة ، أو غيرُ الواضحة ، فكانت كثيرة – إلى حدّ ما – .

ويبدو أنّ ذلك أمرٌ عاديّ وطبيعيّ ، فبعض هذه القصائد أُخِذَ من الصّحف أو المجلات ، ووجود مثل هذه الهنات مألوف ، ومعضِلةٌ مزمِنَة ، وداءٌ قديم وعَرِيق .

ولقد أعان الأخُ المفضال الشيخ محمد علي مغربي على توضيح عددٍ منها ، وراجَعَ معي الأصولَ المختلفة التي بين يديه في أكثرَ من جَلسة ، وأكثرَ من لقاء .

ومع ذلك فقد كان في النسخة التي بين يديَّ عدد من الألفاظ ، يقل عن المائة بقليل ، يحتاج إلى تقليب نظر ، وتدقيق ، كما يحتاج إلى تأمل طويل ، ليمكِنَ فَهْمُه ورَبْطُه في سياق ما جاوره من ألفاظ ، وما ارتبط به من معان ، وحاولت – قَدْر الإمكان – أن أجتهدَ ، وأصلَ فيه إلى أقرب الحلول ، وأصحّها – من وِجهة نظري – وكان معظم تلك الألفاظ قد أصابها التّصحيف ، أو التّطبيع ، – في غالب الظن – من ذلك مثلا : (أشعاري) صحّفت إلى (أسفاري) ، و (الوجد) إلى (الوجه) ، و (وصله) إلى (مصله) ، و (مزقوا) إلى (فرقوا) ، و (ترامى) إلى (تراخى) ، و (فزعت) إلى (قرعت) ، و (شأو) إلى (شأن) ، و (اعبثي) إلى (اعتبي) ، و (يعيب) إلى (يغيب) ، وهكذا .. ومثل هذا يحتاج إلى أناة ، وتَبَصُّر قبل الإقدام على أقل تصحيح أو تصويب .

الأمر الآخر هو أن الشاعر كان – على ما أظنّ – يغوص في المعجم ، ويستخرج في أحيان كثيرة ألفاظاً غيرَ متداولة ، يصعب فهمها على القارئ المتوسط ، وتحتاج إلى شرح وإيضاح ، وبدون ذلك يبقى المعنى غيرَ مفهوم .. وكان القاموس المحيط وصحاح الجوهري ، ولسان العرب ، والمعجم الوسيط وسيلتي لهذا الشرح في الحاشية .

وهنا لابدَّ لي من الإشارة إلى أن بعض قصائده الهازلة ، أورد فيها عشرات المفردات غير الفصيحة ، منها ما يرتدّ إلى أصل هنديّ ، ومنها ما يرجع إلى أصل إنكليزي ، ومنها ما هو عاميّ محليّ ، أو مصريّ ، ومنها ما هو من اختراع الشّاعر ، كما فعل بَشّار في غَزَل حماره فاخترع (خَدَّ الشَّيْفَران) . وكان الأخ العالم الأستاذ المغربي خيرَ عَوْنٍ على شرح هذه الكلمات .

أضف إلى ذلك أنَّ الشّاعر – رحمه الله – كان – على ما يبدو – عريضَ الثّقافة ، واسعَ الاطّلاع ، كثيرَ القراءات .. فأنتَ تجد في شعره إشاراتٍ إلى بعض مناحي الأدب وتاريخه ، وإشارات إلى أساطير شتّى يونانيّة ، ورومانيّة ، وفرعونيّة ، وإشارات إلى كتب وكُتّاب من مختلف بلاد العالم من مثل كتاب اللامنتمي ، والكاتب كولن ولسون ، وغير ذلك .. وكان مرجعي في هذه الإشارات موسوعة المَوْرِد ، والموسوعة الميسَّرة ، وتاريخ الحضارة لِدْيُورَانْتْ .

وتقضي الأمانة العلميّة أن أشير إلى أن كثيراً من الأبيات لم تكن مقسَّمه الشَّطرين تقسيماً عروضيّاً سليماً . فلقد تجد – أحياناً – شطراً فيه تفعيلات أكثر ، أو أقلّ ، ممّا في الشّطر الآخر ، أو تجد بيتاً يختلف في عدد تفعيلاته عن سائر أبيات القصيدة أو المقطوعة ، ولقد حرصت على إعادة التّوازن العروضيّ بين الشّطرين من جهة ، والإشارة في الحاشية إلى زيادة التفعيلات أو نقصانها .

أمّا موضوع ضبط الكلمات وتشكيلها فقد آثرت أن أضبط ما يُشْكِلُ على القارئ – بوجهٍ عامّ – وما يُسَهّل عليه القراءة ، والفهمَ وراء ذلك ، ولم أضبط الكلمة كاملة ، كما هو الأمر في القرآن الكريم وكثير من كتب الحديث النبويّ ، لِظني أنّ الأمر لا يحتاج إلى كل هذا التّشكيل ، وكانت إشارات التّرقيم التي وضعتُها عوناً آخر – في اعتقادي – على الوصول إلى فهم المعنى والقراءة الصَّحيحة .

واستكمالاً للعمل ، قمتُ بنفسي بمراجعة التجارب (البروفات) للديوان ، خلال مراحل الطَّبع المختلفة ، للاطمئنان على سلامة النّصوص ، لِتخرجَ كما تركها الشّاعر الراحل حمزة شحاته – قَدْرَ الإمكان – .

وفي الختام : لا أدّعي أنّ عملي في هذا الديوان جاء مستكمِلاً لأسباب التّحقيق والتوثيق العلميَّينِ لِتَعلّات جئتُ على بعضها فيما تقدَّم ، ولأنَّ النَّقص من صفات البَشَر ، فالله ، سبحانه وتعالى ، أبى

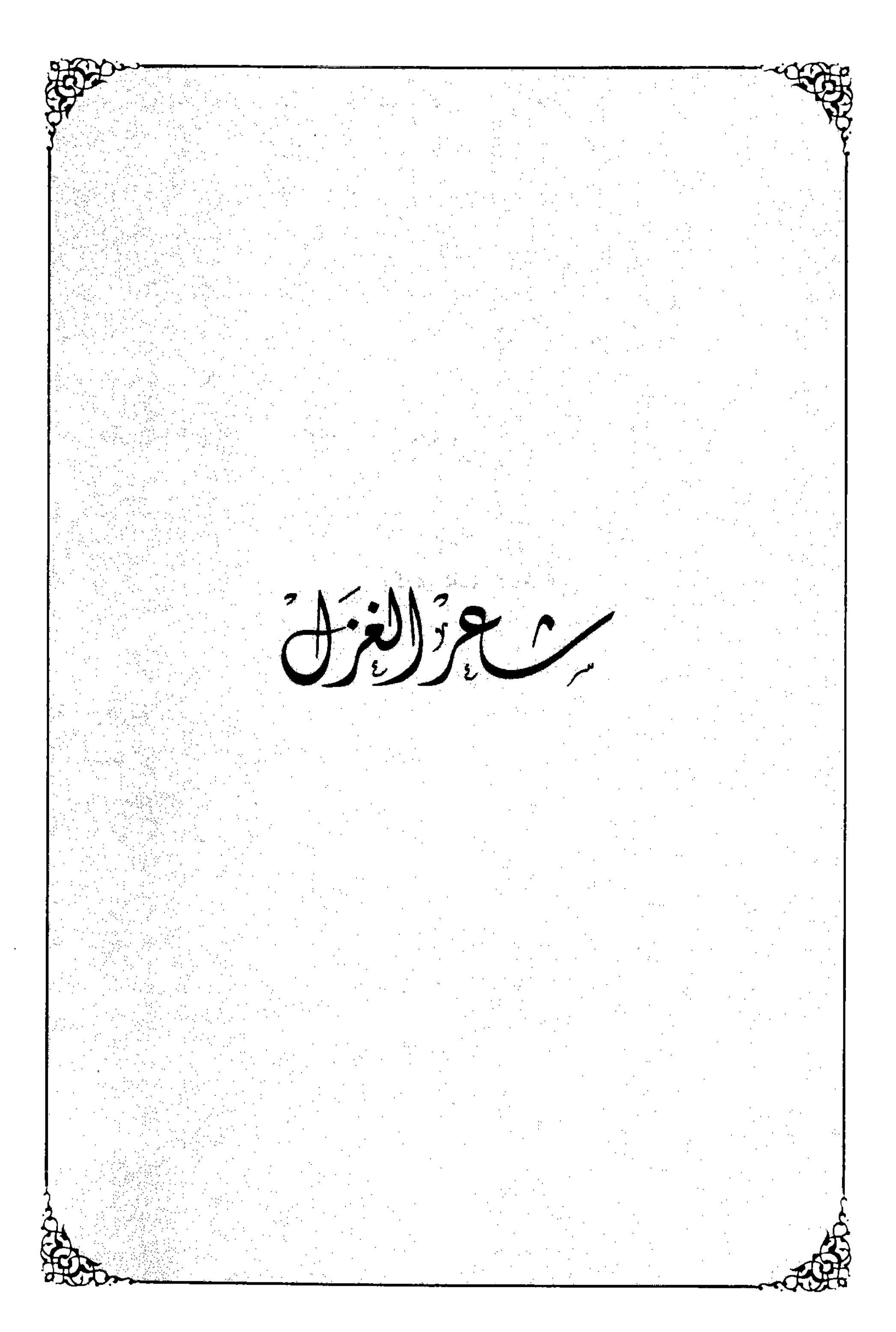
إلّا أن يكونَ الكمالُ لكتابه العزيز ، ولكنّني أرجو أن أكونَ قد وُفِّقتُ في حدود طاقتي وعملي في إخراج هذا الديوان على الصّورة التي تكفل للباحثين أن يُعوّلوا عليه ، ويُفيدوا منه ، دون أن يَجدوا فيه كبيرَ مشقَّة أو وعورةَ مسلك .

وإذا أخطأني التوفيق في شيءٍ من عملي هذا ، كاجتهادٍ في ضبط ، أو شرح ، أو تقويم ، أو تفسير ، أو توجيه ، فأرجو الله ألّا يحرِمَني أجرَ مَنِ اجتهدَ فأخطأ .

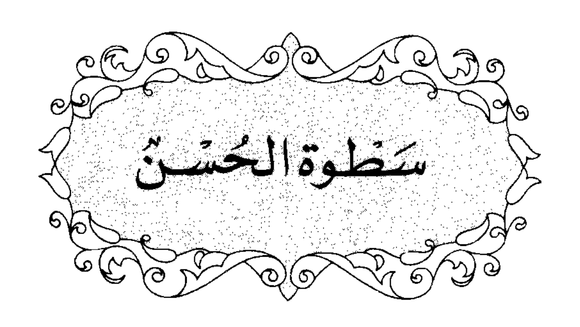
والحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصَّالحات .

الدكتـــور
بكري محمد شيخ أمين

جدة المحروسة :
١٠ شـــوال ١٤٠٨ هـ
٢٥ أيار (مايو) ١٩٨٨ م



شِعرُ الغَزَل



سَطوة الحُسن

بعدَ صَفْوِ الهَوى وطِيبِ الوِفاقِ عَزَّ حتَّى السَّلامُ عندَ التَّلاقي[1]
يا مُعافىً من داءِ قلبي وحُزني وَسَليماً من حُرقتي واشتياقِي !
هل تَمَثَّلْتَ ثورةَ اليأس في وَجْـ ـهي وَهَوْلَ الشَّقاءِ في إطراقي ؟
أيُّ سهمٍ بِهِ اختَرَقْتَ فُؤادي حِينَ سَدَّدتَها إلى أعماقي ؟
مُسرعاً في المَسِيرِ ، تَنْتَهِبُ الخَطْـ ـو ، فَهَل كنتَ مشفِقاً من لَحاقِي ؟
إذْ تهاديتَ مُبْدِلاً نظرةَ العَطـ ـفِ بأُخرى قليلةِ الأشواقِ
وتَهيَّأتَ للسَّلامِ ، ولم تَفْـ ـعَلْ ، فأغرَيْتَ فُضولَ رِفاقي
هَبْكَ أهملتَ واجبي ، صَلَفاً مِنْـ ـكَ ، فما ذَنْبُ واجب الأخلاق؟[2]
واعترى قلبَك المَلالُ ، فأعرَضْـ ـتَ ، فَهلَّا انتظرتَ يومَ الفراق ؟
لا أُداجِيك ، والكرامةُ معنىً ، تَتَجلَّى في صحَّةِ الميثاقِ[3]
قد يُطاقُ الصُّدودُ ، يوجِبُهُ الذَّنْـ ـبُ ، وَصَدُّ المَلالِ غيرُ مُطاقِ
سَطوةُ الحُسنِ حَلَّلَتْ ما كا ـنَ حَراماً ، فافتَنَّ في إرهاقي
أنتَ حُرٌّ ، والحُسنُ لا يعرِفُ القَيْـ ـدَ ، فصادِرْ حريَّتي وانطلاقي
لم يكُنْ باليسيرِ صبري على عَسْـ ـفِكَ لَو أنَّني طَليقُ الوِثاقِ[4]

---

(١) عَزَّ : يَعِزّ : صار عزيزاً . وعَزَّ السَّلامُ : قَلَّ فلا يكاد يوجَد .
(٢) هَبْكَ : أصلها : هَبْ أنَّك ، واختصرت للضّرورة ، وهي بمعنى : آحسب وآعدد . الصَّلَف : التكبّر .
(٣) أداجيك : أداريك .
(٤) العَسف : الظّلم .



صَحْـــوَة

جَمــالٌ ، ولكــنْ لا أَراهُ يَثـيبُ ... وَوَصْلٌ ، ولكــنْ لا أَراهُ يَطــيبُ[1]

همِا ظُلمةُ الماضي انجَلَت وتـقشَّعَت ... ولـو أنَّ جُرحاً ، خلَّفَتْـــهُ خَصيبُ

تَأَلَّفَنــي الدَّاعــي إليها بِحُـــزنِها ... أَلا إنَّ حُزنَ الجانيــاتِ عَجــيبُ

وهل بينَنَـا من سالـِفِ الوُدِّ موقِـفٌ ... نَلــوذُ به في يومِنـــا ، ونَثُـــوبُ[2]

ونحنُ ، على قُرب الدِّيـارِ وبُعْدِهـا ، ... غريبٌ ، نَأَتْ أحلامُـه ، وغَـــريبُ

فيا صورةَ الماضي البَغيض ، تَراجَعي ... إلى حيثُ يُدْعَــى آثِـمٌ فيُجِـيبُ

ذكـرتُ بكِ الأيــامَ سُوداً تَلُفُّنـــي ... وَمِــلْءَ دَمــي مِمَّـــا أُسِرُّ لهيبُ

وما أَثقَلَ السَّاعاتِ في نَفْـرَةِ الكَرَى ... يَرُوح بها سَاري الرُّؤى وَيَـــؤُوبُ[3]

قُبــورٌ وأَجسادٌ تَجَنَّبَهـــا الـــرَّدَى ... تُوَلْـوِلُ في جُنحِ الدُّجى وتَلُـــوبُ[4]

فينــتَصِبُ الماضي لِعَيْنَـــيَّ بُؤْرَةً ... من الرِّجسِ تَبـدو ، تارةً ، وتَغيبُ

أراكِ بها كأساً تطـــوفُ مَطافَهـــا ... ولــيس لها في الشَّاربيــنَ مُثِـيبُ[5]

مَدارُكِ فيها ياابنَـــةَ الإثــمِ ضَيِّـــقٌ ... ولكنَّـــه للواغِليـــــنَ رَحــيبُ

ومـــا هوَ إلا مَأْزِقُ الضَّنْكِ والأَسى ... وعُقباه يَأسٌ قاتِــلٌ ولُغـــوبُ

* * *

أَضَعْتَ على فجرِ الشَّبابِ هِدايَـــةً ... فمـــا أنتِ منها والـمَشيبُ غروبُ ؟

---

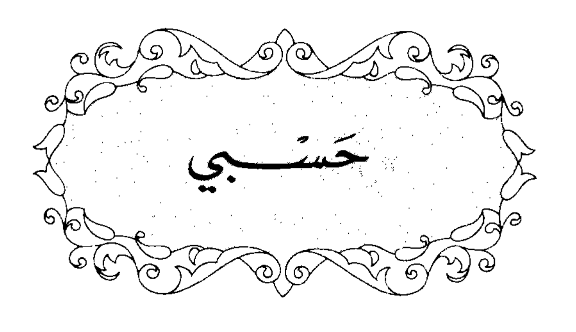
(١) يَثيب : يكافىء ويجازي (من الثواب) . وقد تعني : يُعيد ويُرجع .

(٢) نثوب : نرجع ، ونتوب .

(٣) نَفرة الكرى : هروب النوم . ساري الرؤى : أحلام الليالي .

(٤) تَلُوب : تحوم حول الماء عَطَشاً .

(٥) مثيب : عائد وراجع . وقد تكون اسم فاعل من أثاب .



حَسْبي

حَسْبِي بما حَمَلَ الفؤادُ وما لَقِي … كَمْ ذا أُصانِـع في هواكَ وأَتَّقِـي ؟

وَعَـلامَ تَلْقـاني بِوَجـهٍ مُشرِقٌ … تُخفِي طلاقتُـهُ جَهامَـةَ مُطـرِقِ؟[1]

ماذا يَصُدُّكَ عن هَوايَ وَدُونَـه … نَجوَى ضميرِكَ - إذْ تقولُ - ومَوْثِقِي ؟

قد كنتَ تَهـزَأُ بالصِّعابِ فمـا لها … رَدَّت خُطـاكَ ، ومـا لنا لا نَلْتَقِي ؟

هانَتْ عليكَ مَواجِعِـي فَنَسِيتَهـا … أَمْ كنتَ في مَسْعاكَ غَيْرَ مُوَفَّـقِ ؟

بَلْ قد مَنَعتَ ، ولستُ أوَّلَ راغبٍ … فَجَعَتْـهُ في رَغَباتِـهِ يَدُ أَخْـرَقِ[2]

ولقـد تُجَشِّمُكَ الرَّغـائِبُ مُرتَقـىً … صَعباً ، فَمَن لَكَ أَنْ تكونَ المُرْتَقِي؟[3]

ولقـد دَعَـوتُكَ للخِطَـارِ فَهِبْتَـهُ … وأَجَلْتَ في عُقْبـاهُ رَأْيَ المُشفِـقِ[4]

ومِنَ الغرائبِ أن أَسُومَكَهُ وهـل … يَرجـو المعونَـةَ مُوثَـقٌ من مُوثِـقِ؟[5]

وتُسيءُ ظَنِّـي فيكَ فَتْـرةُ سَائِـمٍ … فَتَـرُدُّني عنها عُلالَـةُ شَيِّـقِ[6]

وَأَمَـا وَحُبِّكَ ما الرَّجـاءُ بِمُسعِدِي … إنْ كانَ حَظِّي ، منكَ ، حَظَّ المُخفِقِ

* * *

(١) الجهامة : عبوس الوجه .

(٢) الأخرق : الأحمق .

(٣) تجشّم الأمرَ : تكلّفه .

(٤) الخِطَار : جمع الخَطَر . المشفق : الخائف الحذر .

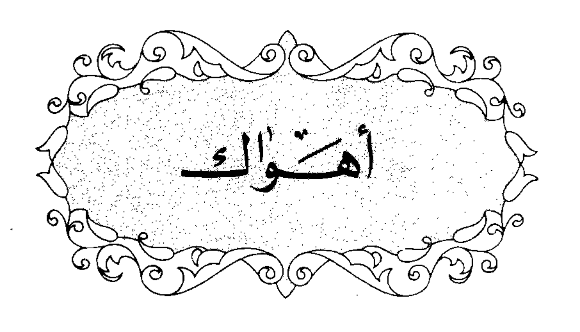
(٥) أسومكه : أسومك إياه . وسام فلاناً الأمر : كلّفه إياه وألزمه به . الموثَق : اسم مفعول من أوثق بمعنى ربط وشدّ يديه أو رجليه بحبل أو سواه .

(٦) الفترة : الضعف والانكسار ، ومن معانيها : المدة . سائم : الذاهب على وجهه من غير هدى .
العُلالة : ما يُتَعَلّل به أو يُتَلَهّى . الشيِّق : المشتاق .

أنكرتُ فيكَ الذُّلَّ حتَّى رُضْتَنِي — فطَوَيْتُ دونَكَ للجَهامَةِ مفرِقِي[1]
وأنا الأَبِيُّ ، وقد عَرَفتَ خلائِقِي — فاعرِفْ على حُبِّيكَ بعدُ تَخَلُّقِي[2]
يا مَوْرِدِي الفيَّاضَ ، حَسْبي وَقدَةً — ممَّا يُنازِعُنِي إليكَ تَحَرُّقِي
العابثُ اللّاهي حِيالَكَ ناهِلٌ — والعاشِقُ اللَّهفانُ لَمَّا يَسْتَقِ
أَلْقاكَ مَشبوبَ الجَوانِحِ لاظِياً — غَصَّانَ ، أَسبَحُ في الضِّرامِ المُحرِقِ[3]
مُتوقِّدَ الأنفاسِ ، أَصمُتُ والسَّنا — لو شِئتَ شَعَّ بدائعاً في مَنطِقِي
ماذا فعلتَ بقلبِ حُرٍّ قادَهُ — غَيُّ الصَّبابَةِ في هَوَاكَ المُزْلِقِ ؟
قد كنتُ قبلَ هواكَ أخطِرُ ضاحِكاً — بفؤادِ موصولِ المَسَرَّةِ ، مُطلَقِ
متهلِّلَ القَسَماتِ ، يَرْتَفِقُ الهَوَى — سِحْري ، ويَحتَبِلُ المفاتنَ رَوْنَقِي[4]
واليومَ أُطرِقُ في مَقامِكَ صامتاً — وَتُرى لِغَيري نُهزَةُ المُتَشَدِّقِ[5]
أنا ذلك الصَّدَّاحُ أَخرَسَنِي الأَسى — وَلَكَمْ منحتُكَ كلَّ لحنٍ مُشرِقِ
أيامَ تَعرِضُ لي ، فَترتَجِلُ المُنَى — شِعْرَ الهوى ، كالعارِضِ المُتَدَفِّقِ[6]
فَتُعيدُه شفتاكَ سِحراً رائعاً — يُزْري بكُلِّ مُنضَّدٍ وَمُنَسَّقِ[7]
وَتُدِيرُ منه – وقد طَرِبتَ – سُلافَةً — تَدَعُ الكَليلَ يُريغُ شَأوَ المُفْلِقِ[8]
والكونُ حَوْلَكَ سابحٌ في حُلْمِهِ — في مِثلِ هَالَةِ وَجهكَ المتألِّقِ
والحَقلُ محتَفِلٌ يطارِحُهُ الهَوَى — أسرارُ حسنِكَ ، ضاحكاً ، وتَعَلُّقِي

---

(١) راض المُهر : ذَلَّله وطَوَّعه . المفرِق : – هنا – كناية عن الوجه .
(٢) حُبِّيك : حبي إياك .
(٣) اللّاظي : اللاهب من اللَّظَى . الغَصّان : الذي صار في حلقه غُصَّة ، وهي بمعنى : غاصّ .
(٤) ارتفق : انتفع ، استعان . الرّونق : البهاء والحُسْن .
(٥) النُّهزَة : الفرصة . المتشدّق : الرجل يلوي شفتيه بالكلام يتفاصح .
(٦) العارض : السحاب .
(٧) أزرى به : تهاون به وقصَّر .
(٨) السُّلافة : أفضل الخمر وأخلصها . أراغ : طلب ، أراد ، راود . الشأو : الهمة ، الغاية .
المفلق : الحاذق المعجِب .



أهواك

أَهواكَ تَمنَحني الرِّضا ، أو تَبخَلُ ... أنا ، في هَواكَ ، القانِتُ المُتَبَتِّلُ[1]

طلَّقتُ أسبابَ الحياةِ وَعِفْتُها ... حتَّى استبَاني وَجهُكَ المُتَهلِّلُ[2]

وظمِئتُ لا تَروِي المباهجُ مُهجَتي ... حتَّى بَدَا من ناظِرَيْكَ المَنهلُ

فَنسيتُ آلامَ الحياةِ وَبَرْحَها ... وغَدَوْتُ لا أَشكو ولا أَتملمَلُ[3]

نَشوانَ ريَّانَ المطالبِ فائضاً ... أَمَلاً ، وأنتَ المُنعِمُ المُتفَضِّلُ

يا جَنَّةً ، فاضَت مفاتِنُ حُسْنِها ... هِيَ لِلْخلودِ مِثالُه المُتَخَيَّلُ

رَفَّتْ معاني الحُسنِ واحتَشَدَت بها ... وَشَدا الهَزارُ بها وغَنَّى البُلبلُ

وتعانَقَت فيها الغُصون رواقِصاً ... جَذلاً يُعَبِّرُ عن هَواها الجَدولُ

وَجلا الخَيالَ بها رَوائعُ حُسْنِهِ ... أَخَّاذةً ، بفتونِها ، تَتَسَلْسَلُ

وَسَرَت بها النَّسَماتُ عاطِرةَ الشَّذَا ... الزَّهْرُ يَحسُد طِيبَها والمَنْدَلُ[4]

حَرَمي الأَمينُ بها ومَأوى وَحْدَتي ... وَمَلاذُ آمالي،ونِعْمَ المَوْئِلُ

الشَّمسُ فيها ، ما يَغيبُ شُعاعُها ... والبَدرُ ، فيها ، مُشرِقٌ ما يَأفُلُ

تَحْنو عَلَيَّ ، وَفِيَّةً وتُنيلُني ... ما ليس لي مِن بَعدِهِ مُتَعَلَّلُ

---

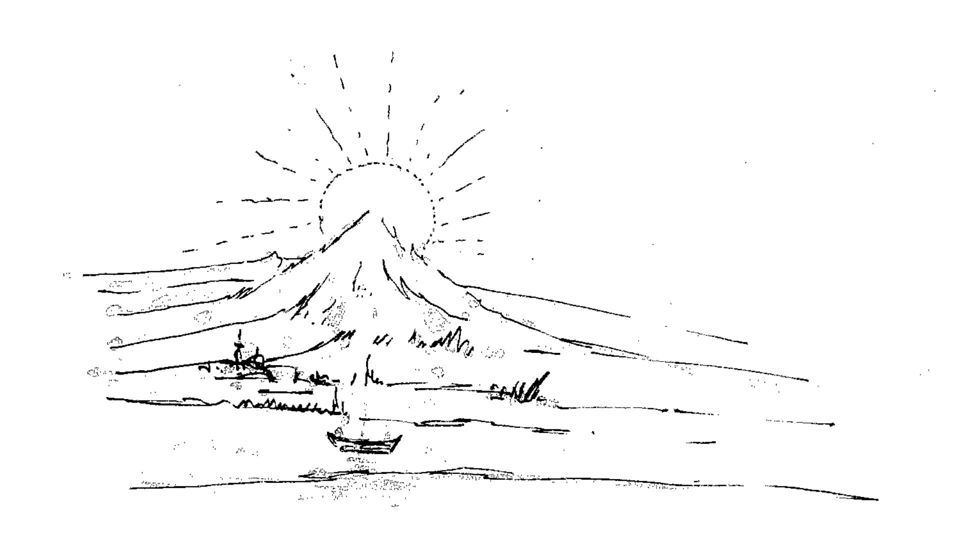
(١) القانت : المطيع ، الخاضع . المتبتّل : المتفرغ ، المنقطع .

(٢) استباني : أسَرَني .

(٣) البَرْح : الشدة ، العذاب الشديد .

(٤) المندل : العود الطيب الرائحة .

أنـا منكَ في دُنيـا نَعيـمٍ خالـدٍ   تَفْنَى الرَّغائبُ ، وَهْوَ لا يَتَبَـدَّلُ
هيهاتَ يَسْلبُني الزَّمـانُ سعـادتي   في ظِلِّهـا ، أَو يَستَبينـي مَأْمَـلُ
والحُبُّ ، إِنْ صَدَقَ الوَفاءُ ، سعَادةٌ   يَعْنُو الزَّمانُ لِما تُريـدُ وَتكفُـلُ





مُنَاجَاة

هَيهَاتَ لا أَمَلٌ أَجْدَى ولا لَهَفُ وهل يُفيدُكَ في عُقبَى المُنَى أَسَفُ ؟

ما لا تُبَلِّغُكَ الأَفعالُ جاهدةً فكيفَ تَضمَنُهُ الآمالُ والصُّدَفُ ؟

قَلبي ! وهل كنتَ قلبي يومَ تَحمِلُني على أَمانِيكَ يَحدُو زُورَها السَّرَفُ ؟

غَرَّرْتَ بي فَأَضَعتُ الحَزمَ مندفِعاً على ضياءِ خَيالٍ تحتَه السَّدَفُ [1]

كانت سُوَيْعَةَ رِيٍّ بعدَها ظَمَأٌ وعَدلَ يومٍ تَنَاهَى بَعدَه الجَنَفُ [2]

خَطَّرتَ بينَهما نَشوانَ مُنطَلِقاً لا اللِّينُ يَثنِيكَ عن لَهوٍ ولا العُنُفُ

فَاحمِلْ على تَبِعاتِ الجهلِ ما تَرَكَتْ لكَ البَوادرُ ، فالأَيَّامُ تَنتَصِفُ [3]

قلبي ! وما كنتَ قَلبي يومَ وَدَّعَني لم يَثْنِهِ الدَّمعُ عمَّا رامَ واللَّهَفُ [4]

هلا استبنتَ معاني الغَدرِ تُرسِلُها عَيناهُ ، أم كنتَ في رَوْعِ النَّوَى تَجِفُ [5]؟

غَرَّتكَ دمعتُه الحَيْرَى يُكفكِفُها ودونَ ما ضُمِّنَتْهُ الغَدرُ والصَّلَفُ [6]

وراحَ ! تَأْمُلُ في عقبى نَواهُ لُقىً وُعِدْتَهُ ، فَقَضاهُ الهَجرُ والخُلُفُ

وعادَ ! هل عادَ مَن يَثنِيهِ رَونَقُه عن الوفاءِ وخوفُ العَذلِ والتَّرَفُ ؟

---

(١) السَّدَف : الظُّلمة .

(٢) الجَنَف : خلاف العدل ، الظلم .

(٣) البوادر : جمع بادرة وهي ما يبدر من الرجل عند غضبه من خطأ وسوء قول .

(٤) اللَّهَف : الحزن والتحسر .

(٥) تجف : من وَجَف يجف بمعنى اضطرب وخفق خوفاً .

(٦) الصَّلَف : الادّعاء مع التكبر والغطرسة .

عَلامَ تَخفِقُ والأيّامُ ساكِنَةٌ وفِيمَ تأمُلُ والمَرجُوُّ مُنصَرِفُ ؟
أعادَ ؟ ما عادَ مَن تُلهِيهِ صُحْبَتُهُ عَمَّن يُساوِرُه في حبِّهِ التَّلَفُ
حُرِمتُ مِنه على قُرْبٍ ولو بَعُدَت بِهِ الدِّيارُ أنالَت وَصْلَه الصُّحُفُ
ظمآنُ يَحرِقُني شَوقِي وَيَعصِفُ بِي يَأسِي ، وَمَوْرِدُ نفسي حافِلٌ كَثِفُ
أراهُ حِينَ يَرانِي مُطرِقاً حَزِناً كَمَن يُغالِبُه عَن شأنِهِ الرَّأفُ
ما أطلبُ الحُبَّ عَفواً ، أعطِنيهِ هَوىً فَما يُبَرِّدُ حَرَّ الظَّامِئِ الرَّشَفُ

* * *

وَاهاً لِماضٍ ، أنيقِ اللَّهوِ ، كنتُ بهِ إلى وفائِكَ ، بالآمالِ ، أختلِفُ
يَجرِي الحديثُ ، رُموزاً ، بينَ أعيُنِنَا يَلينُ مَسرَاهُ ، تاراتٍ ، ويَعْتَسِفُ
والصَّحبُ ، بالحَفلِ ، مَشغولونَ عن بِدَعٍ تَجلو فُنونَ جَناها الرَّوضةُ الأُنُفُ
واليومَ يَثنيكَ عن داري ، وقد قَرُبَتْ ، ما لَفَّقَ الصَّحبُ عن سِرِّي وما اقتَرَفُوا
ساموكَ هَجري ، على كُرْهٍ ، وقد جَهِلوا ما يَعلم الطُّهْرُ عن حُبِّكَ والشَّرَفُ
وأطلَقوا التُّهَمَ الشَّنعاءَ يَصرِفُني عَنها ، وعن دَحضِها الإيمانُ والأَنَفُ

* * *

ولو رَمَيتُ لَأصمَيتُ القلوبَ ولم يَصُدَّني العَجزُ ، لكنْ عَزَّنِي الهَدَفُ [1]
هُمْ منكَ في الحَرَمِ المَحْمِيِّ جانِبُهُ ولا وَحُبِّكَ ، لولا أنتَ ، ما عُرِفوا
وأنتَ دُونَهمو قُرْبَى وآصِرةً لولاك ما اتَّفقوا فينا ولا اختلفوا
لقد ألِمْتُ فظنُّوها شجاعَتَهم وأنتَ بَينَهُمو تَرمِي وتَنْعطِفُ

---

(١) أصمى : أصاب الهدف .

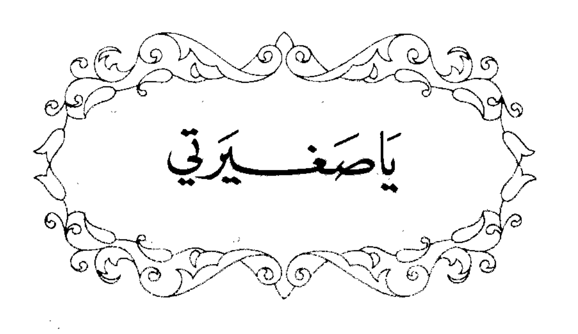
بي مِنهُمُو فيكَ ، لا كانَت أَواصِرُهم ، ومِن صُدودِك بَرْحٌ فوقَ ما أَصِفُ
كأَنَّ في النفسِ بُركاناً يَثورُ بها يَطوِي أمانِيَّها الحَرَّى فَتَنْخَسِفُ
فالكونُ حولِيَ مَطمُوسٌ تُراوِدُهُ رُؤَى المَفَازِعِ تَسْتَخفِي وَتَنْكَشِفُ
أَجولُ فيه بِعينٍ حارَ ناظِرُها تَبغي الرَّجاءَ وتأباها لها السُّجُفُ[1]
إذا تَنَوَّرتُ في ظَلمائِها طَرَفاً غامَ الدُّجى فَتَوارى ذلِك الطَّرَفُ
أتلكَ نازِلةُ المَقدورِ تَفجَعُني أم غايةُ الأَمَلِ المَهدورِ تَرتَجِفُ ؟
لقد عَرَفتُ طريقَ الرُّشدِ أَسلُكُهُ لو كان لي عن هَواكَ الوَحْفِ مُنْصَرَفُ[2]
أَخذَتْني إخذَةَ الجَبَّارِ فانقَطَعَت بِيَ السَّبيلُ ، فما أَلوِي ولا أَقِفُ[3]
إسْأَلْ صَحَابتَك الجانينَ كم لَعِبَت بهِمْ دَواعي الهَوَى والحُسْنُ والهَيَفُ ؟
أكنتُ جانِيَها وَحدي ، ولا بَقِيَتْ ، أم أَنَّني ، دونَهم ، غَيَّانُ مُنحَرِفُ[4] ؟
لقد عرفتُ نبيلَ الحبِّ تَكْلأُهُ فَضائلُ الخُلُقِ السَّامِي ،فهل عرفوا ؟

* * *

أدعوكَ دعوَةَ مَشبوبٍ على ظَمَأٍ فَلْيَفعَلِ الجُود إنْ لم يَفْعَلِ الشَّغَفُ[5]

★ ★ ★

(١) السّجُف : مفردها السّجاف وهي السّتر أو ما يركب على حواشي الثوب .
(٢) الوحف : النازل ، الراسخ ، المقيم ، الكثير .
(٣) لوى : انعطف وانتظر .
(٤) غيان : ضال ، منحرف ممعن في الضلال .
(٥) المشبوب : الرجل الذكي الشهم ، المتوقد حرارة وشباباً . الشّغَف : الحبّ الشديد .



ياصَغيرَتي

حَدِّقي فِيَّ عابساً أو طروبـاً   لا تُراعِـي لِظاهـري أو تُسَرِّي

لكِ مني صَدرٌ رحيبٌ ، وإنْ ضا......قَ بما في الحياةِ ذَرْعـاً ، فَقَـرِّي

والثِمـي وَجْنَتَـيَّ لَثمـاً عَنيفـاً   وَكِلِي لِليدَيـنِ تَجْمِـيشَ صَدري

والصقي وجـهَكِ الصَّغيـرَ بِكِتْفِـي   واجـعَلي من يَدَيكِ طَوقـاً لِخَصري

واهجُمـي تارةً بجسمكِ ، ألقِيـ......ـهِ بعنـفٍ يَهُـزُّني فوقَ حِجـري

وإذا راقَكِ الـوصولُ إلى رأْ......سِي لكي تَعْبَثِي قَليـلاً بِشَعْـري

فاقفِـزي قَفـزةَ المُجـازِف فِي حِر......صٍ ، تكوني فِي لحظةٍ فوقَ ظَهـري

وافـعَلي بي ماشئتِ ، وافترضِينـي   (لُعبـةً) بادَلَـتْكِ فَرًّا بِكَـرِّ

فقريبـاً ستصبحيـنَ فتـاةً   لا تَرى الشَّمسُ حُسنَها ، ذاتَ خِدْرِ

حَدِّثينـي ، أَلَا يَروعُكِ بُعـدِي   بَعـدَ طولِ ائتلافِنـا ؟ يالِذُعْـرِي

واسألينـي ماذا تكـونُ حيـاتي   إنْ خَلَت منكِ ؟ يانَضارةَ عُمْـري

ليتَ شِعري لِمَن تكونينَ بَعدي ؟   ياحَياتي وَقِبلتـي ، لَيتَ شِعـري

أَقسِمـي لي بِحُبِّ (أُمِّكِ) أَنْ لا   تَتَناسَيْـن يومَ عُرسِك ذِكـرِي

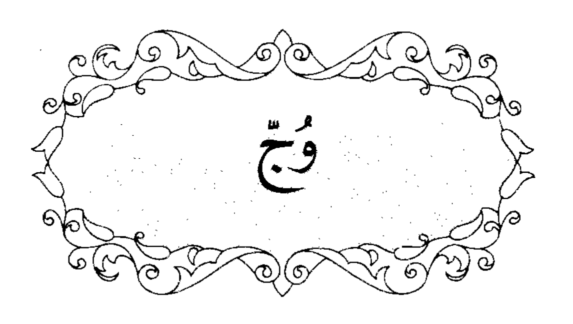
اُذكـري ذلكَ الشَّقـيَّ ، اذكريـهِ   فلقـد كان يَرتجيكِ لأمْـرِ

سوفَ أَحيا ، نَعَم ، ولكنْ حياةً   تَتَهـاوَى بها عوامـلُ قَهـري

وسأبقـى معذَّبـاً مفعَـمَ القلـ......ـبِ شُجونـاً وأَستعيـنُ بصبري

قانعـــاً من أَليـــمِ عَيْشِيَ بالذِّكـــــــ......ـرَى أُداوي مريرَهـــا بالأَمَـــــرِّ
فإذا ما سمعتِ يومـــــاً بِمــــوتي فَاتْبَعِينـــي إلى سَحيــقِ مَقَــرِّي
واذرِفي دمعــــــةً على جَسَدي الها......مِدِ ، تَنْـــــدَى لها جوانبُ قَبري
وَتَنــاسَيْ نِهايَتــــي ، أهمِـــليها فَهْـــيَ لا تستحـــقُّ لَفْتــةَ فِكـــرِ





وُجّ

إنَّ وُجّــاً ، وسامَــحَ اللهُ وُجَّــاً   لم يَدَعْ لي ، إلى السَّلامــةِ نَهجَــا[1]

كان لَيلِــي به مَسيِــلاً من النُّــو   رِ يُغَشِّي جوانبَ العــيشِ وَهْجَــا

فأنــا اليــومَ بعــدَه في ظلامٍ   أَنتَحِيهِ وَعْــراً ، وأَطويــهِ لُجّــا

بين قَيدَيـنِ .. بيـنَ ضِيقٍ وعَجــزٍ   كلَّمــا قرَّت المواجــعُ لَجّــا

يا رمالَ الـوادي الحبيبِ ، تناسَيْــ   ـتِ طويـلاً هذا العَليـلَ المُسَجَّــى !

إنَّــه جارُكِ القديــمُ ونَجْــوا   هُ لِعهــدٍ من الوفــاءِ مُرَجَّــى

أطلَــقتْ ذكرياتُــهُ دمــعَ عَينــي   بالــذي سَرَّ في هَواكِ وأَشْجَــى

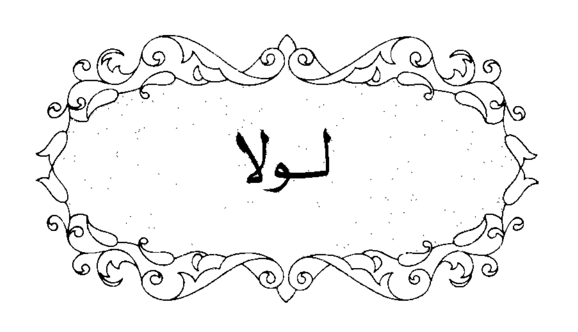
أَتَــراني إلــيكِ أستقبــلُ الفجــ   ـرَ مَلاذاً بِعَدْوَتَــيْكَ ومَنْجَــى[2]؟

كذَبَ العــيشُ بعــد يومِكَ ياوُجُّ   مَريــراً ، والعُمْــرُ بعــدَكَ فِجّــا

* * *

(١) وُجّ : وادٍ بالطائف .

(٢) العَدْوة : المكان المرتفع ، شاطئ الوادي وجانبه .



لـولا

لولا تكونُ على الخِطَارِ مُعَنِّفي ... لَرَكبتُ فيك ضلالةَ المُستَهدَفِ[1]

وقَضيتُ للشَّوقِ القَديم لُبانَةً ... راضَ الزَّمانُ لها جِماحَ المُخلِفِ[2]

ونَشرتُ ما طوَتِ الظنُّونُ بِسالِفٍ ... من عهدِنا ، في حاضرٍ مُستَأْنَفِ

فعَلامَ يأخذُ ذو الغَليلِ فؤادَه ... بأَحَرَّ من لاظِي هَواهُ ، وأعنَفِ

والحُسنُ مَطوِيُّ الشُّعورِ على هَوَى ... عشَّاقِهِ في قسوةٍ ، وتلطُّفِ

والعيشُ نُهبةَ ناهبٍ مُتَحَيِّفٍ ... كالعيشِ مَطلبَ راغبٍ متعفِّفِ[3]

والجِدُّ وثبةَ غارِمٍ متعسِّفٍ ... كالحبِّ حيلةَ سالكٍ متلطِّفِ

جُهدُ النفوسِ فَمَنْ حَمَى بقُطوبِهِ ... حقّاً ، تحقَّرَ بسمةَ المتزلِّفِ[4]

* * *

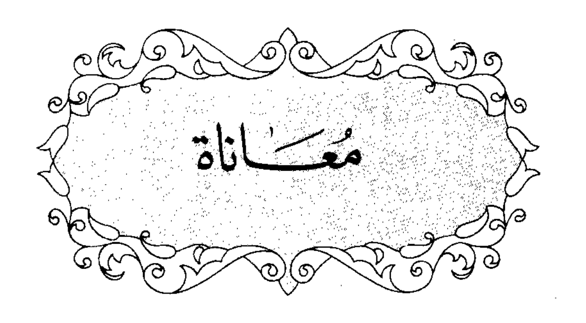
---

(١) الخِطَار : مفرده الخَطَر . ويجمع كذلك على أخطار – سبق شرحها – .

(٢) اللبانة : الحاجة . راض : ذَلَّل .

(٣) المتحيف : غير عادل ، جائر .

(٤) تَحقَّر : استحقر واستهان .



مُعَاناة

زادَته في الحبِّ عُقبَى أمرِهِ رَهَقا عَانٍ بِجَنبِيَ يَهفو ثائراً قَلِقا[1]

يَظلُّ إن ذَكَر الماضي وَفِتْنَتَه غَصّانَ راحَتُهُ أن يلفِظَ الرَّمَقا[2]

تُحْيِي خيالاتُ ماضيهِ له صُوَراً ماتَت وخلَّفَتِ الآلامَ والحُرَقا

ورُبَّ ذِكرَى أذاقَت نفسَ باعِثِها وَيْلاً يُزَلزِلُ عزمَ الجَلد والخُلُقا

يا قلبُ غرَّك من ماضيكَ رَونَقُه وأنَّ حظَّك فيه كان مُؤتَلِقا

وأنَّ مسرحَ لذَّاتِ الهوى شَرَعٌ حَوَى الحياةَ مدًى ضمَّ الهوى أُفُقا

وأنَّ جَدولَكَ السَّلسالَ مطَّرِدٌ على حِفافَيْهِ ينمو الزَّهرُ متَّسِقا[3]

يلقاكَ بالورِدِ طَلْقاً من مَناهِلِهِ وبالمفاتنِ يَسبِي سِحرُها الحَدَقا

رَفَّتْ عليه مَعاني الحُسنِ سافرةً فاقَت بما ذابَ من ألوانها الشَّفَقا

وأنَّ مِحرابَكَ القدسيَّ كنتَ به ألعابدَ الفَردَ يَحبوكَ الرِّضا غَدَقا

---

(١) الرَّهَق : الظّلم والسَّفَه . عان : اسم فاعل مشتق من الفعل : عَنَا يعنو عناء : بمعنى تعب .

(٢) الرَّمَق : بقية الحياة .

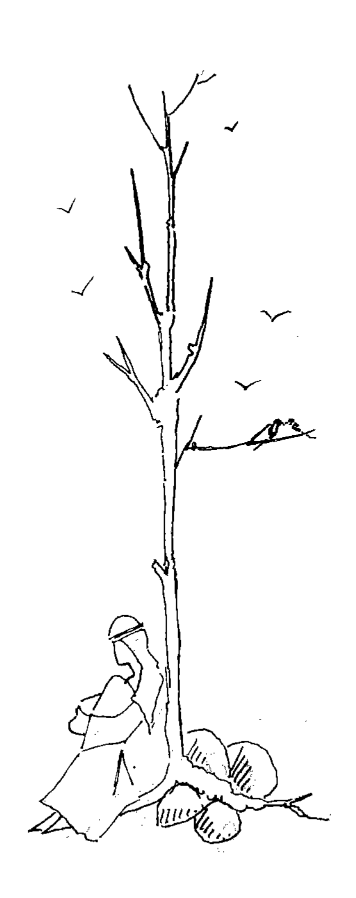
(٣) حِفافَيْه : جانبيه . مفردها حِفاف .

تُقيـمُ فيـه فُروضَ الـحُبِّ خاشعـــةً ... أَلقَـى عليها الهَـوى من صِدقِـه أُلَقـا

فاليـوَم نُوزِعْتَ في مَثـواكَ حُـرمَتَـــه ... وعُـدْتَ تَشهـدُ من عُبَّــادِهِ فِرَقـــا

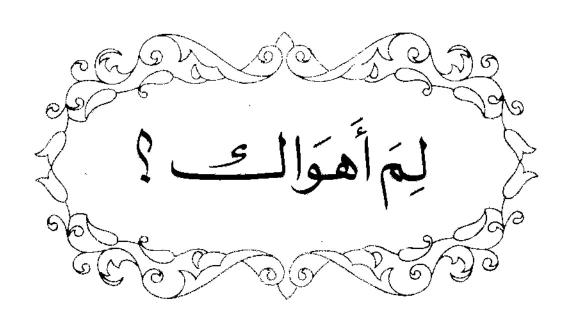
وزاحَمَــتْك على أركانِـــه مُهَــــجٌ ... عِبــادَةُ الحبِّ فيها تشُبُــهُ المَلَقـــا[1]

والماءُ ؟ لا ماءَ يا قلبـي فَمُتْ ظَمَـأً ... وَدَعْ مدنَّسَه يَهـــلِكْ به شَرِقـــا[2]



(١) المَلَق : الودّ واللّطف باللسان لا بالقلب .

(٢) الشَّرِق : الغاصّ .



لِمَ أهواكَ ؟

يا حبيبي ، يا مُلتقى السِّحرِ والفِتْـ ... ـنَةِ ، يا غَالِبـي على أمـرِ نَفْسي !
لِمَ كانتْ – ولا أَسُومُكَ لَوْمـاً – ... قِسْمَتـي في هَواكَ قِسْمَـةَ وَكْسٍ؟[1]
أَلِأَنِّـي آثَـرتُ في حُبِّكَ القَـا ... هِرِ عِزِّي ، ذَهبتَ تَطـلبُ نَفْسِي ؟
أَمْ لأنّـي ضَحيَّـةُ الألـمِ الصّا ... مِتِ أَطوِي على المَواجِـعِ حِسِّي ؟

* * *

لِمَ أَهـواكَ ؟ أَيُّهـا المُفعِـمُ النَّفْـ ... ـسِ ، شُجونـاً ، وحَيْرةً ، وشَقَـاءَ ؟
أَلِحُسْنٍ ؟ فَالحُسنُ في البدرِ والزَّهْـ ... ـرةِ أَنـدَى وَقْعـاً وأَضفَـى رُواءَ ؟
أَم لِمعنـى شَفَّتْ مَفاتِـنُكَ العَـذْ ... بَةُ عَنْـهُ ، فكـادَ أَن يتـراءَى ؟
فالمَعاني في الكونِ ، لَيسَتْ على الإنـ ... ـسانِ وَقفاً ، إلّا هَوىً ، وادِّعـاءَ

* * *

والمَعاني بِوَحْيِها ، ومدى الوَحْـ ... ـيِ عَميقٌ ، فيما يَضُمُّ الوُجـودُ
فَتَراها في قطعة الأرضِ والصَّخْـ ... ـرَةِ ، شِعْـراً لم يُبْلِـهِ التَّرديـدُ
وَتَراهـا في نَأمَـةِ الـطِّير للطَّيْـ ... ـرِ نَشيداً ، لم يَجرِ فيه القَصيـدُ[2]
وَتَراهـا في لَفتَـةِ الظَّبْـيِ للظَّبْـ ... ـيَةِ ، سِحراً يُبْدي ، وَحيناً يُعيدُ

* * *

---

(١) الوَكْس : الغَبْن ، الخسارة .
(٢) النأمة : الصوت الضعيف ، النغمة .

وتَراهــا فيمــا تَرى من جَميــلٍ وقَبيــحٍ ، وهَيِّـــنٍ ، وَعَظيـــمِ

صُوَراً حَيَّــــةً يناجـــــيكَ منها أَلْـفُ وجــهٍ من كالِــحٍ وَوَسِيـمِ

كُلُّ وَجــهٍ دُنيــا بتــاريخه النَّـا........بِضِ ، تَصْبَـــى بحادثٍ وقَديـــمِ

وفَضاءٍ لا يعرِفُ الحَدَّ ، والقَيْــ.........ــدَ ولا وَغْـرَةَ الضَّنَــى والسُّهــومِ[1]

* * *

أَمْ لِحُسنٍ ، والحُسنُ في البُرعمِ المَكْـ........ـمُوم ، لُطفٌ يَسرِي ، وَرُوحٌ يَرِفُّ

وَهْـــوَ في مَولــدِ الرَّبيـــعِ حيــاةٌ تَتَصَبّـــى ، وفتنــــةٌ تَستَخِـــفُّ

وَهْـــو في لَفتَــةِ الخريــفِ وداعٌ ودمـــــوعٌ ثرَّارةٌ ، ما تَجِـــفُّ

وَهْـو في عُزلــةِ الشّتــاءِ انقبــاضٌ وَصُموتٌ ، يُعدِي المشاعرَ – وَحْفُ[2]

* * *

وَهْـو في وَقـدَةِ الظَّــهيرةِ شكــوى مُرهَــقٍ ضاقَ بالظَّـــهيرةِ ذَرْعــا

وَهْـــو في هَمسَةِ الجداولِ لَحــنٌ طابَ في مَسمَــعِ الطَّبيعــةِ وقعــا

وَهْـو في مُلتقَــى الزُّهــورِ حديثٌ لم تُضيِّــعْ له النَّسائــمُ رَجْعــا

وَهْـو في الأرضِ والسَّمـاء جَمــالٌ يَتفشَّى هَوًى ، وَيَـنسابُ لَمْعــا

* * *

أَلهذا أَهــواكَ ؟ يا مُثقِــلَ القلــ.........ــبِ بِهَــمٍّ من الشَّقــاءِ طويــلِ ؟

أَمْ لذُلٍّ أَذَقتَنــي منــه ما أَظْـــ........ـمَـأَ روحــي على رِواءِ مَخــيلي؟[3]

---

(١) الوغرة : شدة توقد الحرّ . الضّنَى : المرض ، السقام ، الهزال الشديد . السّهوم : من سَهَم يَسهَم وسَهُم يسهُم : أصابه حرّ السَّموم فتغير لونه .

(٢) الصُّموت : والصّمت بمعنى واحد ، عدم النطق .

(٣) الرِّواء : الكثير المروي .

أَمْ لِهـذا الفتـونِ يَرْوِي به غَيْـــرِيَ غُلّاً ، ومـا يَبُـلُّ غَلـيلي؟[1]
أَمْ لجهـلٍ عَرفتُ سِيمـاءَه فيـــكَ ، وشأنٍ من الـذَّكاءِ ضئيلِ ؟

* * *

أَتَراني أُهواكَ حقّاً ؟ فمـا فيـــكَ لِمثْلي مَعنًـى يُمـازجُ حِسِّي ؟
أم تَراني أهـواكَ زُوراً ؟ فَلِمْ يُصبـــحُ قلبـي على هواك ويُـمسِي ؟
أم تَراني أحِبُّ فيكَ - ومـا أشْـــعُرُ - نفسي ، وأنتَ عندي كنفسي ؟
لَأنـا منكَ في سبيـلٍ من الحَيْـــرَةِ تُضنِي عقلي ، وَتُثقِـلُ حَدْسي[2]

* * *

لستَ تَدري ! نَعَم ، ولا أنـا أَدري لِمَ تَهفـو إلى لِقـائكَ رُوحـي ؟
ولماذا أكـــونُ فيكَ ، كما تَرْ ـــسُفُ في السِّجنِ ، فكرةُ المكبوحِ ؟
ولماذا أكـونُ إنْ غبتَ في دنـــيا سَؤومٍ ، جَمِّ الكُروب ، طليحِ ؟
فإذا لُحتَ أَشرَقَتْ ، وَتَلَقَّتْـــني بوجه طلـقِ المحيّـا صَبيـح

* * *

لستُ أهواكَ - لا هَويتُكَ - للحُسْــنِ ، فهـل فيكَ غيرُ حُسنٍ عَليلِ ؟
لا ولا للشَّبـابِ ، والعُمُـرِ الغَـــضِّ ، فعُمْرُ الشَّباب غَيرُ طويلِ
لا ولا للشّعـور أو لمحة الـحُسْـــنِ ، هُما فيك مثلُ رسمٍ مُحِيلِ[3]
ومجالُ الحيـاة أحفَـلُ بالـحُسْـــنِ ، ولكنَّـه شَقـاءُ العقـولِ

* * *

(١) الغُلّ والغليل : أشد العطش .
(٢) الحدس : الظن والتخمين .
(٣) المحيل : من حال لونه إذا تغير . والمحيل : الذي أتت عليه أحوال وغيرته .

أنتَ في فِكـــرتي عَنـــاءٌ وقَيـــدٌ وبقلبـــي أسىً يَلِـــظّ شُعـــوري[1]
يَبسِمُ النّـــاسُ للحيــــاةِ وأُغضِي دونَ غايـــاتِ لَهْوِهـــم كالأسيـــرِ
حالَ حُسنُ الحياةِ والنّورُ في عَيْـــــنِي ، فنفسي تَهيم في دَيْجـورِ
وأراني أستَـرْوِحُ النسمــةَ الحَيْــــــرَى ، وجَدواك لي كجَدوى الهَجيرِ

* * *

أيَّ حالَيْكَ أشتكي ؟ أنتَ في القُـــــرْبِ ، وفي البُعدِ مَطمَعٌ مَمْطولُ ؟
وكَمِ ارتَحْتَ لي بجملـةِ ما فيــــكَ ، فلم يَرْوَ لي عليـه غَليــلُ !
أوراءَ السِّمـاتِ من حُسنِك الـذّا بِلِ ، وِرْدٌ بما أريــد حَفيــلُ !
لستُ أدري،أذاك من صُنــعِ وَهمي فيكَ أم أنَّـــه جَمـال أصيــلُ ؟

* * *

لَتَمَنَّيْتُ أن أكــونَ عَبيراً ضَلَّ مَسْراهُ ، في جوانبِ صدرِك
أَوْ دمـاً شَفَّ في عُروقكَ عن سِــــرِّ مَعانيكَ ، في مفاتن سِحـرِك
أو خيــالاً يجولُ في قلـبكَ السَّا ذَجِ ، قَرَّت فيـه حقيقـةُ أمـرِك
أو كلامــاً يَدور في فِيكَ سَكْـــرانَ ، أطـافتْ به حلاوةُ ثغـرِك

* * *

لِأَرى ما الـذي يُتَيِّمُنِـي فيـــكَ ، وألقاك خَلفَ هذا الحجابِ
فأنــا ظامــئٌ إلى كُنْـهِ ما فيـــكَ - فما أرتضي فُضولَ الشَّرابِ
لستُ بالمستريـحِ فيكَ إلى الغــايَةِ ، لو نِلْتُ من مُنَـايَ طِلَابِـي
ذاك ظنّي ، لكنَّهـا ضَلَّـةُ الحُـــبّ ، تريني ضَحْلَ الهوى كالعُبابِ

* * *

---

(١) يَلِظُّ : يلزم ولا يفارق .

فتكشَّفْ عمَّا انطوَيْتَ عليهِ   لِأَرى في هَواك نَهجَ الصَّوابِ
فأنا مِنك في بَلاءٍ أعانيهِ ، ولوْنٍ من المعيشةِ كابي
وجهادٍ ضاقتْ به النَّفسُ ذَرْعاً   وصعابٍ موصولةٍ بصعابِ
أنتَ دانٍ ، لكنَّ (ما فيك) ناءٍ   وسبيلُ الحياةِ دونَكَ نابي

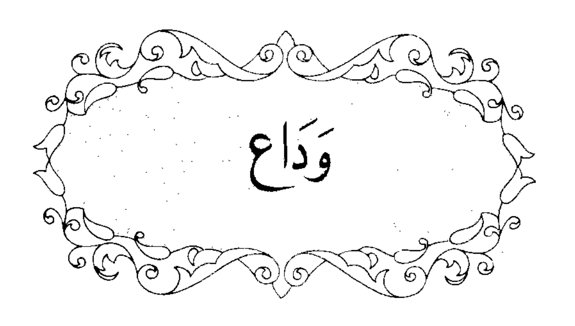
* * *

أَنصيبي من الهَوى هذهِ الوَقْدَةُ ، يَشْقَى بِها فُؤادِي اللَّهيفُ ؟
أفأنتَ الجَاني عَلَيَّ وإلاّ   هُوَ فكري الظامي وحسّي العَطوفُ ؟
وهما فيك ثائرانِ عَفيفانِ كما ثار في القيود الرَّسيفُ
طَلَبَا فيك ما أضلاّه من حُلْمٍ (وما فيك) ظاهرٌ مكشوفُ

* * *

وكذا يَطلبُ الخَيالُ الأماني   وَهْو عن واقع الحياةِ عَزوفُ
والهوى - كالحياةِ - قد يبلغُ الجارِمُ منها ، ما لا يَنالُ العَفيفُ
رُبَّ نفسٍ نالتْ مُناها على العَيْشِ ، وأخرى نَصيبُها التَّسويفُ
وَهْي دُنيا الشُّذوذِ يرتفعُ الجاهِلُ فيها ، ويُستَذَلُّ الحَصيفُ

★ ★ ★



وَداع

وَداعٌ ، وهَل لي أَن أَقولَ : إلى لُقَى　　　وبُعْـدٌ ، ومَـن لي أَن أراه تَمزُّقَـا ؟
وفَرحَةُ نَفسِي ، فَارَقَتْهـا ، وَأَدبَـرتْ　　　وكان بها روضُ الـمَسَرَّةِ مُونِقـا
ودنيا هَوًى طَلْـقٍ يُصيبُ به الهَـوَى　　　طِلابَ مُنَـاهُ ، كيفمـا شاءَ مُطلَقـا
أشاحَت ، ولم تَرْعَ الذِّمامَ ، ولو رَعَت　　　لأَبقَت على قَلبـي الكَليـمِ تَرَفُّقـا

* * *

فيا حُسْنُ ما أقسى احتكامَكَ إنْ هفا　　　بكَ الزَّهْـوُ لم تَحفِـلْ لِعانِـيكَ مُوثَقـا !
ويا لَيلُ سامِرْني على السُّهد والجَوَى　　　فمـا زلتُ ألقـاكَ السَّميرَ المُوفَّقـا
وعُدْ بي إلى الماضِي القريبِ ، وإنْ غدا　　　بَعيـداً وإنْ أذكَـى الشُّعورَ مُرَهَّقـا
فَقَـدْتُ وإيَّـاكَ العَـزاءَ ، فَمَـن لنـا　　　به غيـرَ أَنْ يَشكـو كِلانـا وَيَأْرَقـا

* * *

حَنانَيْكَ حدِّثْني ، ولا تُخْفِ ما وَشَى　　　به صَمْـتُكَ الآسي هَوىً مُتَدَفِّقـا
وقُلْ : كنتُ أهواه هَواكَ ، أَلَمْ تَكُنْ　　　تُنافِثُـهُ نَجـواكَ ، غَيْـرَانَ شَيِّقـا ؟
تُنيـرُ بها أفراحَـهُ ، وشُجونَـهُ　　　وأعمقَ ما يَخْفَى إذا هَمَّ واتَّقَى
أَمـا كانَ بَدراً فاق بَدرَك بَهْجَـةً　　　أَما كانَ أسْنى منه ، وَجهاً ومَفرِقا[1]

---

(١) المفرِق : من الرأس ، حيثُ يُفرَق الشَّعَر .

أباحَتْــه دُنيــاه مفاتــنَ حُسنِهــا وحابَتْـهُ بالأعلاقِ فاختـارَ وانتقــى[1]
رَوِينـا به يا ليـلُ ، والدَّهـرُ غافــلٌ كَريمُ دَواعِي النَّفسِ أعطى فأغدَقا
تَعــزَّ ، ولا تَضْنَكْ بِبُعــدٍ أرادَهُ فإنْ كانَ قد أظْما فيـا طَالَمـا سَقَى[2]

* * *

ويا قلبُ إن يَعصِفْ بكَ الحُزْنُ فاتَّئِدْ فَكَم ضاعَ مَسعىً للقلوبِ وأخفَقـا
وحظُّك مِن دُنيـاكَ ما سَنَحَتْ به فدونَكَـهُ صَفْــواً أتى ، أو مُرْتَقـا[3]
فقـد تُخلِفُ الآمالَ سُحبٌ رَوِيَّــةٌ وتُنجِزُهـا أخفى السَّحـائبِ رَونَقـا
فيـا لَلْغَـدِ المَرْجُوِّ هل أنتَ مُقبِــلٌ فألقــاكَ بالآمالِ أم ليس مُلتَقَــى ؟
وهل يَدَّنِي النَّائي ويَصفـو به الهوى كما كان ؟ أم يَبقـى الرَّجـاءُ مُعَلَّقـا ؟

* * *

حبيبي ، ألَا عادَتْ بكَ الصَّبوَةُ التي تُخالِسُنــي عنها الكــلامَ المُنَمَّقـا ؟
تقولُ - ولا أنسِيتُ - أهواكَ شاعراً إذا قالَ بَزَّ القائليــــنَ وحَلَّقــا
وأهـواكَ نَفّاثاً لِسحــرِكَ في دَمــي وفكري ، وأهواكَ الكَذوبَ المُصَدَّقا
وتُــقسِمُ ، والأقسامُ مِن فِيكَ بَرَّةٌ ويأبَى لِنفسي كِبْرُها أن أُصدِّقــا
فصِدقُكَ غيرُ الصِّدقِ في وَزن أهلِهِ وهيهات ، إنَّ الفنَّ أصعَبُ مُرتَقَى
وأعـرِفُ أنَّ الصِّدقَ فِيك حقيقــةٌ ولـو كان مَا تُزجِيــهِ زُوراً مُلَفَّقَـا
تَشاكَلَ رَأيانــا ، كِلانــا لِنــفسِه هَوًى ، ولكـلٍّ في الهوى ما تَذَوَّقَا

* * *

---

(١) الأعلاق : مفردها : علَق وهو النفيس من كل شيء يتعلّق به القلب .
(٢) تَضنك : من ضَنَك : ضعف جسماً أو عقلاً .
(٣) مُرْتقا : من رتَقَ إذا سَدَّ أو لَحَمَ وأصلح .

وغِبتَ ، فهلاَّ عُدتَ إنْ كنتَ صادقاً ... فإنّي كَعَهــدي فِطــرَةً وتَخَلُّقَــا ؟

أَبُعْـداً وقلبـي من دُنُـوِّكَ ما ارتـوى ... ودَمعـي على أعقـابِ هَجـرِك مارَقَـا ؟

أَلِلشَّاطِـئِ المَهجـورِ بَعْـديَ فِتنَــةٌ ... وهل فيه سَلـوى عن مُقـامِكَ بالنَّقـا ؟

إذِ الحَقـــلُ يَلقانـــا فتعـــروه نَشوَةٌ ... وجَدْوَلُـه المنسابُ يَهفــو مُصَفِّقــا

وإذْ نسماتُ الحَقل تَسْتَرِقُ الخُطَى ... إلــيكَ فنلقَاهـــا ، أَرَقَّ وأَرشَقَـــا

و (ليلُكَ) يَغشانـا بألـوانِ سِحـرِهِ ... ويُصغـي إلى سِرِّ الحبيبَيْـــنِ مُطرِقــا

أَحَــــبَّكَ مِثلي ، فارتَضَيْتُ وِدادَه ... ومـازالَ أَوْفَـى منكَ عهـداً وأَصدَقـا

أعانَ على البلوى ، كما شاطر الهَوَى ... وودَّعتَ لم تعطِفْ ، وسَلَّى وأَشفَقَـا

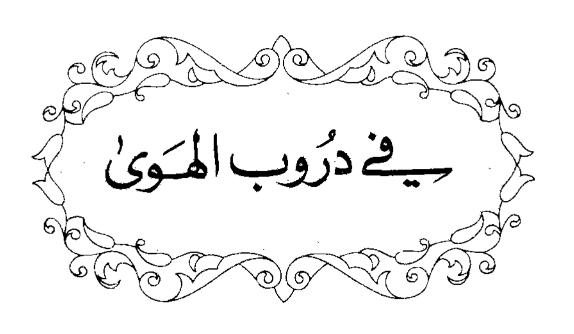
* * *

لقد كنتَ مَعنى الحُسْنِ في الحَقلِ والدُّجَى ... وفي النَّسمَةِ الحَيْرى وفي المَاءِ رَيِّقَـا

وتَـاللهِ ما أدعـوكَ للـحُبِّ والجَنَــى ... ولكنَّني أَهــواكَ للطُّهــرِ والتُّقَــى

ويا بَحرُ هل أدعوكَ للشَّمسِ مَغرِبـاً ... وقـد كنتَ للشَّمسِ الحَبيبـةِ مَشرِقـا ؟

★ ★ ★



في دروب الهوى

أمَّا الهَوَى فلقــد وُلِــدتُ ببابِــهِ ... وأَخَــذتُ ملءَ يَدَيَّ مِن أسبابِـــهِ

ووَعَــيْتُ ما عانـــيتُ من أَسرارِهِ ... مِمَّـــا يَضَنُّ بِهِ وراءَ حِجابِـــهِ

وقَطَعتُ تِيــهَ سُراهُ طَوْراً أَنْــتَشي ... في حَانِــهِ ، وأُنــيبُ في مِحرابِـــهِ [1]

ظَمـــآنَ أَرتـــقبُ الحقيقـــةَ مَوْرِداً ... لَمَّـــا أَزَلْ متعلِّقـــاً بِطِلابِـــــهِ

فإذا الهوى ؛ وإذا الحَقيقةُ في الهوى ... هَنَتَــانِ تَنْـــدَسَّانِ في آرابِـــهِ [2]

أَتَـرى الجَمـالَ سِوى حَبائِلِ دَعوةٍ ... عَصَفَت بخامِلِ صَيْدِهـــا والنَّابِـــهِ

هو مَنهجُ الأَحيـــاءِ عَبْـــرَ حياتِهِـــم ... سِيَّـــانِ راكِبُ صخــرِهِ وترابِـــهِ

ولقـد تُطالِعُك النُّفُـــوسُ بغَيـــرِ ما ... طُبِعَت عليه من الأذى وَكِذَابِـــهِ

فاخفِضْ جَناحَك للهَجيرِ ولا تَهُـنْ ... فلقـد تُصيبُ الماءَ خلــفَ سَرابِــهِ [3]

تَجري بنـا الأيامُ عاثِرةَ الخُطـــى ... أَسْرى الضَّيـاعِ نَهيمُ بين شِقَائِـــهِ

نَسعى .. وكَم نسعَى وراءَ ضَلالَةٍ ... مِمَّـــا يَبُثُّ الوَهـــمُ بين ضَبَابِـــهِ

أَمـــلٌ تفـــيضُ له النُّفُـــوسُ بَشاشةً ... فَتفـيضُ يأساً بعــدَ خوضِ عُبابِـــهِ

ليتَ الخَيـالَ وَفَى بِمـــا هامَتْ بِهِ ... مُهَـــجٌ نَجُـــودُ بها على أبوابِـــهِ

---

(١) السُّرى : سَيْر عامة اللّيل . أنيب : من أناب : رجع ، وأناب إلى الله : تاب ورجع .

(٢) الهَنَة : مؤنث الهَنِ ، والجمع : هنات وهنوات ، وهي الشرور والفساد .

(٣) ولا تَهُنْ : ولا تَذِلّ ، من هان يَهُون إذ ذلّ .

يا ليلُ كَم نَطوي الجِراحَ على الأذى ... ونَـذوبُ في بَرْجِ الأَسى ومُصابِـــهِ

يا ليلُ ضاقَ الصَّبْرُ من طُول السُّرى ... بالصّـابريـــنَ تَلَفَّعُـــوا بسَحابِـــهِ

حَتَّـــامَ نَقضِي في مَعَابِـــرِ تِيهِـــهِ ... وَإلَامَ نَمضي في تَجَـــرُّع صَابِـــهِ؟[1]

راحَ الشَّبـــاب بنــــا إلى غاياتـــــه ... صَرعَـى لِتُـــؤْذِنَ بانطـــواءِ كتابِـــهِ

شِخْنا ومـا شاخَ الزَّمـان ، ومـا لنـا ... من شَائِـخٍ نرجـــوُه عنـــد شَبَابِـــهِ

وتنــاهَبَ السَّاعـــون كلَّ ذَميمـــةٍ ... للعَـــيشِ مُرْتـــكِساً على أعقابِـــهِ

ضاقَ المَجـالُ بنـــا على سَعَـــةٍ بهِ ... وتَعَجَّـــلَ الحُـــذَّاقُ نَهْبَ رِحَابِـــهِ

جدة : ١٣٨٤/٥/١٤ هـ



(١) الصَّاب : شدة المرارة .



صَمْتُ الحزين

لَعَتَبْتُ لو أَجدَى العِتابُ وإنَّما — صَمْتُ الحزينِ تَعَتُّبٌ وخِطابُ

وصَرَفتُ نفسي ، لو أُطقتُ ، عن الهوى — وَهَوَانِه لكنَّها الآرابُ

تأبى فَنَاءَكِ حيثُ أنتِ بمهجتي — رمزُ البقاءِ وسِحْرُهُ الخَلّابُ

أنا مَن أضاعَكِ مسترِيباً ساخِطاً — وَقَسَا عليكِ إذِ القلوبُ غِضابُ

واليومَ يَسْتَدْنِيكِ ملتهبَ الحَشا — وحنينُه للكِ لو قَدَرتِ مَتابُ

ماذا ؟ أَيطويكِ السَّقامُ غريبةً — عنه وأنتِ له مُنًى وطِلابُ ؟

ويظلُّ يسمعُ عن أساكِ لِفعلِهِ — بكِ ما يُسَاءُ بذكرهِ ويُعابُ ؟

أعززْ بغَضْبَتِكِ الحبيبةِ إنَّها — لِعُزوفِ قلبي عن هَواكِ عِقابُ

كانتْ ضلالةَ ثائرٍ أحرجتِهِ — فَنَأى ، بأنَّ مُناهُ فيكِ كِذابُ

حتّى تَألَّفه ضَنَاكِ وَقَادَهُ — ماضيكِ وَهْو القاهِرُ الغَلّابُ

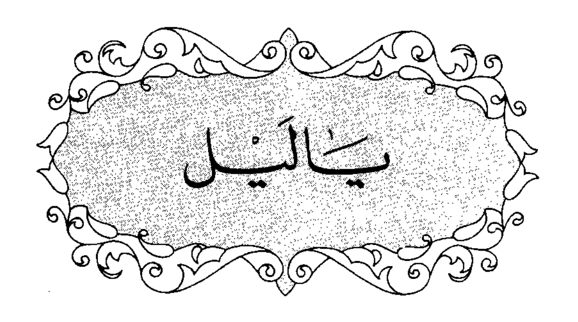
فإذا هفوتُ إليكِ بعد تَمَنُّعٍ — فَبِما أصابكِ فِيَّ وَهْوَ عُجابُ

قالوا : صَمَتٌّ ، وتلك منكِ بلاغةٌ — سَلَّتْ سَخِيمَةَ مهجتي ، وعِتابُ

أَفكنتِ آبيةَ الكلامِ تكبُّراً — أم كان يَمنعُكِ الكلامَ مُصابُ ؟

فلقد بلغتِ بصمتِ حُزْنِكِ غايةً — مِن دُونِها الإيجازُ والإطنابُ

★ ★ ★



يـا ليـل

يا ليلُ طُلتَ ، أَضَلَّ نجـ.......ـمُكَ أم تَرَيَّثَـــهُ القَــدَرْ ؟

رُحماكَ سِرْ ، فالكَرْبُ أَثـ.......ـقلَني وعَذَّبني السَّهَــرْ

قد كنتُ آنسُ فيكَ بالـ.......ـقَمَرِ المُنيرِ وبالنّجــومْ

مُفْتَـــرَّةً ، خَفَّاقَـــةً.......والآنَ يَغْمُرُها الوُجــومْ

والبَـدرُ ليس كعَهــدِهِ

واهـــاً لماضي عَهــدِهِ

يا ليلُ حُلْتَ ، وغاض بِشْـ.......ـرُكَ واستحالَ إلى قُطوبْ

هيهاتَ ، لَسْتَ كما عرَفْـ.......ـتُكَ تَستثيرُ هَوَى القلوبْ

بِرُواءِ بدرِكَ أو نَسيـ.......ـمِ عليـــلِكَ المترَقْــرِقِ[1]

وجمالِ وَحْيِكَ أو رَسيـ.......ـلِ خيــالِكَ المتَدَفِّـــقِ

يَرْوَى بِهِ زَهْرُ الشبّابْ

وقد ذَوى زَهْرُ الشَّبابْ

يا ليتَ شِعْري ، هل تَلَفَّـ.......ـتَ حين وَدَّعَ أو مضى ؟

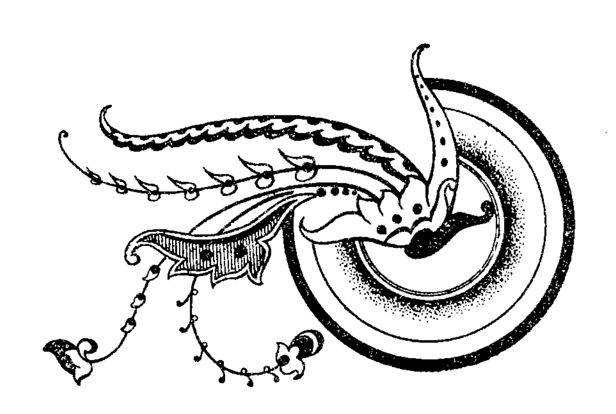
مستحِقــراً شأنَ الشَّبــا.......ب المُسْلِميهِ إلى القَضَا

---

(١) لعلّه يريد « عَلِيلِ نَسيمِكَ » فوَهِم في الكتابة .

الصاخِبيـــــنَ إذا السَّلا.........مةُ جلَّــلتْ بِرُواقِهـــــا
والنَّاكِليـــنَ إذا الكريــــــ.........ـهةُ شَمَّـرَت عن ساقِهـا
يتكالبـونَ على الحيـــاةْ
وموتُهـم عَيْـنُ الحيـــاةْ

أيـنَ الشَّبـابُ وأيـــن ما.........وَعَـــدَتْ به أَقوالُـــــهُ ؟
هل كان وَقْتِـــيَّ البَقَـــا.........ءِ صياحُـــه وصِيالُـــهُ ؟
أو تلك ثائرةُ الشَّبابْ ؟
أُفٍّ لِثائِـرةِ الشبَّـــابْ





يا بقايا الشُّعاعِ مِن أَلَقِ الشَّمسِ تُحَيِّي البِطاحَ عند الغُروبِ
أنتِ إيماءَةُ المحِبِّ بشَكواهُ تَجَلَّت عن بَثِّه لحبيبِ
لغةَ الصَّمت ! هل يُدانيكِ في الإعجاز قَوْلٌ مِن مُفصِحٍ وَهَيوبِ ؟
ما غَناءُ الكَلامِ عن لَهفَةِ الأنفسِ في مَوقِف الوَداع الرَّهيبِ ؟
رُبَّ صَمتٍ أَدَّى ، وصَوَّر ، عن رُوحٍ لِرُوحٍ ، أَنأى خَفايا القلوبِ

* * *

فاعرِفي يا حَبيبَةَ الأمسِ أَنَّ الحبَّ نَجْوى ، ونَشوةٌ ، وشُعورُ
وَحَنينٌ إلى السَّكينةِ يَسْتَلهِمُ أَلحانَها الحِجَى والضَّميرُ
لا هُياماً مقيَّداً بدواعيهِ ، وقولاً به اللِّسانُ يَدورُ
أو غليلاً يَرى الرَّغائبَ وِرْداً يَستوي عِندهُ التُّقَى والفُجُورُ

* * *

اِنطَوَى مجلسُ الدُّجَى بِسَنَا الآمالِ نَشْوى وَلاحَ صُبحٌ عَبُوسُ
واختَفَى سامِرُ الرُّؤَى ونَدَامَاهُ ومادَت بما تحسُّ الرُّؤوسُ
فابسِمي بَسمَةَ الوَداعِ ، فهل كانَ ؟ لِيبقَى ؟ ذاكَ الهَوى والرَّسيسُ؟[1]

---

(١) الرَّسيس : الثابت ، والبقية الباقية .

لا تقولي : أهـواكَ ، قد فرَغَ الـدَّنُّ ، وطـاحَت بِجانِبَيْـهِ الكُـؤوسُ
والهَـوى يا حبيبـةَ الأمسِ وَهْـمٌ ، استَـرَقَّتْ بهِ النّفـوسَ النُّفـوسُ

* * *

لا تَقُولي : أَهواكَ . قَد أَيقظَ الوَعـيُ فؤادي وانْجـابَ عنـه الخُمـارُ
بَل هَبينِـي عُمْـرِىَ المُـرْدِي على صَدرِكِ تبكـي شَبَابَـهُ الأَوطـارُ
وعُلالاتُـه ، وأحلامُـهُ فيكِ ، طَواهـا ، وكـمْ طَوَى التيَّـارُ
وأعيـدِي أَمْسِي ، وقـد كنتُ في أَمْسِيَ دنيـا ، يَلُفُّهـا إعصارُ
لم يكـن لي فيها خِيـارٌ فأسلـمتُ حيـاتي ، ومـا لِعَـانٍ خِيـارُ [1]

* * *

لا تقـولي : أَهـواكَ ، لم يُبْـقِ لي فيكِ خَيـالي ، وقـد تَحَطَّـمَ ، وَهما
ذاك حُبُّ الزُّهـور للجـدولِ الحافِـلِ رِيًّـا ، كَيْـلا تَجِـفَّ وتَظْمَـا
مِنَّـةٌ لا أُطِيقُهـا ، ونفـاقٌ عِفْتُـهُ ، والهَـوى أَعَـفُّ وأَسمَـى
هو رمـزُ الفِـداءِ ، مفتَقِـداً فيكِ عَزاءً ، ومـا أَسومُكِ ظُلمـا
وَهْـو معنَـى الوفـاءِ ، ترعـاهُ أهـواؤُكِ إسماً ، وتَجْتَويـهِ مُسَمَّـى

* * *

لا تقـولي : أَهـواكَ ، إنَّ حيـاتي واقِـعٌ قاتِـمُ الظِّـلالِ مَخـوفُ
كانَ لي في الهَـوَى رَبيـعٌ وَوَلّـى ، وتـلاشَت أصداؤُه والطُّيـوفُ
فأنـا اليـومَ بين أَطْـلالِ يأسي طلَـلٌ للرِّيـاحِ فيـهِ عَزيـفُ

---

(١) العاني : الأسير ، الذليل .

طلَــلٌ موحِشٌ أَنــاخَ بِهِ الحُــزنُ وأرسَى ، هذا الضبَّــابُ الكثيــفُ
إستقــرَّت بِهِ رغــائبُ روحــي جُثَثــاً مَثَّــلَتْ بهِنَّ الصُّروفُ

* * *

الهَــوَى ، يا حبيبتــي ، قَد بَلَوْنــاهُ ، فراحَت غاياتُنــا فيــهِ صَرعَــى
هو نارٌ وَقودُهــا قُدرَةُ الحَــيِّ ، على أَن يظــلَّ للنــارِ مَرعَــى
والمَوَدّاتُ تَشتــرِي الجِــدَّ بالهَــزلِ ، وتُعطِــي وَتْــراً لِتأخــذَ شَفعــا[1]
والمروءاتُ تقــتَضي بمساعــي الجُــود صِيتــاً - على الرِّيــاءِ - ونَفعــا
والعبــاداتُ ترتَــدِي مظهــرَ الخيــرِ على أفظــعِ المناكــرِ دِرْعــا

* * *

لا تقــولي : أَهــواكَ ، إنّ بعينَــيْكِ حنينــاً إلى دُفــوف الغــابِ
ولأنفــاسِكِ اللَّهيفــةِ شَوقــاً يتلظَّــى ، إلى كؤوسِ الشَّرابِ
أنتِ في مَطــلَبِ الطَّبيعَــةِ أُحبولَــةُ سِحــرٍ مَنصوبــةٌ للشَّبــابِ
والحُمَيَّــا أداةُ سلطــانِكِ القاهــرِ يَسطــو بظُفْــرِهِ والنَّــابِ
فَدَعــي لي بقيَّــةً من كيــانٍ واهِــنٍ آدَهُ صِراعُ العُبــابِ

* * *

أَفَلَسْنَــا ، والحبُّ مطــلَبُ نفسَيْنَــا ، غريبَيْــنِ في سبيــلِ الوجــودِ ؟
جمعَتْنَــا أسبابُــه مثلمــا تجمــعُ ضِدَّيْــنِ ، صائِــداً بمَصِيــدِ
فمضَيْنــا على هَوًى ، يُبْطِــنُ الغايــةَ منــه ، بيــنَ الظَّمــا والــوُرودِ
وانتَشَيْنــا - بلِ انــتَشَيْتِ - فقــد ضاع نَصيبــي بين الأَسى والجحــودِ

---

(١) الوَتر : الفرد من العدد ، وعكسه : الشَّفع .

لا تقــولي : أهــواك ، فالحبُّ قَيــدٌ ، ودواعــي الحيــاةِ ضدُّ القيــودِ

* * *

اِذهَبــي مَذهبَ الطَّبيعـــةِ ، لا تَعـــرِفُ إلاّ غاياتِهـــا من سُراهـــا
وافــعلي فِعلَهـــا ، فأنتِ صَدَى الدَّعــوةِ منها ، في عَهْرِهـــا وتُقاهـــا
إنَّمـــا أنتِ زهــرةٌ ذاتُ عِطــر ، نَمَّ عن مَطــلَبِ الوُجــودِ شَذاهـــا
وسواءٌ عنــدَ الزُّهـــورِ ، إذا رَفَّ سَناهـــا ، مَن صَانَهـــا أو جَناهـــا
لا تقــولي : أهـــواكَ ، إنَّ هوى الأنثَـــى خِداعٌ مُعَبِّـــرٌ عن مُناهـــا

* * *

هَدَرَ اليَــمُّ ، يا حبيبــةَ أُمْسِي ، فَدَعينــي أُدفَـــعْ عليـــهِ شِراعـــي
ضاعَ عُمْــري على المُنَــى بيــنَ ماضٍ مُستطـــارٍ وحـــاضرٍ مُتَداعـــي
سوف أَمضي لغايتـــي مُثخَـــنَ الصَّدرِ ، وأَطــوِي قَلبـــي على أَوجاعـــي
غايـةٌ دونَهـــا الدُّنَـــى ولُغُــوبُ النَّــفسِ والوَعــرُ واحــتضارُ المساعـــي[1]
غايــةُ اليـــائسِ الـــذي كَرِهَ العــيشَ وأسبابَـــه بِدُنيـــا الخِــــداعِ

* * *

لا تقـولي : أَهـواكَ ، لستُ بسكـــرانَ فأَهفُـــو ، أَبَعْــدَ ما جَفَّ كَرْمـــي ؟
وابسِمـي بَسمـةَ الـوَداع ، وخَلّينِي لِجُرمـــي ، فقـــد تعاظَــمْتُ جُرمـــي
وَدَعينـــي على الطبيعـــةِ أُلقِـــي عن فؤادي الطَّليـــحِ أَعبـــاءَ همِّـــي[2]
شاكيـــاً ما لقـــيتُ من عَنَت الدّنيـــا إليها ، إنّ الطبيعـــةَ أُمّـــي

---

(١) اللغوب : التعب .
(٢) الطليح : المهزول والمجهود .

غاسِلاً بالدّمــوعِ ، بالنَّــدَم الملتــاعِ ، في تَوبَتـــي جَرائِـــرَ إِثْمـــي

* * *

لا تقــولي : أَخشَى علــيكَ العــوادي ، أَيَّ شيءٍ أَبــقتْ عواديكِ مِنّــي ؟
وَكِلِينِـــي لِوَحْـــدَتي في زوايـــا الصَّمتِ أَسرِي على غيـــاهِب حُزني
وتنــاسَيْ عَهــدِيَ البئــيسَ ، فإنْ شاقَكِ أَمــري فَسَائِلي اللَّيــلَ عَنّـــي
فأنــا فيــهِ قِطعــةٌ من دياجيــهِ ، عَدَاهـــا عن اليقيـــنِ التَّظَنّـــي
فآهـــرُبي من نهايَـــةٍ حَرَّم الماضِي عليها حتّـــى عزاءَ التَّمنّـــي

* * *

إنّمـــا أنتِ دُمَيَـــةٌ من صَنيـــعِ الوَهـــمِ فيها أَو صُورةٌ في إطـــارِ
لا بِمـــا تَبغِـــي القُلــوبُ ، تَكَفَّــلْتِ ، ولكـــنْ بمُتعـــةِ الأَنظـــارِ
مَنْ لِنـــفسِي بالوهـــمِ فيكِ ، فألقـــاكِ وتلقَيْنَنِـــي أَليفَـــيْ قَرارِ ؟
فلقـــد طالَ بالحقائـــقِ للنَّـــاسِ افتِقـــادِي ، وفي الحيـــاةِ عِثـــاري
وَيْ لهَـــا من حقائـــقٍ زَلــزلَت صَرْحَ خيــالي ، وقَتَّـــلَتْ أوطـــاري

* * *

لا تقـولي : أهـواكَ ، لستُ على صحـراءِ حِسِّي اللّاظِي سِوى ابنِ سَبيـــلِ
عاثـــرِ الحظِّ ، والخُطـــى ، يَخبِـــط الوَعــرَ بِوَعـــرٍ ، مِن يأسِه والغَليـــلِ
مَالَـــهُ غايـــةٌ ، ومـــا غايـــةُ الحَيْـــرانِ تَجـــري بين السُّرى والقُفـــولِ ؟
والهَـــوى ، يا حبيبـــةَ الأمسِ ، لا يَحْيـــا على جَفـــوةِ المُنـــى والذُّبـــولِ
فانشُدي الـــحُبَّ في المشاعِـــرِ ناراً لا مِثـــالاً مُصَوَّراً في العقـــولِ

* * *

تَعِسَ العقـلُ إنَّـه خانـقُ الفَرحـة في النَّـفس يَتَّقـي عُقباهـا

فَهْـو للـحِسِّ والمشاعِـرِ قَيـدٌ ، شَلَّ أحلامَهـا ، وعـاقَ رُؤاهـا

طالمَـا هامَ بالمَـوارد ظمـآنَ ، فلمَّـا وَاتَـى الـوُرُودُ أَبَاهـا

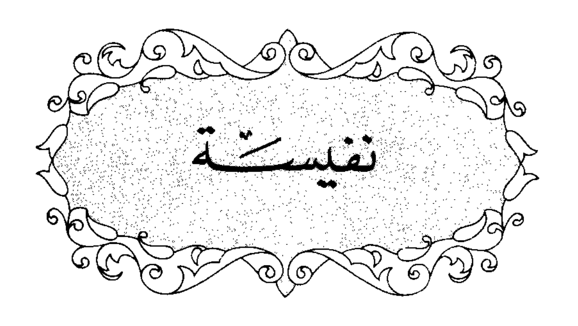
صَدَّه عن حِياضِهـا هَذَرُ الغَايـةِ فيمـا استَشَفَّ مِن مَعناهـا [1]

تَعِس العقـلُ هائمـاً بالنّهايـاتِ يَراهـا حِسَّ النّفـوسِ سَفَاهـا [2]



(١) الهَذَر : ترديد الصوت والكلام .

(٢) السَّفاه : الجهل والطيش .



نفيسَة

أُلهِمْتُ – والحبُّ وحيٌ – يومَ لُقياكِ ... رسالةَ الحُسْنِ ، فاضَتْ من مُحَيَّاكِ

مِن أينَ يا أُفُقِي السَّامي طَلَعْتِ بها ... حقيقةً ما اجْتَلاها النُّورُ لَوْلاكِ ؟

كانت بنفسي – وقد طال المَدى حُلُماً ... فَصَوَّرَتْهُ لِعيني اليومَ عَيْناكِ

لَم أَشهدِ الحُسنَ يَبدو قبلَ مَوْلِدِها ... إلَّا صِناعَةَ أَصباغٍ وأَشرَاكِ

حَتَّى بَرَزتِ بهِ في ظلِّ معجِزَةٍ ... يُضاعِفُ الصِّدقُ معناها بِمَعْناكِ

ونفحةٍ من عَبيرِ الغيبِ تُرسِلُها ... للحالمينَ بِسِرِّ الغيبِ رَيَّاكِ

ونَغمةٍ من أغاني الخُلْدِ وَقَّعَها ... لِمُهجتي طَرْفُكِ السَّاجي وَعِطْفَاكِ

سَمَا الخيالُ بها نَشْوانَ منطلِقاً ... مِن أَسْرِ دنياهُ مَشغوفاً بدنياكِ

دنيا الهَوى والمُنى ، تَروي مفاتِنَها ... روافدُ الطُّهرِ شِعراً من سجاياكِ

* * *

يا جارةَ اللَّيلِ ما فاضت شواطئُهُ ... سُكْراً وعَربدةً لولا حُمَيَّاكِ !

ولا استهَلَّ شِراعٌ فوقَ صَفْحَتِهِ ... مُغالِباً وَجْدَهُ إلّا لِيلقاكِ

ولا سَرَتْ عَبْرَ مجراهُ نَسائِمُهُ ... إلّا لِتَلْثِمَ في صَمتِ الدُّنَى فَاكِ

ولا تنفَّس فَجرٌ في خمائِلِهِ ... إلّا لِيَملأَ عينَيْهِ بِمَرآكِ

والبدرُ ما زَهِدَتْ عيناه في سِنَةٍ ... وجابَ آفاقَهُ إلّا لِيَرعاكِ

وما شَدَتْ بذُرى أَيكٍ بلابِلُهُ ... إلّا لِتَنْعَمَ بالتَّغريدِ أُذْناكِ

* * *

يا مِنحةَ اللّيـــلِ ما أحلى روائِعَــــهَ ... هل أنتِ من سِحرِهِ أم قد تَبَنَّـــاكِ ؟
وهـل تَرَعـرعْتِ طفـلاً في معابـــدِهِ ... أم كاهِـــنٌ في رُبى سِينَـــاءَ رَبَّـــاكِ ؟
أم كُنتِ لؤلـؤةً في يَمِّـهِ سُحِـــرَتْ ... فَصاغَكِ اليَــــمُّ مخلوقـــاً وأنشاكِ ؟
أم أنتِ حوريَّـــةٌ ضاقتْ بموطِنِهـــا ... فَهَاجَرَتْهُ صنيعَ المُضْنَك الشَّاكـي ؟
فَضَمَّكِ اللّيـلُ في رِفـقٍ ، فَهِمْتِ بهِ ... حُبَّـا ، وَوَثَّـقتِ نَجـــواهُ بِنَجْـــواكِ ؟
أم أنتِ أُسطـــورةٌ قامت بفكرتِـــه ... تَحَـــوَّلَتْ غادةً لمَّـــا تَمَنَّـــاكِ ؟
أم أنتِ من كَرْمِ باخُـــوسٍ معتَّقَـــة ... قد انتَـفَضْتِ حيـاةً حينَ صَفَّـــاكِ؟[1]
بل أنتِ مِن كلِّ هذا جوهَرٌ عَجَبٌ ... قَضَى فَقَـــدَّرَكِ البــــاري وسَوَّاكِ

* * *

يا فرحـةَ النِّيـلِ يا أعيـــادَ شاطئِـــهِ ... يا زَهـرَ واديـهِ يا فِرْدَوْسَهُ الزَّاكـي !
يا ذُخرَ ماضيـــهِ مِن فَنٍّ وعاطفـــةٍ ... قيَّدْتِـــهِ بِهِمـــا لَمَّـــا تَصَبَّـــاكِ !
فأنتِ رهـنُ حِماهُ فتنــــةً وهـــوًى ... لكنَّـــه بِهَـــواهُ رهــــنُ يُمنــــاكِ
جَمَعتُما السِّحرَ أسبابـــاً فأيُّكُمَــــا ... في هَوْلِ قُدْرَتِهِ المَحْكِيُّ والحَاكـي ؟
كات ضحايـــــاهُ في الماضِي عرائِسَه ... فَهالَنـــي أَنْ أراهُ من ضحايـــــاكِ

* * *

يا سِرَّهُ المنطـوي في صَمتِ عزلتِـــهِ ... هل ضاقَ فيكِ بما عانَــــى فَأَفشاكِ ؟
عاطَيْتِه بِصِبـــاكِ الـــغضِّ مُترعَـــةً ... له كؤوسَ الهَـوى صَفْـواً وعاطاكِ
فشاقَهُ الـكشفُ عن أغلى نفـــائِسِهِ ... في عالَـمِ السِّحرِ مَزْهُـوّاً فزَكَّـــاكِ
أَسْكَرْتِـــهِ فاستجـــابَتْ أَريَحِيَّتُـــهُ ... فكـــنتِ مِنَّتَـــهُ للفَـــنِّ أَهـــدَاكِ

---

(١) باخوس : رمز الخمر في الأدب الإغريقي والروماني .

وطــالما وَهَبَ السَّكــرانُ مُبتــذِراً أَسمى ذخائِــرِهُ في غَيـــرِ إِدْراكِ

* * *

يا بنتَ آمونَ هاتِي السِّحرَ مُعْتَصَراً مِن كَرْمِ حُسنِكِ يُذهِلْ مَن تَحَدَّاكِ !
سِحْراً بَعثتِ به قلبي الذي سَكَنَتْ أَنباضُه فاستــوى حيّــاً وحيَّــاكِ
فالسِّحرُ قبــلَكِ قد غاضَتْ مواردُهُ حتّى تكشَّفَ عن نَبعَيْهِ جَفنــاكِ

* * *

يا أنتِ ، يا نبعَ أَحلامي ، ومُلهِمتي سِرَّ الجمالِ تَجلَّى ، في مزايــاكِ !
يا هاتفاً من ضميرِ الغيبِ أَشْرَقَ في قلبــي بِدَعوتِــهِ ، شمساً ، فلبَّــاكِ !
ما النِّيلُ ؟ ما غِيدُهُ ؟ ما الشَّطُّ مُزْدَهِياً بهِــنَّ ، إلّا إطــارٌ حَوْلَ مَغنــاكِ
لو يُسأَلِ الدَّهرُ عن فتَّانَةٍ بَلَــغَتْ حَدَّ الكمالِ ، لَمَا استَثنَى ، وسَمَّاكِ

* * *

يا فَجرُ ، يا بدرُ ، يا زهرَ المُنى ابتسمَتْ يا خمرُ ، يا جمرُ في إحساسِيَ الذّاكي !
ما كنتُ قبلَكِ إلّا صادحاً صَمَتَتْ به الهُمومُ ، فلمَّــا لُحتِ غَنَّــاكِ
أَريتِهِ الشِّعرَ لحظاً رائعاً ، وفَمــاً سقاهما ، من مَعِينِ السِّحرِ ، خَدَّاكِ
وملعباً من ملاهي الحُــورِ راعشةً أَضواؤُهُ يتبــارى فيــه نَهــدَاكِ
ففاضَ بالشِّعرِ ، إنْ يبدِعْ بِهِ صُوَراً فإنَّمــــا هُوَ بالتَّعبيـــرِ حاكاكِ

* * *

يا شمسَ بولاقَ ما أَحناكِ مُطفِئَــةً غليلَ عاطفتي الحَرَّى ، وأَنــدَاكِ !
أَنَرْتِ ليلَ حيــاتي واطّلــعتِ على قلبٍ تَفجَّـــرَ نوراً مذْ تلقّــاكِ

فإنْ وهبتُكِ روحي كنتِ واهبَتي ... سعادَتي ، فهما من فيضِ جَدواكِ
وحَسْبُ صنعِكِ إجلالاً لروعتِهِ ... ألّا يُثيبَكِ مَنْ بالرُّوح فَدَّاكِ

* * *

يا شمسَ بولاقَ يا يَنبوعَ فِتنَتِها ... يا بسمةً أشرقَت في مقلةِ الباكي !
عجبتُ فيكِ وأسبابُ الهوى قَدَرٌ ... لا يَحتمي أعزلٌ منه ولا شاكي
الحبُّ قلبانِ في مَسراهما التَقَيا ... فكيفَ ألزَمني قَيْدي وخَلّاكِ
وفيمَ أنفَذَ في قلبي إرادتَهُ ... وقادني لمصيري إذْ تحاماكِ ؟
لم يعطِني منكِ إلّا الحُسنَ هِمْتُ به ... حتّى استردَّكِ غَيْراناً وحابَاكِ
وأينَ قلبُكِ ؟ لم أسمعْ لخفقتِهِ ... صَدًى ؟ ألم يَعْنِهِ أنّي مُعَنَّاكِ ؟
وأينَ عَطفُكِ من عانٍ غَدَرتِ بهِ ... تاللهِ ما اختارَ أن يَشقى فيهواكِ ؟
وإنّما كان منساقاً لغايتِهِ ... رمى به القَدَرُ السَّاري فوافاكِ
فَضَلَّ بي تيهِكِ المرهوبِ مُعْتَسِفاً ... لم يُنْجِهِ منكِ إحجامٌ وأنجاكِ
ساقيتِهِ النظرةَ الأولى وُعُودَ مُنىً ... ضاءَتْ ببسمتِكِ النَّشوى وساقاكِ
فكنتِ كأسَ الطِّلَى تغتالُ شاربَها ... وما أرى أنَّ عُقباها كعُقباكِ
فأنتِ أعنفُ منها وَطْأةً بِحِجىً ... وأنتِ أقسى خُماراً في أساراك [1]
وأنتِ أروى وأدوى للذي لَعِبَت ... به مراشِفُكِ الظَّمْأىٰ فَوَالاكِ

* * *

لِمَنْ هواكِ ؟ لِمَن نَجواكِ ظامئةً ... لِمَن حَنينُكِ يَمشي في حناياكِ ؟
أثَمَّ قلبٌ سِوى قلبي المعذَّبِ في ... هَوَاكِ أغرَيْتِهِ حبّاً وأغراكِ ؟

(١) الخُمار : ما يصيب شارب الخمر من ألم وصداع .

فإنَّ في وجهِكِ الضَّاحي ظلالَ هَوىً — مخضوبــةً بالأسى المطــويِّ يَغشاكِ
هل أنتِ بالمُثُــلِ العُليـا مُوَلَّهَــةٌ — رأيتِ واقعَهـــا زَيْفــاً فآساكِ ؟
فإنَّهـــا قصَّةُ الأحيـــاءِ من قِدَمٍ — تَمَثَّــلَتْ في شياطيــنٍ وأمــلاكِ
وإنَّــه واقــعُ الدُّنيـا وسيرتُهـــا — تَخَيَّـــرا بين فُجَّـــارٍ ونُسَّاكِ
والشّــرُّ قانونُهـــا في كلِّ معتَــرَكٍ — وربَّمـــا اخترتِــهِ ناراً فأضراكِ
فإنَّ فيكِ – على ما فيكِ من دَعَةٍ – — ضراوةَ الفَــتكِ لم يَستُــرْهُ بُرْدَاكِ
أم أنتِ عابثــةٌ تلهــو بطالِبِهــا — وما أنا غيــرُ مفتــونٍ بمَرعــاكِ ؟
أم أنتِ عاشقـــةٌ ضاقت بغايَتِهـا — حيرانـــةً بين أزهـــارٍ وأشواكِ ؟
أم أنتِ مهجورةٌ أضناكِ ذو صَلَفٍ — أسعدْتِـهِ فارتَضَى أُخرى وأشقَــاكِ ؟
بُوحِي ولا تكتمي السرَّ الدَّفينَ فقد — وَشَّى بِهِ لَحْظُكِ الآسي لِمضنــاكِ
فقــد تَعَثَّــرَ مفجوعــاً بمطلَبِـــهِ — فيمــن يحبُّ وبَلــواه كبلــواكِ
بَيْنـي وبينَكِ عهدٌ ما حَفَــلْتُ به — من يائِسِ الحبِّ أشجاني وأَشجاكِ
وقد يؤلِّفُ بين اثنيــنِ حزنُهمــا — وربَّمـــــا باحَ محزونٌ فواساكِ

* * *

يا بنتَ حوَّاءَ هل بالــدَّنِّ باقيــــةٌ — تُغْنِــي فيشرَبَهــا مَن ليس يَنساكِ ؟!
فقـد حَمَلتُ غليلَ الوَجدِ مرتقِباً — نُعمـاكِ ودّاً فلم أظفــرْ بنُعمــاكِ
أظمَأتِنــي وصرفتِ الكــأسَ ظالمةً — عنّي بثغرٍ على الحالَيْــنِ ضحَّــاكِ
أكلّما ساءَ ظنّــي فيكِ واندلــعَتْ — نارُ الشُّكوكِ بقلبــي في نوايــاكِ ؟
بدا لعينـــيكِ في ظلِّ الأسى قَبَسٌ — من الحنـــانِ فأرجـــوه وأخشاكِ ؟
وأَيَّ حالَيْكِ أرجو والطريقُ دجىً — غشَّاهما بظـــلامِ اليـــأسِ حالاكِ ؟

شَرِقتُ فيكِ بدمعي وانطويتُ على ... نَزْفِ الجراحِ بقلبي وَهْو مأواكِ
أنَّى اتَّجهتُ بعيني لم أجدْ فَرَجاً ... لي في هواكِ ولا سلوى فَرُحماكِ
أَلا أراك ؟ ألا أصغِي إليك ؟ ألا ... أصوغُ فيكِ عُلالاتي لِألقاكِ
لم يُلْهِني عنكِ ما في مِصرَ من أرَبٍ ... فَمَن نأى بكِ عن حبّي وألْهاكِ
مَن لي بليلِكِ في المصطاف سامرةً ... والبدرُ والبحرُ فيه من نداماكِ ؟
وأنتِ أفتَنُ ما فيه ، وأبعثُه ... للوَجدِ في كل ذي حِسٍّ تَمَلَّاكِ

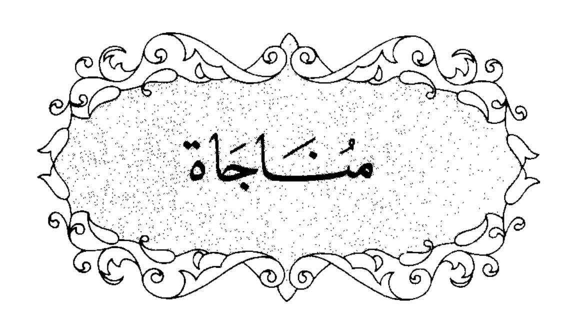
* * *

يا بنتَ حوّاء ! إن أبعدْتِ غادرةً ... وَفَّى الخيالُ على بُعْدٍ فأدناكِ !
وما الخيالُ بمغنٍ عنكِ نائيةً ... لكنّها نفثةُ المحرورِ ناداكِ
طامنتُ من كبريائي فيكِ فاحتكمي ... فالحبُّ أرخصَ من قَدْري وأغلاكِ
أنتِ الحياةُ بلونَيْها مُحبَّبةً ... فما أرقَّكِ في نفسي وأقساكِ
فليتَ لي منكِ بالدُّنيا وما وَسِعَت ... يوماً يجود به للوصلِ مَسْراكِ
يوماً هو العُمْر والآمالُ ليس به ... إلا الكؤوسُ ، وأشعاري وإلّاكِ

* * *

إنِّي بما شئتِ بي يا فتنتي أملٌ ... في ظلِّ مأساتِهِ يَحيا لِذكراكِ
ما كنتِ يا قَدَري العاتي سِوى امرأةٍ ... مِمَّنْ عَبَرْنَ بقلبي لَوْ تَوَقَّاكِ !

★ ★ ★



مُنَاجَاة

لا تَصولُ الجِيــــادُ حيثُ تَصُولُ فكثيرٌ ، من مُقتفِـيكَ ، القليـــلُ

ما على مَن سَبقتَ أن يخسَرَ السَّبْـــقَ ، ومِن خَلفِهِ يَكُــدُّ الرَّعيــلُ

أيُّهـا السَّابــقُ المحجَّــلُ والفـــادِي المُفَدَّى ، والواصِلُ المَـوْصُولُ

حَسَدَتْنِــي على هواكَ اللَّيـــالي فَتَغَيَّــرتَ ، أم ثَنَــاكَ العَـــذولُ ؟

إنَّ يوماً يَفوتُ راجيكَ مِن وَصْــلِكَ ، يَومٌ وَحْفُ الحَواشِي ثَقيلُ [1]

لَو تَكَلَّفتَ غَيْــرَ طبــعِكَ بالصَّدِّ ثَنَاكَ القَــلبُ الرَّقيــقُ الــوَصُولُ

يَحتَمِي المُــذنِبُ المقِــرُّ بجَــدواكَ ، ويَقْضي بِنَيْــلِكَ ، المَأمــولُ

وَلَبَعْضُ الجَدْوى ، مِن الواهِبِ القــادِرِ ، صَفْحٌ ، وبعضُهـا تَنْوِيـــلُ

أَفسَدَتْنــي على جَميــل أياديـــكَ أَيادِيكَ ، والكريــمُ حَمُــولُ [2]

مثلَمـا تَفسُدُ الزُّهــورُ على الــرِّيِّ إذا طال رِيُّهـــا فَتَحــــولُ [3]

لا تَنَتْكَ الأحداثُ ، والغَضَبُ العَــارِضُ ، عنّي ، والشَّكُّ ، والتَّأويلُ

هَنَـــةٌ جَسَّمَ الخَيـــالُ مَعَانيـــهِا ضَلالاً ، وضاعَفَ التَّهويـــلُ

قَد تَعَجَّلتَهــا بِهَجــرٍ ، ومــا ضاقَ بِها ، بَعْدُ ، عُذرُها ، والدَّليلُ

---

(١) الوَحْف : القاتم ، الأسود .

(٢) الحَمُول : الحليم ، الصبور .

(٣) تَحُول : تتغيَّر .

أينَ حَقُّ العُتبَى ، وَسَابِغَةُ العَفْـــــــ......ـــوِ ، ودَيْـنُ الـوِدادِ والتَّأميـــــلُ[1]
وَلَيـــالٍ ألْـــوَى بِصبـــرِيَ فِيها   سِحـــرُ عَينَـيْكَ ظَالماً والشَّمـــولُ
حينَ أشكـو ، فلا تَرِقُّ ، وأرجـو......كَ فَتَـأْبَى ، وحُكـمُكَ المقبــولُ
ما ثَنَانِي الوَجـهُ العَبوسُ ، ولا الجو......رُ تَنَاهَىٰ ، ولا الصُّدوف الطَّويلُ
عادةٌ للوَفــاءِ وَثَّقَهـــا الـــحُبُّ......وَعَــارٌ مِن الوَفِـــيِّ النُّكُـــولُ
هَبْـــهُ ثَأراً طَلبتَـــهُ بِتَجَنِّــــيَّ......أَتعْيــا بما فعـــلتُ الحُلـــولُ ؟
أم تراهُ المَــلالُ يَصطنِـــعُ الأسْـ......ـبــابَ ضِيقــاً بِحبِّنــا يا مَلــولُ
ما أبـالي وقـــد تَخَـونْتَ عَهـدِي   أَتَطُـولُ الحيــاةُ ، أم لا تَطــولُ ؟
أنتَ عنــدي جَمالُهــا ، ومَعَانيـــ......ـهـا فإنْ رُحتَ فالحيــاةُ فُضولُ
أنتَ دنيـايَ ، حُسنُهـا ، وَسَناهـــا   وَرُؤَاهــا ، وَزَهرُهـــا المَطلُــولُ
كيــف عادتْ باللهِ مَيْــدانَ حَربٍ   خَلَفَ الشَّدْوَ زَأرُهـا والصَّهيــلُ
كلَّمــا رُمتُهـــا على وَقــدَةِ الشَّوْ......قِ حَمَاهــا قُطـوُبها والصَّليـــلُ
لا بِمـــا هَالَنـــي عَليها تَراجَعْـــــ......ـتُ ولكـــنْ بما أَرادَ المَطـــولُ[2]
إنْ دَعَتْنِي بِسابِقِ العَهـدِ والحُـــ......ـبّ ثَنَاني أَني الغَـريبُ الدَّخيـــلُ
عَلَّهـــا آثَــرَتْ طريقــاً مِن الــوُدّ......فَمَـــالَت أُواطَّبَاهـــا بَديـــلُ[3]
إن يَكـنْ شاقَهـا البَدِيـــلُ فَمَالِــي   مِن بديـــلٍ ولا لِوُدِّي عَدِيـــلُ
فأنــا حِصنُهـا الحَصيــنُ ومُرْتَـا......دُ هَواهـــا ، وسَيفُهـا المَسْلُــولُ

* * *

---

(١) السابغ : الواسع ، الفياض .
(٢) المَطُول : من مَطَلَ الحق والدَّينْ إذا أجَّل موعد وفائه مرة بعد أخرى .
(٣) اطّباه : تحبب إلى قلبه حتى ما يعدل به أحداً .

قَد تَعَتَّبْتُ ، يَعلَمُ اللهُ ، والوَا ...... جبُ ، والحُبُّ ، والوَفاءُ ، الجَميلُ

وَتَلوَّمتُ ، والتَّلَوُّمُ ضَنٌّ ...... بِهَوًى في الفؤادِ مِنهُ غَليلُ

فإذا أسعَفَ الهَوَى فالتَّمنِّي   وإذا أخلَفَ الرِّضَا فالقُفُولُ

ما يَضِيقُ العَزاءُ بالمُهجةِ الحَرَّ ...... ىٰ ولم يَنُبْ دُونَ ماضٍ سَبيلُ

إنَّ صَبري بما يَؤُودُ ضَليعٌ   وفُؤادِي بما أُريغُ كَفيلُ (١)

وورائي مِن الهوى والمَوَدَّا ...... تِ شُكولٌ مَضَت ، ودُوني شُكولُ (٢)

إنَّما يُعشَقُ الجَمال لمِعنَا ...... هُ وحُسْنُ السِّماتِ ضَيفٌ عَجولُ

ولقد يُخلِفُ الكريمُ على الخِصْبِ ...... بِ وَيُوفي على النُّضوبِ البَخيلُ

وعلى مَسْرَحِ الحَياة جَموحٌ   يَرقُبُ الحبُّ حُسنها ويُنيلُ

تَطِّبينَا بما تَصوغُ مَعَانِيـ ...... ـهِ جَمالا يَسبِي النُّهَى وَتَهولُ (٣)

وَقليلُ الهَوى الكريمِ كَثيرٌ   وكثيرُ الهَوَى الشَّحيحِ قَليلُ

رُبَّما استَصغَرَ القَوِيُّ ، على مَسْـ ...... ـعَاهُ ، ما يَبلُغُ الهِزَبْرُ الصَّؤولُ (٤)

وتمنّى الهَجينُ ، في زحمة الأقـ ...... ـدَامِ ، شيئاً مِمّا تُصيبُ الفُحولُ

ما تخوَّفتُ قبلَها الأَيْنَ ، والوحـ ...... ـشَةَ ، والسُّهدَ ، إنْ دعاني الرَّحيلُ (٥)

فالسُّرى دَأْبُ هِمَّتِي أتلقَّى النَّأْ ...... يَ كَرّاً ، كما تَكُرُّ السُّيولُ

---

(١) أراغ : أراد ، طلب .

(٢) الشكول : جمع شكل ، وهو النوع ، أو المشكل ، أو المِثل .

(٣) النُّهى : العقول ، مفردها النُّهيَة .

(٤) الهزبر : الأسد الكاسر .

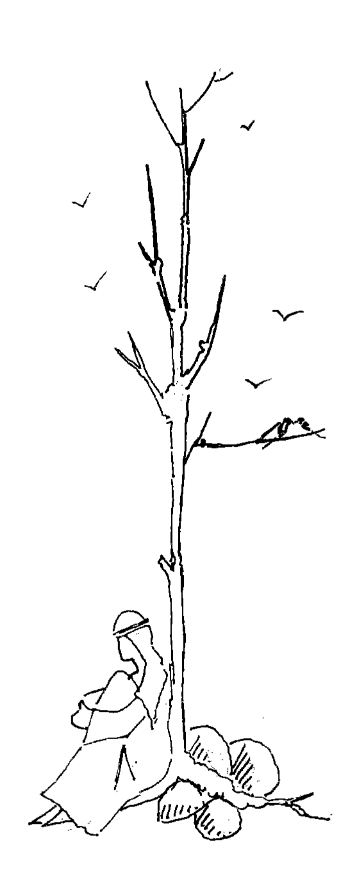
(٥) الأين : الإعياء ، ومن معانيها : الحية ، والجمل .

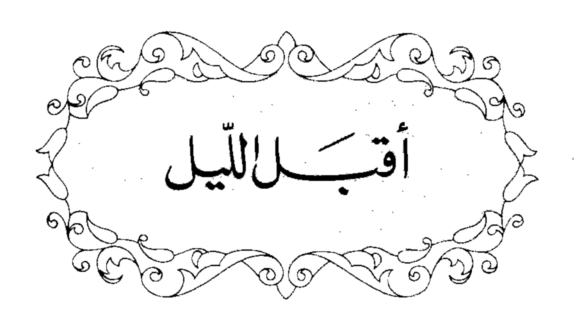
وَرَفِيقِي رَأيي ، ونَــفْسِي أَنِــيسي   وَسِلاحي قَلبي ، وَعَيْني الدَّليــلُ

وحبيبي لا مَنْ هَجَرتُ على البخـــ.........ـلِ ولكنَّــهُ الوَفِـــيُّ البَـــذُولُ

كلمَّـــا هَزَّني إليـــهِ حَنِينـــي   رَدَّني عَنــهُ ، قُربُــهُ المَمْطــولُ

لا طَوَيْنَـا على الهَــوانِ نفــوساً   لِحَبيبٍ ، وَلَــوْ بَرانَـا النُّحــولُ





أقبل الليل

أَقبَـلَ اللَّيـلُ ومـا لِي ... مِنـه بَحـراً مظلِمـا
تَنْطَـوِي فيـه مآسِيَّ ... لُغوبـاً وَظَمَـا
وَسَرَى البَـدرُ وقـد مَلَّ ... سُراهُ المُبْهَمَـا
قانِطـاً يَبـعثُ في نفـ ... ـسي أَساهُ أَلَمَـا
أَتُراهـا قِصَّةُ الهَـمِّ ... صَريعـاً ها هُمـا ؟

* * *

أم تُراهـا قِصَّةُ القَيْـ ... ـدِ لِحُرَّيْـنِ أُصِيبَـا
قصَّةُ الحَـيِّ على الأر ... ض يُلَقَّاهـا نَصِيبـا
قصَّةُ الأَحلامِ ، لا تَصْـ ... ـدُقُ ، والعَـيشِ رَتيبـا
والشَّبـابِ المُهـدَرِ الغَـا ... يَةِ مَحرُومـاً كَئِيبـا
لاذَ بالصَّمتِ كما لا ... ذَ بِهِ ، إلاّ وَجِيبـا

* * *

أَقبَـلَ اللَّيـلُ وفي النَّفـ ... ـسِ من اللَّيـلِ صِراعْ
وأَمانـيُّ فؤادٍ ... مُثخَـنٍ ضاعَت .. وضَاعْ
يالَـهُ من ثَبَـجٍ يَركَبُه اليا ... ئِسُ مَطْـوِيَّ الشِّراعْ [1]

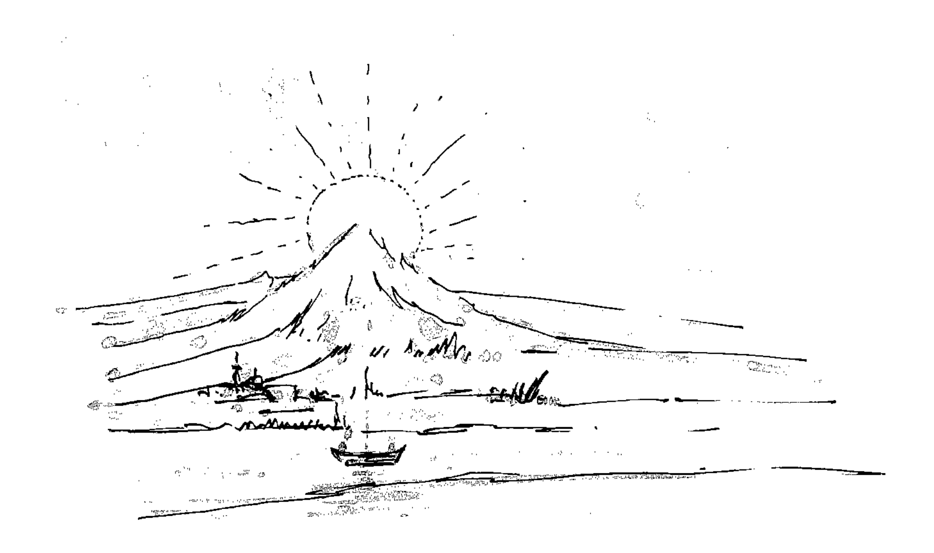
---

(١) الثَّبج : وسط الشيء تجمَّع وبرز (هذا البيت خمس تفعيلات) .

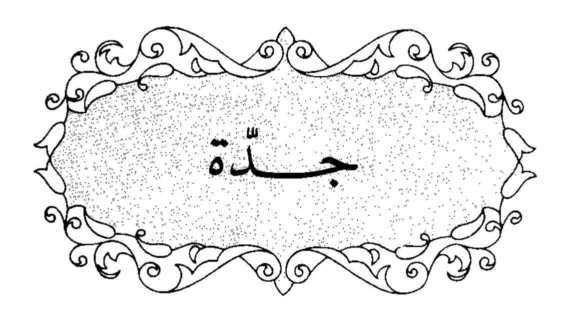
ثَبَــجُ العــيشِ على المكــــ.........ـروهِ في دُنيــا الخِــداعْ
الأُناسيُّ على ما التَـــمَسُوا فيها سَواءٌ والسِّبـــــاعْ [1]

* * *

قال لي اللَّيـلُ .. وقـال الـــ.........ـبدرُ .. والصَّمتُ خِطـابْ
ما مضَى من عُمْرنـا وَهْـــ.........ـمٌ ومـا يَأْتِــي سَرابْ
ما لنـا مِنْ نَصَبِ الجُهـــ.........ـدِ سوى مُرِّ العَــذابْ
قد عَدَانـا العِلــمُ بالغـا.........ـيَةِ سَعيــاً ومــآبْ
كم تَشَاكَيْنـا ومـا شَكـــ.........ـوى مُصابٍ لِمُصابْ ؟



(١) وهذا البيت – كذلك – خمس تفعيلات .



النُّهى بينَ شاطِئَيْكِ غَرِيقُ والهَوى فيكِ حالِمٌ ، ما يُفيقُ

وَرُؤَى الحُبِّ في رِحابِك شتَّى يَستَفِزُّ الأَسيرَ منها الطَّليقُ[1]

وَمَغانيكِ ، في النّفوسِ الصَّدِيَّاتِ إلى رَيِّها المَنِيعِ ، رَحيقُ[2]

إيهِ ، يا فِتنةَ الحَياةِ لِصَبٍّ عَهدُهُ ، في هَواكِ ، عَهدٌ وَثيقُ

سَحَرَتْه مَشابِهٌ ، منكِ للخُلدِ وَمَعنًى ، من حُسنِهِ ، مَسروقُ[3]

كَمْ يَكُرُّ الزَّمانُ ، مُتَّئِدَ الخَطْوِ ، وغُصْنُ الصِّبا عليكِ وَريقُ !

ويَذوبُ الجَمالُ ، في لَهَبِ الحُبِّ ، إذا آبَ ، وَهْو فيكِ غَريقُ

عُدتِ مَلفوفةً به ، في دُجَى اللَّيْلِ ، وقد هَفْهَفَ النَّسيمُ الرَّقيقُ

مُقْبِلاً كالمحِبِّ ، يدفعُه الشَّوْقُ ، فيَثنيهِ عن مُناهُ العُقوقُ

حَمَّلَتْهُ الأمواجُ أُغنِيَةَ الشَّطِّ ، فأَفضَى بها الأداءُ الرَّشيقُ

نَغَماً ، تُسْكِرُ القلوبَ حُمَيَّاهُ ، فمنهُ صَبوحُها والغَبُوقُ[4]

فيه ، من بَحرِكِ ، التَّرفُّقُ والعُنْفُ ، ومن أُفْقِكِ المَدى والبَريقُ

ومن اللَّيلِ ، صَمتُه المفعِمُ النَّفسِ لُغىً ، زانَها الخَيالُ العميقُ

---

(١) الرُّؤَى : جمع رُؤْيا ، ما يُرى في النوم . يستفزّ : يثير .

(٢) الصَّدِيّات : جمع صَدِ ، وهو شديد العطش . والصَّدى : العطش الشديد .

(٣) مَشَابه : جمع شَبَه (على غير قياس) وهو بمعنى الأشباه .

(٤) الحُمَيّا : الشِّدّة والحِدّة . الصَّبُوح : شراب الصَّباح . الغَبوق : شراب الماء .

ومـــن البـــدرِ ، زَهـــوُهُ وسَنـــاهُ   راويـاً عنهمـــا الـــفَضاءُ السَّحيـــقُ
قِطعَـةٌ ، فَذَّةٌ من الشِّعـرِ ، قد أَلَّــــــفَ أَشتاتَهـــا نِظـــامٌ دَقيـــقُ

* * *

أنتِ دُنيا ، رَفَّافَـةٌ بِمُنَـى الـرُّو.........ح ، وَكَـوْنٌ بالمُعجزاتِ نَطـــوقُ
رَضِيَ القَيْــدَ ، في حِمـاكِ ، فؤادٌ   عَاشَ كالطَّيــرِ ، دَأْبُــهُ التَّحليـــقُ
ما تَصَبَّتْــه قبـــلَ حُبِّكِ يا جَدَّ.........ةُ ، دُنيا بِسِحرِهـــا ، أو عَشيـــقُ
حَبَّـــذا الأَسْرُ في هواكِ حَبيبـــاً   بِهَـوَى الفكـرِ والمُنَـى ما يَضيـــقُ
مَنْهجِي فيــهِ مَنهَــجُ الطّائــرِ الآ.........لِف ، يَنْزُو بِهِ الجَناح الـــمَشوقُ (١)
فإذا هَمَّ أَشغَلَتْــــــــهُ فُروضٌ ،   من هَواهُ ، وأثقلَتْــــه حُقـــوقُ

* * *

جدَّتي ، أنتِ عالَـمُ الشِّعـرِ والفِتـــ.........ـنَةِ يَروِي مَشاعـــري ، وَيَـــروقُ
تَتَمشَّى فيكِ الخَواطـــرُ سَكْــرَى   ما يُحِسُّ اللَّصيـقَ ، منها ، اللَّصيقُ
كلُّهـــا هائـــمٌ بعالَمِـــهِ المخ.........ـمورِ ، يَهفُـــو بِهِ شَذاهُ العَبيـــقُ
تَتَجافَـى ، ما يأْلَـــفُ الخاطِـــرُ الخا.........طِرَ فيــهِ ، ولا تَديـــنُ الفُـــروقُ
فإذا أَوْمَضَ الخيـــالُ بِذِكْـــرَا.........كِ تَدَاعَت ، بعضٌ لبعضٍ يَتـــوقُ (٢)
وَحَّـــدَ الحبُّ بينَهـــا سُبُـــلَ الحبِّ.........فمـــا عافَ سابقـــاً مَسبـــوقُ

* * *

جدَّتي ، لا الَّتـــي يُحِبُّ الخَلِيُّـــو.........نَ ، شقـــاءٌ عَذبٌ ، وأَسرٌ أَنيـــقُ
وصِراعٌ بين الحِجَـــى والأمانِـــــي   يُطلِـــقُ الحسَّ ، تارةً ، ويَعـــوقُ

---

(١) ينزو : يثب ، يثور ، يتحرك . المشوق : المشتاق .
(٢) تداعى : دعا بعض بعضاً إلى اجتماع .

وسُهــادٌ ، يَهيــمُ في تِيهِهِ العَقــــ......ــلُ ، ويَعمَــى عن هَديِـهِ التَّوفيـــقُ

وصَدًى ، ما يَبُلُّــه الوَاكِــفُ الها......ـمِي ، وَقلبٌ ، لم تَسْتَثِرْهُ البُــروقُ [1]

أنتِ مُرتــادُ وَحــدَتي ، إنْ تَبَتَّلْـــ......ــتُ ، وإنْ شئتُ ، عالَمٌ مَطـروقُ

لِيَ ماضٍ ، لم أَنْسَهُ ، فيكِ قَدْ غَـ......ـصَّ ، بشَجْوٍ ، غُروبُــهُ والشّروقُ

تتناجَــى أَصداؤُه ، في رَوابِيــ......ــكِ ، إذا عادَها الخيالُ الطَّــروقُ

مُعْــوِلاتٍ ، أَلْــوى بمطلَبِهــا الأَيْـ......ــنُ ، فأنفاسُهــا عليــه شَهيـــقُ

مُثْقَلاتٍ حَيْرَى ، تُطِيفُ بها الوَحْـ......ـشَةُ ، والضَّعفُ عاجـزٌ ، ما يُطيقُ

كيـفَ أُنسيتِـهِ ، وضيَّـعْتِ ذِكــرا......هُ ؟ وهـل يُسلِمُ الرَّفيــقَ الرَّفيــقُ ؟

أَهُـوَ الغَـدرُ مِيسَمُ الـحُسنِ في شَرْ......عِكِ ، والعَهــدُ في هَواكِ عُقــوقُ ؟

حَبَّـذا أنتِ ، لو وَفَـيْتِ وأجْملْـــ......ــتِ ، ولم يُنْتَهَكْ لَدَيكِ الصَّديـــقُ

فوفـاءُ الحبيبِ أسمى مَعاني الـحُسـ......ـنِ ، والطُّهــرُ بالجَمــالِ خَليــقُ

لا تكـوني خوّانَــةً يُمطَــلُ الدَّيْـــ......ــنُ لديها ، ولا يَفـُــوزُ السَّبُــوقُ [2]

أو تَمُنِّي النُّعمَى عَلَــيَّ ، فمــا آ......لَمَ عيشاً يَضْوَى به المَـــرْزوقُ [3]

أكــــذا أنتِ للنَّقــــائضِ وِردٌ يَستوي عنـدَهُ التُّقــى والــفسوقُ ؟

بيـــنَ مَن تمنحِيهِــــمُ وِرْدَكِ السّا......ئغَ قومٌ ، وِدادُهـــم مَمْـــذوقُ [4]

مِن مياسيــرَ جاهليــنَ أضاعــو......كِ ، وكــلٌّ بما يَشيــنُ عَلــوقُ [5]

ومهازيـلَ ، كالضَّفــادعِ في الظُّلْـــ......ـمَةِ ، أَقصى ما يستَطِعْنَ النَّقيـــقُ

---

(١) الواكف : المتقاطر ماؤه .

(٢) السَّبوق : مبالغة في السَّابق .

(٣) يَضْوَى : يَضعُف ويَهزُل .

(٤) ممذوق : مشوب ، مخلوط بغيره ، غير صاف .

(٥) مياسير : جمع موسر وهو الغني ذو اليسار .

قادَهم أَخرقُ الخُطى للدَّنايا ... وهْو فيهِمْ ، بما جناهُ ، مَسوقُ

وشبابٌ ، غِراسُهُ ما زَكَت فيكِ – ولا غَرْوَ – فالغِراسُ العُروقُ

لَعْلَعَتْ صرخةُ النُّهوضِ حَوالَيْكِ ، وأصواتُهم لَدَيكِ نَعيقُ

ومشى النَّاسُ للجهادِ مُغِذّينَ ، فهل نَصَّ ناعقيكِ طَريقُ؟[1]

مَنْ لَهُم بالطُّموح ، والجِدُّ ما أَضْنَكَ مسعاهُ ، والحياةُ مَضيقُ؟[2]

هُم أُسارى مَناعِمِ العيشِ ، والحَقُّ عليهم ، مما أُذيلَ ، حَنيقُ[3]

* * *

كَمْ مُعَنًّى مِثلي ، يُطارِحُكِ الحُبَّ ، فينبُو بِهِ السَّبيلُ الزَّليقُ![4]

وَدَعِيٍّ ، يَصْطَكُّ في فَمِه القَوْلُ عِثاراً ، مكانُهُ مَرموقُ

أَمِنَ العدلِ أن يُشاكِلَني فِيكِ جَبانٌ ، عمَّا أُرِيغُ فَرُوقُ؟[5]

وَقُصاراهُ ، في هواكِ هَواناً ، ... أملٌ ضارعٌ ، ووجهٌ صَفِيقُ

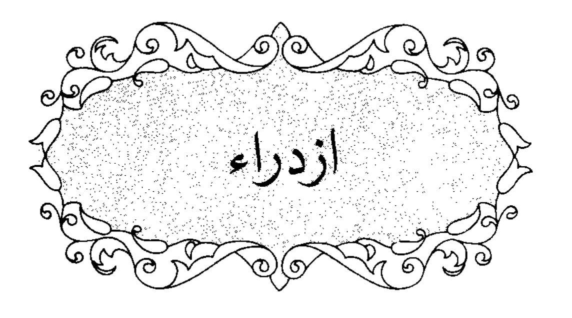
لا تَلومي ، على عتابِكِ ، حُرّاً ... قَلبُه ، منكِ ، بالجراح شَرِيقُ[6]

أنا للجِدِّ – والهَوى يُؤْثِرُ العِزَّ وَغَيري لغيرِهِ مَخلوقُ

والغرامُ المباحُ شرُّ الجِناياتِ ، فهلْ يَقنَعُ الجَمالُ النَّزوقُ ؟

★ ★ ★

(١) المغِذّ : المسرع . نَصَّ : أظهر ، أبان .
(٢) أضنك : أتعب ، وضيّق .
(٣) أذال : أهان وانتهك . حنيق : مغتاظ ، غاضب .
(٤) المعنّى : المعذّب .
(٥) الفَروق : الشديد الفزع .
(٦) الشريق : الغاصّ بالماء أو بريقه .



ازدراء

شيَّــعتُ حُبَّكِ بازدرائي ونَبَــذتُ ظُلمتَــهُ وَرائي

وغَسَلْتُ في دَمعِ النَّــدا......مَةِ من نَجاسَتِــهِ رِدائي

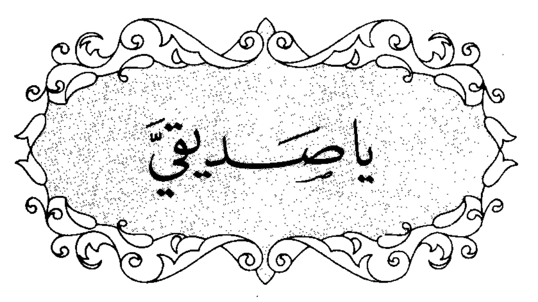
وكَفَـرتُ بعدَكِ بالهَوى جَسَداً ، يَحِنُّ إلى الغِذاءِ

وَغَريــزَةً ، جُنَّتْ بأَسلا......بِ الضَّحايا .. والدِّماءِ

تَسْطو بأَسلحةٍ من الــ......غَدْرِ المُمَــوَّهِ بالوفــاءِ

وَتَفيضُ حبّــاً لِلْفَريــ......سَةِ ، تحتَه نَارُ العِــداءِ

وشِباكُهـا الأَحلامُ والــ......أوهَامُ ، خادِعَةَ الطِّلاءِ



يا صَـديقيَّ

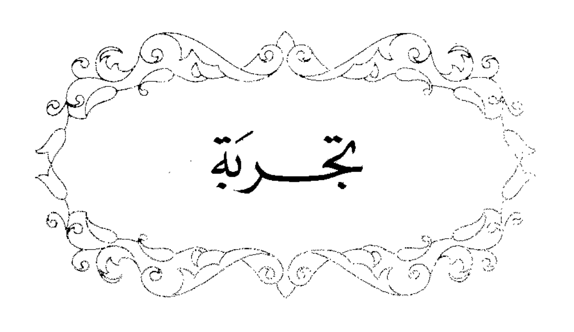
قارِنـــا حاضِري الحَزيـــنَ بأَمْسِي واسأَلاني ، لِمْ يَستحيــلُ التَّــأَسِّي

أَلَـمُ الذِّكريــاتِ للنَّــفسِ أنْ يَفْــ......قِـدَ سَلْوى الغرامِ ، حِسٌّ كحِسِّي

وشُعوري ، بِفتنـةِ الحبِّ والـــحُسْـ......ـنِ ، شعــوراً رَبَــا على كلِّ حِسِّ

رَفِّهــا ، إنْ قَدَرْتُمــا ، عن فُؤادِي أوْ دَعانِي ، أَخفِضْ على اليأسِ رَأسي

★ ★ ★



تجـربَة

أنـا لَسْتُ عاتِبـةً علـيكَ ، فإنَّنِـي بِيَدَيَّ ، فيكَ ، صَنعتُ سُوءَ مَصيرِي
وهَـربتُ من دنيـايَ أَحلُمُ بالهَوى ونَعيمِـهِ في عالَـمٍ أُسطـورِي
وأنـا التـي باعَـتْكَ كلَّ كِيَانِهـا بزخـارِفٍ وسَفـاسِفٍ وقُشورِ
وَرَأَتكَ بالوهـمِ المجَنَّـحِ فارساً متألِّقـاً في أُفْـقِكَ المسحـورِ
واليوَم ماذا أنتَ ؟؟ وَهْـمٌ خادِعٌ مرَّت به الأوهامُ عَبْـرَ شُعـورِي
أنـا لستُ نادمـةً ، فتلكَ خَطيئتي أَحْبَـبتُ إنسانـاً بغيـرِ ضَميـرِ
لا تعطِني ثمنَ الخطيئـةِ ، فالـذي أَعطَيْتَني ، من قَبْـلُ ، جِدُّ كبيـرِ
أَتَقِـيسُ تَجربتـي بأيِّ عَطِيَّـةٍ ؟ سِمَـةُ الغَبـاءِ تَفاهَـةُ التَّفكيـرِ
ستظـلُّ تَجربتي ، بنفسي ، لَعْنَـةً للـحبِّ شاهِـدةً على تكـفيرِي
أرأَيتَنـي بهواكَ غيـرَ فَراشَةٍ ، سَقَطَت ، لها في الجِنس أَلفُ نَظِيرِ
وَتَقُولُ : ما ذَنبي ؟؟ صَدَقتَ ، فإنَّما ذَنْبُ الفَـراشِ هِيامُـهُ بالنُّـورِ
فاذهَبْ إلى غايـاتِ حَظِّكَ عابِثـاً بفَـرائِسِ الأحـلامِ في الـدَّيجورِ
وانصِبْ شِبَـاكَ الحبِّ دمعاً كاذِبـاً وَتَأَوُّهـاً من قلـبِكَ الشِّريـرِ
واتـرُكْ لِيَ المأساةَ ، وحـدي ، إنَّهـا قانـونُ كلِّ حقيرةٍ وحقيـرِ
لا ضَيْرَ .. سوف تكونُ بَعدكَ قصَّتي مَلهـاةَ كلِّ غريـرةٍ .. وغَريـرِ

★ ★ ★



ماذا يَريبك ؟

ماذا يَريــــبُكَ مِن تَأَبِّيها ... حُبُّ السَّلامةِ مِنكَ يَثْنِيها ؟

أَتَرى الإباءَ خديعةً منها ... لِمَ لا يكونُ غريزةً فيها ؟

إنَّ الطَّبيعةَ حارسٌ يَقِظٌ ... مِن لَفحَةِ الإغراءِ يَحْميها



نُذُر الشَّيْب

بلَـــغتُ بالشَّيبِ غَايَـــةَ العُمُـــرِ ... ولستُ فيمـــا أَرى بِمُزدَجِـــرِ [1]

مازلتُ أَرجو مِن الهَوى ، حَرَضاً ، ... ما كنتُ أَرجو مِنه ، عَلى صِغَري [2]

يا فِطـــرةَ السَّوْءِ كم يُغالِبُنـــي ... مِنكِ قَوِيُّ الجِمـــاحِ ذُو أَشَرِ [3]

كَفَى نذيراً بالشَّيبِ لَوْ عَقَلَ الـــعَاصِي ، وَفِي الشَّيبِ أَبلَغُ النُّذُرِ

لم تَبْــقَ مِنِّــي للــحبِّ باقِيـــةٌ ... تُغــرِي حَبيبــاً بِسانِــحِ الوَطَــرِ [4]

فالوجهُ ضاوٍ ، والــرَّأسُ منجَــرِدٌ ... والجسمُ ذَاوٍ ، كيــابِسِ الشَّجَـــرِ [5]

★ ★ ★

(١) زجر الشيءَ : منعه وكفّه وانتهره ، والمزدَجِر : المعتبر .
(٢) الحَرَض : فساد المذهب والعقل ، الذوبان في الحب .
(٣) الأَشَر : البَطَر .
(٤) السّانح : العارض غير الدائم . الوَطَر : البغية ، الحاجة .
(٥) الضّاوي : الضعيف الهزيل .



تأمُّل

أَجدَّت علاقاتُ الهوَى ، لِذَوِي الهوَى　　مَطالبَ ، ضلَّت في دُجاها المَطامعُ

إذا كان ما ترجوه غَيْباً مُحَجَّباً　　فأَيسَرُ ما تُهدي الغُيوبُ الفجائعُ

أَمُستَودِعاً سرَّ الهوَى غيرَ أَهلِهِ　　لَغَيْرُ غريبٍ أَن تَضيعَ الوَدائعُ



لا أُبالي

لا أُبالِي إذا دَعَانِي الحَنِينُ　　أَتَهُونُ السَّبِيلُ ، أَمْ لا تَهونُ

وإِذا رابَ مُدَّعِي الحبِّ ظَنٌّ　　بحبيبٍ ، لم تَثْنِ خَطوي الظُّنونُ

فالهوى ، إنْ يَكنْ وفاءَ وفِيٍّ ،　　فَهْو في مهجتي حِفاظٌ وَدِينُ

* * *

لا عَدَتْنِي عَمَّن أُحبُّ العوادِي　　وَلَوَ آنّي بِما استباحَ طَعِينُ

كُلُّ عِبْءٍ ، عَدَا الهَوَى ، لَخَفِيفٌ　　أَتلِينُ الصِّعابُ أم لا تَلينُ

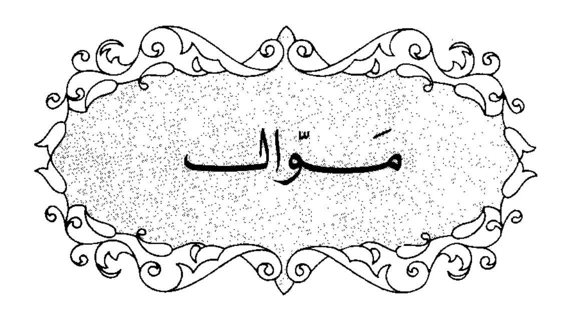
* * *

يا كِناساً ، يُشِيحُ بالظبية العَفْراءِ ، ما أنتَ لو يَشاءُ العَرِينُ؟ [1]

ما احتَمَت فيكَ ، بل حَمَتْكَ ، وللحُسْنِ صَيَاصٍ مَرْهوبةٌ وحُصونُ [2]

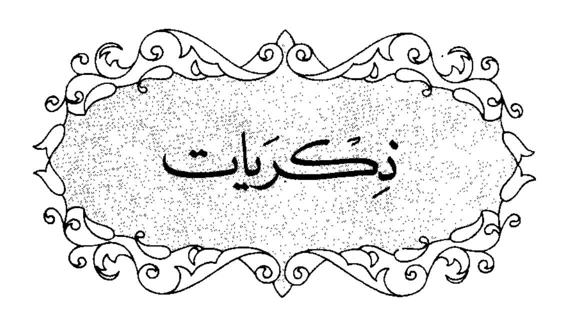
(١) يُشيح : من أشاح بوجهه إذا عرض مبدياً كرهاً أو ازدراء . العفراء : الظبية يعلو بياضها حمرة .

(٢) الصياصي : مفردها الصيصة وتأتي بمعنى الحصن .



مَــوّالــ

فايتاني من غيرْ وداعْ يا ربْ حاسِبْها | دي عَمْلة لَمْ كنتْ قبل البُعد حاسِبْها
روحي وبهجةْ حياتي إزايْ حاسِيبْها | لابدْ ما تعودْ لحضني يوم وحاسِبْها



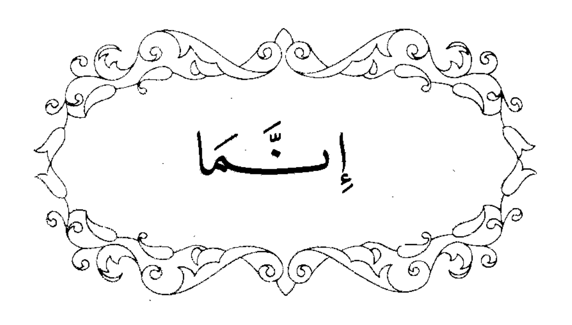
ذِكريات

لم يَزَلْ لَيــلُكَ يَستوحِــي رُؤاهــا | ويُناجِي رَمـلُك الظَّامِــي حَيَاهــا
ذِكْريــاتٌ ، أَشرَقَ الــوادي بِهــا | مُذْ رَوَتــه ، بِسَناهــا وَنَداهــا
نَوَّرَت في زَهــــرِهِ فِتنتُهــا | وَجَـلَت بالهمسِ مَكنــونَ لُغَاهــا
يا لِنَعمــانَ على عهــدِ الصبِّــا | رحلةٌ ، واصَلَها الحِسُّ ، فَتَاهــا[1]
الهوى فَجــرُ سَناهــا المُرتَجَــى | وجِراحُ القلبِ والسُّهــدُ جَنَاهــا

★ ★ ★

---

(١) نَعمان : وادٍ في طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، ويقال له : نَعْمان الأراك .



إنَّمَا

أنا ما نَسِيتُ حَنينَكَ المتَضرِّما ... وشُحوبَ وجهِكَ ، ثائراً مُستَسلِما

والحُزنَ في عينَيْكَ ، جَمراً خامِداً ... واللَّفظَ في شَفَتَيْكَ ، هَمساً مُبهَما

وتَحَجَّرَت دُنياكَ حولَكَ بَغْتَةً ... وَبَدا كِيانُكَ صامِتاً مُتَهَدِّما

وتَمَزَّقَ المَاضِي ، أَمامَكَ ، كُلُّهُ ... وَبَدا مَصِيرُكَ فيه ليلاً مظلِما

وَهَمَمْتُ أَنْ أجثُو على قَدَمَيْكَ لَوْ ... كنتُ استَطعتُ إليكَ أن أتقدَّما

فلقد غَدَتْ بَينِي وبَيْنَكَ هُوَّةٌ ... لم يَنصِبِ الغُفرانُ فيها سُلَّما

أنا ما نَسِيتُ ، وكيفَ أنْسَى زَلَّتِي ... وحَقارَتي ، لَمَّا نطقتُ تَهَكُّما ؟

أنا لم أبادِلْكَ الغرامَ ، وإنَّما ... حاولتُ فيكَ .. ومنكَ أنْ أتعلَّما

قد كنتَ تَجرِبَتي .. وأشهَدُ أنَّها ... كانت لِما آثرتُ فيكَ المُلْهِمَا

وَضَعَتْكَ بينَ يَدَيَّ أوَّلَ لُعبَةٍ ... وذكَرتُ عَهدي في مُلاعَبَةِ الدُّمَى

وَمَضَيْتُ في هَذَرِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ ... ورأيتُ جُرحَ أساكَ يُمطِرُني دَما

فَسَكَتُّ شاعِرَةً بِهَوْلِ خَطِيئَتِي ... خَزْيا ، وكانَ عليكَ أنْ تتكلَّما

وَحَلَفْتُ .. هل أَصغيتَ ، أو صَدَّقْتَ ، أو ... أَترَعْتَ لي كأسَ انتقامِكَ عَلْقَما ؟

وَبَكيتُ ، بعدُ ، فهل رَثَيتَ لأدمعي ... ونَدِمتُ ، لكنْ ما النَّدامة بَعْدَمَا ؟

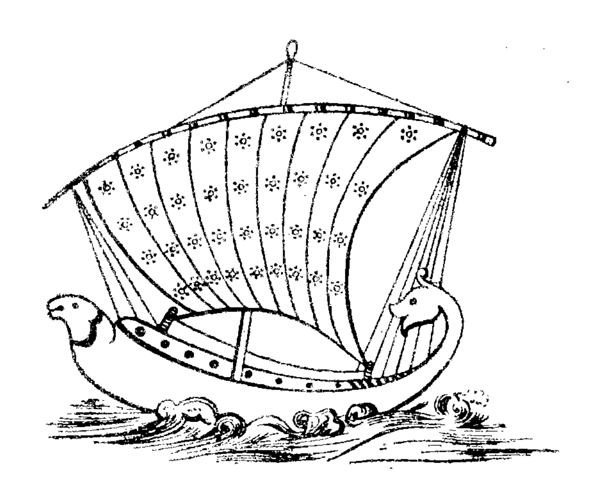
وَصَدَقْتُ في قولي ، كذبتُ (بإنَّما) ... وشقيتَ أنتَ – وكم شَقِيتُ – بإنَّما

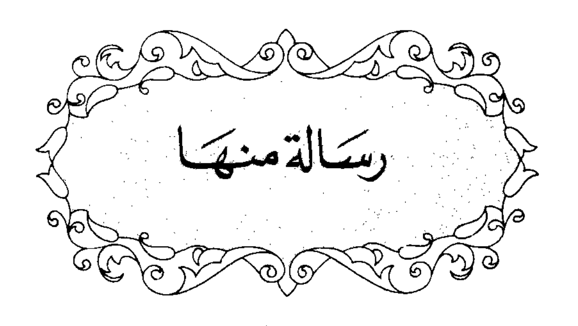
وَحُرِمْتُ منكَ سِوَى تَصَوُّرِ ما مَضَى ... لي من هَوَاكَ طَلاقةٌ وتَأَزُّما

أنـا ما نَسِيتُ ، وكيـف أنْسَى أَنَّنِـي   قَتَّلتُ فجـرَ حيـاتِكَ المُتَبَسِّمَـا ؟

أُقتَـاتُ بالحِرمَـانِ بَعـدَكَ والأَسَى   وأظَـلُّ أَستسقِـي الحنينَ مِن الظَّما

حتّى تَعودَ ؟ وهـل تعـودُ ؟ ولَيْتَنِـي   أَجـدُ السَّبيـلَ إلى رِضاكَ . وَرُبَّمَـا





رسالة منها

مازال عِطرُ يَدَيْكِ بينَ سُطورِهـــا ... يُزرِي بأنفـــاسِ الـــوُرودِ عَبيرا

ووراءَ كلِّ فرِيـــدةٍ .. مِن لفظِهـــا ... نَغْـــمٌ تَدَفَّـــقَ رِقَّـــةً .. وشُعـــورا

مِن سِحرِ عَينَيكِ استعَرتِ بياضَها ... فسَكَبتِ فيـهِ على الصَّحائـفِ نُورا

فلقد شَهدتُ بكلِّ لفظٍ كوكبـاً ... يبـدو ويَخْفَـى ، ساحـراً مَسحـورا

لِلَّـــهِ ما أَبـــدَعتِ من صُوَرٍ بها ... ضاقَ البيـانُ بمِثلِها تَصويـــرا

ما زلتُ منذ تَلَوْتُهـا وأَعَدْتُهـا ، ... في عالَـمٍ ثَرٍّ الـرُّؤَى ، مَخمـورا

تَشْكِينَ من بعدي ؟ أَتلكَ حَقيقةٌ ؟ ... يَمضِي هَوايَ بها إلـــيكِ مُشيرا

ماذا أقولُ أنــا ومــا خلَّــفتِ لي ... في اليأسِ ؟ خُضتُ ظلامَهُ مقهـورا

حتَّى ارعَوَى بكِ عَهدُنا ، فَذَكرتِهِ ... وأزاحَ فَجــرُ وفــائِكِ الدَّيْجُــورا

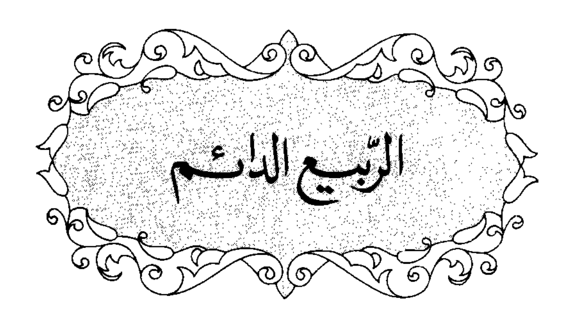
تُهـدِي رسالـتُكِ الحبيبـةُ ضَوْءَهُ ... حبًّا يَفـيضُ مقاطِعـاً وسطـورا

قد كنتِ فيها ، مِلْءَ نَفْسِي ، صورةً ... لم يَلْـقَ قَطُّ لها الخَيـــالُ نَظيرا

فَمَتـــى أَراكِ حقيقـــةً مَجْلُــوَّةً ... يَبْــدو بِهــا وجــهُ الحيــاةِ نَضيرا ؟

عُودِي إليَّ لِتَقْـرَئِيها ، فَهْـيَ مِن ... شَفَتَـــيْكِ أَروعُ قِصَّةٍ تَأْثيرا

★ ★ ★



لا تَقُولي : مضَى الرَّبيعُ ، ووَلَّى ،   إنَّـه ، فيكِ ، دائِـمٌ يَتَجلَّى

لم يَزَل عِطـرُهُ يُضمِّـخُ خَدَّيْـ.......ـكِ ، ويُلقِـي على الطَّبيعَـةِ ظِلّا

ورُؤاهُ تَبـدو بعَينَـيكِ سِحـراً   يَستَفِـزُّ الهَـوَى خَيـالاً مُطِـلّا

ووُروداً تَهتَـزّ في ثَوبِكِ الهَفْـ.......ـهَافِ ، أَندى مِن الورودِ وأَحلى

وعبيراً ، يَهيمُ في شَعـرِكِ الحَـا.......لِكِ ، لاقَـى فيـهِ هُداه ، فَضَلّا

وجمالاً ، شابَ الزَّمـانَ هُيامـاً   بِهَـواهُ ، ولم يَزَل فيكِ طِفـلا

لن يَغيبَ الرَّبيعُ في وجهِكِ الضَّا.......حِي ، شُكولاً ، وفي المفاتِنِ جَذْلَى

أيـن منكِ الرَّبيعُ ، جِيـداً وصَدْراً   وشِعـاراً تَرِفُّ نَبْضاً ودَلّا ؟

أنتِ أُنشودَةُ الرَّبيـعِ ونَجْـوا.......هُ ، ودُنيا هَواهُ ، مَعنًى وشَكـلا

صاغَكِ اللهُ منـه يَنبـوعَ حُسنٍ   قَلَّ أن تَجتلـيْ له العَيـنُ مِثْـلا

عجَزَالقَـولُ أنْ يُصوِّرَ معنـا.......كِ بمعنـاهُ ، مُكثِـراً ومُقِـلّا

وتَرامَـى الخيـالُ فيكِ إلى أعْـ.......ـلَى مجالاتِـهِ ، فأَلفـاكِ أَعْلَـى

خُلُقـاً صافيـاً ، وخَلْقـاً قَويماً   وَجَمـالاً ، يَفـيضُ طُهـراً ونُبـلا

ضَرَبتْ حولَكِ القلـوبُ نِطاقـاً   أنتِ فيـه رُوحٌ سَمـا فتَعَلَّـى

وأَطـافت بكِ العُيـونُ ، تُناجيـ.......ـكِ ، رَجاءً في نَظرةٍ منكِ عَجْلَى

جلَّ بارِيكِ صورةً يَلتقِـي فِيـ.......ـها ربيعُ الجَمالِ ، فَرعـاً وأَصلا



القلب الخائف

قَلبي يحدِّثُني ، ويـا لِمَـرارةِ الذِّكـرى ، بأنَّكِ لن تَعـودِي

فأُحسُّ بالأحـلامِ والأطيـافِ تَهجُـرني ، ويَتبَعُهـا وُجـودي

وأرى الحياةَ – بغيرِ أَن أَلقاكِ – دونَ سِواكِ – ضيِّقـةَ الحدودِ

والعيشَ قبلَ هواكِ سجناً لم يُخلِّصْني ، سِوَى عينَيكِ فيهِ من قُيودِي

* * *

أطلـقتِ في ليلي الضِّيـاءَ بوجـهكِ الضَّاحـي الفَريـدِ

وأَزحتِ من دَربي الظَّـلامَ بِصَوتِكِ الحُلْـوِ الوَئيـدِ

نَثَـرَتْ خُطـاكِ عليـهِ ، ما شاءَتْ رُؤايَ ، مِن الـوُرودِ

فتنـفَّسَتْ فيـهِ الحيـاةُ ، طليقـةً ، بعـدَ الرُّكـودِ

وتَدَفَّقَ الإلهامُ من عينيكِ ، يا سَمـراءُ ، سِحْـراً في نَشيـدي

وجَـرَتْ بِهِ نَسَمـاتُ صَوتِكِ ألـفَ لونٍ في قصيـدي

أَشعَـلْتِ نارَ الحبِّ ، يا سمراءُ ، ناراً في وَريـدي

وبعَـثْتِ في قلبـي الحنـانَ ، فهَبَّ من تحتِ الجليـدِ

قد كُنتِ ، يا سَمـراءُ ، في عينـي .. سَنَـى فجـرٍ جديـدِ

لا تَذهبـي ، وتَرفَّقِـي – وسَلِـمْتِ – بالأمـلِ الوَليـدِ

أَعطيتِنـي ما لستُ أَطمـعُ فيـهِ ، بَعْـدُ ، إلى مَزيـدِ

أعطيتِنِـــي ثِقتـي بِنُبـــلِكِ بيـــنَ وعـــدِكِ .. والوَعيـــدِ
لن تقتليني .. بعدَ أن أحيَيتِ آمالي – فدَيـتُكِ – بالصُّدودِ
سأعـيشُ بعـــدَكِ ، في ظلالِ الصَّمتِ ، أرسُفُ كالشَّريـــدِ
وأظـــلُّ أضرِبُ في فَراغِ اللَّيـــلِ .. كالحَـــيِّ الطَّريـــدِ

* * *

واللَّيـلُ ، يا سمَـراءُ ، بَعـدَكِ ، فُوْهَـةُ البُركانِ ، تَقـذِفُ باللَّهيبِ
والصَّمتُ ، يا سَمـراءُ ، بعـدَكِ قِمَّـةُ المأساةِ في قلبـي الكئـيبِ

* * *

المَقعَـدُ الخالي يُسائِلنـي .. وأسألُـهُ : متـى يأتي حَبيبـــي ؟
وكتـــابُكِ المُلقَـــى يَفـــيضُ أساهُ بالمَلَـــلِ الرَّتـــيبِ
كم نامَ بين يدَيكِ مَخمـــوراً على الحُلُـــمِ الطَّـــروبِ
تَسْري بهِ نَغَمـــاتُ صوتِكِ في ذُرى أُفُـــقٍ رَحـــيبِ
ويَهيـــمُ في نَغَمـــاتِ ثَغـــرِكِ .... بين طِلـــىً وَطِـــيبِ
سأعـــيشُ ، بيَـــن كتـــابِكِ المُلقَـــى ، حزينـــاً كالغَـــريبِ
وأرى سعـــادةَ قلبِـــيَ المحرومِ .. تُمعِـــنُ في الهُـــروبِ

* * *

اللَّيـــلُ ، يا سَمـــراءُ ، بعـــدَكِ ، مَأْزِقُ الضَّنْكِ الرَّهـــيبِ
والجُـرحُ ، بعـدَكِ ، لن يَنـامَ بمأتَـمِ القـلبِ الحَـريبِ
فَارعَـــيْ كتـــابك ، واقـــرَأي هولَ النهايـــةِ في شُحـــوبي [1]

(١) فارعَيْ : فعل أمر للمؤنث بمعنى : احفظي .

ما كنتُ أَحسَبُ شمسَ آمـــالي ستَجْنَحُ للمغــــيبِ
لكنَّـــهُ قدَرُ العقـــولِ ، تَعَثَّـــرت ، بيْـــنَ الـــدُّروبِ
ما كنتُ غيــرَ فراشَةٍ ، رَعْنـــاءَ ، تَسقُـــطُ في اللَّهـــيبِ
وكــذاك تَحتــرقُ القلــوبُ على لَظـى الأمـلِ الكَــذوبِ
إنِّـــي ، لَأَسأَلُ خائفـــاً مترقّبـــاً ، ألّا تُجيبِـــي
هل كان يومُ .. عرفتُ فيكِ هَوايَ ذَنْبـــاً من ذُنـــوبي ؟
يا لَلْقَـــريبِ من البعيـــدِ ولِلْبعيـــدِ منَ القـــريب !





كلُّ قلبٍ مقيَّـــدٌ بهَـــواهُ   لا يُبـالي ، شَفـاهُ أو أشْقـاهُ

وإذا هامَ عاشقٌ بِحَبـــيبٍ   لم تَسَعْ نفسُه حبيبـاً – سِواهُ

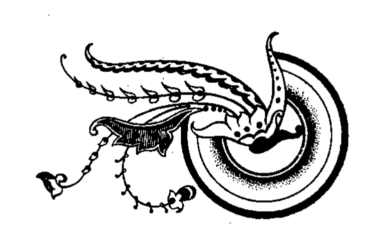
أجَفـا أم وَفَـى ، وأَسعَـدَ أم أَبْـــعَـدَ ؟ كُلٌّ يَزيـدُ في مَعنـاهُ

إنَّـهُ الـحُبُّ ، راحـةٌ وعَـذابٌ   في تلاقي نَعيمِـهِ بِلَظـاهُ

جَمَـعَ الحُـزنَ والمسرَّةَ ، ضِدَّيْـــنِ ، فَزانـا بِسِحـرِهِ دُنيـاهُ

ما رَفيفُ الأضواءِ ، في الفجرِ ، لولا   وَحشَةُ اللَّيـلِ .. صَمْتُـهُ ودُجـاهُ ؟

والمزايا ، لولا العُيوبُ ، صِفـاتٌ





سمراء

الحُبُّ في عَينَيكِ ، يا سمراءُ ، عاصفةٌ تَرُوعْ
بحرٌ رهيبُ المَوجِ ، يَعصِفُ بالقواربِ والقُلوعْ
نارٌ تُؤَجِّجُها الجِراحُ ، وليس تُطفِئُها الدُّموعْ
حربٌ تكسَّرتِ السُّيوفُ بها .. وحُطِّمَتِ الدُّروعْ
لا وَزنَ فيها للقلوبِ تذوبُ ، وَجْداً ، كالشّموعْ

* * *

والحُبُّ في عَينيكِ ، يا سمراءُ ، عِربيدٌ يُغَنِّي
حَانٌ على جَنَباتِها الحُمْرِ الخَضيبَةِ أَلْفُ دَنِّ
غابٌ تعَوَّدتِ الكواسِرُ فيهِ أن تُغَنّي وتُغَنّي
إنّي أرى جُثَثَ الضَّحايا فيهِ تَملأُ كُلَّ رُكنِ
اَلْيَمُّ ، يا سمراءُ ، غلاّبٌ ، وعَزمِي ليس يُغْنِي

* * *

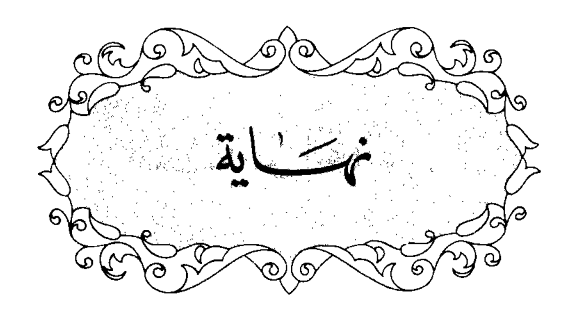
سمراءُ ، إن عزَّ الإيابُ فإنَّه قَدَرُ انتِهائي
كنَّا على وَعدِ التَّلاقي فيهِ .. في يوم اللّقاءِ
قَدَرٌ بدَا في عَينِكِ الوَسنَى فآذَنَ بانطِوائي

ورمَيتُ ، كالطَّيرِ الجَريحِ ، بِنظرتي عَبْرَ الفضاءِ
لو كنتِ عانيتِ الشَّقاءَ لَمَا صَبَرتِ على شَقائِي

* * *

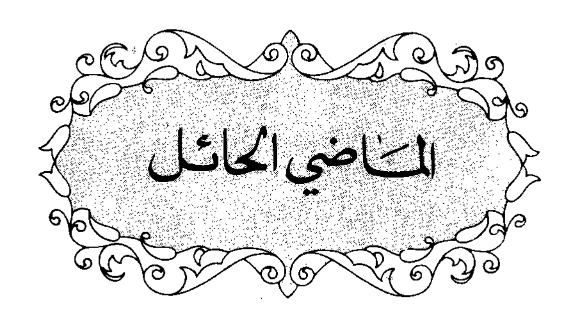
ولَمَا لَهَوْتِ ، وأنتِ صامِتَةٌ ، بِشَجوِي .. بانتِحابي
بعِتابِ عَيني ، في غِيابِكِ ، غيرَ واعيةٍ عِتابي





نهاية

لا تَقُلْ : كانَتْ ظُنوناً .. فَلَقد كانت جُنونا
وغراماً يائِساً آثَرَ أن يَبقَى شَجينا
في ظلامِ الشَّكِّ والحَيْرَة وَهْماً ، أو يَقِينا
وشُعوراً جَفَّ بالغَيْرَةِ سُهداً وشُجونا
وحِجىً طاحَ بهِ الضَّنكُ ، على الوَعرِ ، طَعِينا
في صراعٍ ظَلَّ بالرَّاحةِ ، والسَّلوى ، ضَنِينا
وأنا رمزُ الأسى فيهِ ، كما قُلتُ ، مَهِينا
وأنا .... يُخرِسُنِي صَوتُكَ جيّاشاً .. حَزِينا
حَجَزَ الكِبْرُ دُموعِي ... بعدما فاضَت سِنينا
لم أقل أنتَ ، ولم أُخفِض ، ولم أُرفَع جَبِينا
منذُ كانت كِبرياءُ الجُرحِ أمراً ، لن يَهونا
لِمَ لا تنسَىٰ ؟ دَعِ الماضِيْ بِمَثْواهُ ، دَفينا
لِمْ نُقَضِّي فَضْلَةَ العُمْرِ صِراعاً ، وأنينا
لِمَ لا نستقبلُ الفجرَ ، خُشوعاً ، وسُكونا
قُلْ مَعِي - وَلْيَشْهَدِ اللَّيلُ - افترقنا ، ونَسِينا
لِنَعِشْ حُزْنَيْنِ ، كالأطيافِ ، دُنيا الحالمينا



سِرتُ في ذاتِ مساءٍ شَاحِبٍ   قاتِمِ الأَرجاءِ ، مَطمُوسِ الظِّلالِ
مُطرِقاً أُصغِي لماضِي ذِكرَياتٍ   بعَثْتها ومَضَاتٌ من خيالِي

* * *

لحظةٌ في سُرعةِ الضَّوءِ أَطافَت   بِي على كُرْهٍ ، وفي طُول الأَبَدْ
خِلْتُ أنَّ الكونَ أَمسى بَعدَها   راجِفاً كالبَحرِ ، يَرمِي بالزَّبَدْ

* * *

وإذا الماضي وما أُودَعتُهُ   من مَلاهي ومَرازِي عُمُرِي
ضاربٌ في صَحَرَاءِ الكونِ مَاضٍ   أَتُراهُ ؟ كان يَقفو أَثَري ؟

* * *

وتلاقَينا على غيرِ اشتياقْ   وكذا عِشْنا على غَيْرِ وِفاقْ
وتعارَفنا ، وقد كنَّا تَناكَرْ.........نا قَدِيماً ، وتواعَدْنا الفِراقْ

* * *

ومشَى نَحوِيَ مَكدودَ الخُطى   ظاهِرَ اللَّوعَةِ مَرهوبَ الأَسى
عاتِياً تُرسِلُ عَيناهُ الكَلامْ   يَتلظَّى ، وَهُما لم تَنْبِسَا

* * *

وانثنَى يَسألُني كيف نَسِيتُ ؟ قلتُ : ماذا يَذكُرُ العاني الشَّريدُ ؟
أنا مِن حاضِرِ أمري في جِهادٍ كلُّ ما يَذهَبُ فيه لا يَعودُ

* * *

قال : لو كنتَ حَزيناً لم تُضِعْ ذِكرياتِ الحُزن ، والماضِي الشَّهيدِ
إنَّما أغرقتَهُ في حاضِرٍ طافحٍ باللَّهْو ، والحُبِّ الجَديدِ

* * *

أكذا أنتَ وأيمانَ الوفاءِ أيـنَ ما يشهَدُه اللَّيلُ عَلَيك ؟
يومَ كانت بَهجةُ الدُّنيا تَراءَى لَكَ في هذا الذي بَينَ يَدَيك

* * *

فانطَوَى ، بل أنتَ قد أسْلَمْتَهُ للفَنَا ، وانصرفَت نفسُك عَنهُ
كنتَ تَرجوهُ حَرِيصاً شَيِّقاً فغَدا اليومَ عَناً تهربُ مِنهُ

* * *

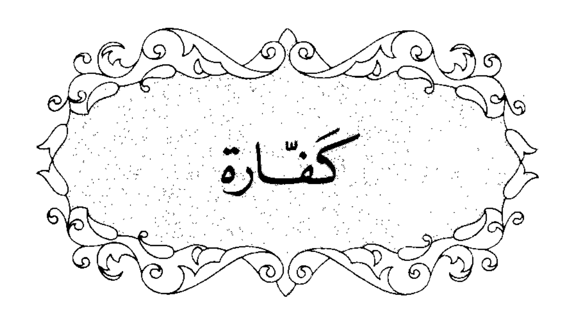
كنت تَخشى نَسمةَ الفجرِ عليهِ ونَدَى اللَّيلِ ، وَلُجَّ الأعينِ
وتـرى اللَّحظةَ دهراً إنْ نَأَى وَهُو اليومَ طريدُ الزَّمَنِ

* * *

ذاكَ ما آثَرْتَ فيه راضِياً لَيتَه آثَرَهُ فيكَ قديما
يومَ كانت نظرةٌ منهُ خَلَتْ من رقيقِ العَطف تَذْروكَ هَشيما

* * *

كان مأواكَ الذي رفَّ عليهِ ضَوْءُ دنياك ، وللدُّنيا العَفاءْ
تَنضَحُ الأحلامَ فيه ألَقاً والهَوَى يَرْفَضُّ سِحراً وَرُواءْ



كَفّـارة

حبيبَتي قُلنا .. وأكثَرنـــا ... وكَم صَفَونا .. وتَكَدَّرنا

وكَم تَلاقَينَـا على غايَـــةٍ ... مِن الرِّضَى .. ثمَّ تَغَيَّرنـــا

وقلتِ : ضِقنَا بِقيودِ الهَوى ... ذَرعاً .. فها نَحنُ تَحَررنا

فأَبحَرَ البُعدُ بنـــا والأسى ... في رِحلَة الصَّمتِ ، وَأَبحَرْنا

فطارَحَ النِّسيـــانُ آلامَنـــا ... فهل نَسِينا ؟ بل تَذَكَّرنـــا

وقد بلَغنَا غايَةً في الهَوَى ... حاصِلُهـــا أَنَّـا تَحَيَّرنَـــا

كيفَ اختَلفنا ، فاتَّفَقْنَا على ... وَأْدِ الهَوى ؟ كيف تَعَثَّرْنا ؟

لن أُنكِرَ الواقعَ .. لن تُنكِري ... أَمَـا نَدِمنـــا .. وتحسَّرنــا ؟

أَمَا اعتَزَمْنا أَلْفَ أَن نلتقِي ؟ ... فإن تَلامَحنــا تَسَمَّرْنـــا

أَحلِفُ : ما أَترَعَ أقداحَنَا ... شَجواً ، سِوى أَنَّا تَكبَّرنا

جَرَت دَوَاعِينـا بِناحِيَـــةٍ ... فما لنــا نحنُ تحجَّرْنـــا ؟

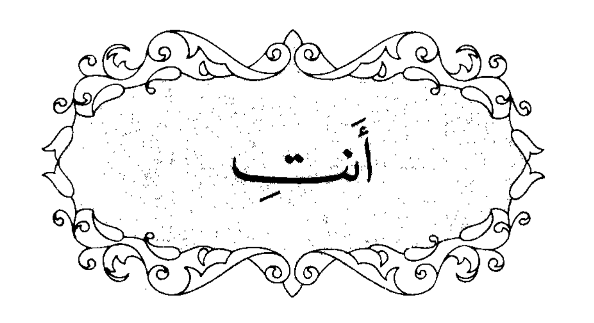
تُهِيبُ بالماضِي خَيالاتُنـــا ... حتَّــى إذا لَبَّــى تَأَخَّرْنـــا

إلى مَتى نَطوِي جِراحَ الأَسَى ... مِمَّا تَخَيَّلْنا .. وصوَّرْنا ؟

تُبنا وتُبنَا ، وارعَوَيْنـا إلى ... صَفوٍ ، وبالدَّمعِ تطَهَّرْنـــا

ونَــدَمُ المُــذنِبِ كَفَّــارةٌ ... ونحنُ أَذنَبنَـــا ، وكَفَّرْنـــا

★ ★ ★



أنتِ

أنتِ التي أيقَظتِ قلبي

مِن عَميقِ سُباتِهِ ..

وأنرتِ أُفقَ حَياتِهِ ..

وسَطَعتِ كالفجرِ المُوَرَّدِ

في دُجى ظُلُمَاتِهِ

ودَفعتِ تيَّارَ الشُّعورِ

فدَبَّ في خفقَاتِهِ

ونثَرتِ آلافَ الزُّهورِ

على حُقولِ مَوَاتِهِ

وأزَحتِ أستارَ الضَّبابِ

غفَا على صَبَوَاتِهِ

وكسَرتِ كلَّ قُيودِهِ

وهدَيتِهِ بعد الضَّياعْ

فإذا بأحلامِ الشَّبابِ

تُضيءُ في قسَماتِهِ

وتَلُوحُ في خُطُواتِهِ

وتَفِـــيضُ مِن عَزَماتِـــهِ

وَتَغـــيضُ في بَسَماتِـــهِ

أنتَ الذي .. بل أنتِ

لا .. بل أنتَ ..

ما جَدْوَى الكَـلامْ ؟

ماتَت عواطفُنـــــا

فليس يُعِيدُها لِحَياتها

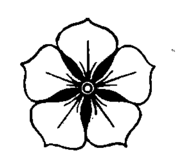
كلُّ الكَـــــلامْ

وتَرَمَّدَت نارُ الهَوى

بفِراقِنا .. وخَبا الغَرامْ

فعَلامَ نَنفُخُ في رمادْ ؟

وإلَامَ نحلُـم بالمَعَـادْ ؟





مأساة

لستُ أشكُو مِنكِ

بل أَشكُو إليكِ

فحياتِي كلُّها بين يدَيكِ

ضاع ماضِيَّ عذاباً واضطِرابا

وارتياباً واكِتئاباً وعِتابا

فارْحميني مِن شُجوني وظُنوني

وحَنيني وأَنيني وجُنوني

لا تقولي : كيف لا تَنسىٰ ؟

وقولي : كيف أنْسى ؟

فَجْرِيَ الضَّائعَ أحلاماً وأُنسا ؟

كيف لا أَنشُدُه في قلبِكِ الصَّافي وَفاءَ ؟

كيف لا أُنكِرُهُ مِن لفظِكِ العَذْبِ رِياءَ ؟

كيف لا يَضرِبُ فِكري في ضبابِ ؟

كيف لا تَغرَقُ أَحلامي وآمالِيَ في هذا العُبابِ ؟

لم يَزلْ صَوتُك في سَمعي وفي قَلبي يُغنّي

آشْكُ آلامَك لِي ، لا تَشْكُ مِنّي

فأنا اليومَ – وعينيكِ – كما كنتُ بأَمْسي

أَتلَهَّى بمصيري فيكِ عن هَولِ مَصيري
رغمَ يأسي
فَدَعيني لِشجوني وظُنوني
فَهْيَ من صُنع خيالاتي
ومن وَحي جُنوني
فدَعِيها .. وَدَعِيني
للتجَنّي .. والتَّمنّي
فلَقد يُرضيكِ – لو أرضاكِ – أَنّي
لستُ أشكو منكِ أو أَشكو إليكِ
من حياةٍ كلُّها بين يَدَيكِ
فإذا شاقَكِ أمــــري
فأسألي ليـلَكِ عنّـي
فَهْـو أَدْرَى بعـــذابي
منكِ يا سِرَّ عذابي
فأنا السَّارِي إلى غايَتِه
خَلْفَ السَّرابِ
أَقطَعُ الدَّربَ ، ولا أعرِفُ
أو أسألُ ، أَيَّان مآبي
ومعِي صَوتُكِ .. والذِّكرى
ومأساةُ شبابي واغترابي

١٣/١٠/١٩٦٤ م



اذرفي الدّمع

اِذرِفِي الدَّمعَ على ماضيكِ ، فالدَّمعُ عقابْ

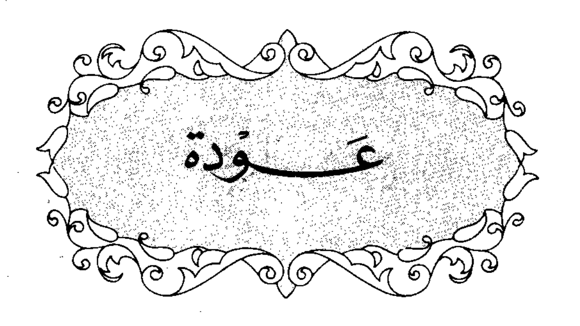
والأَسَى في ندَمِ النَّفسِ مِن الإثمِ مَثَابْ

رُبَّما كَفَّرَ عن ذَنْبِكِ ، حُزنٌ ، وَعَذابْ

غيرَ أَنَّ الذَّنبَ يبقَى ، صاخباً تحتَ السُّكونْ

وصِراعاً أَبدِيّاً ، في نُفوسِ النَّادِمينْ





عَـــوْدة

عُدتِ بعدَ النَّأْيِ الطَّويلِ .. نَعمْ عُدْ..........تِ ، وعاد الماضِي الكريهُ .. الرَّتيبُ
عُدتِ كالطَّارقِ الغريبِ .. تَلَقَّـــا..........هُ ، على غَيـــرِ ما يريـــدُ ، غَريبُ
عُدتِ مَهدورةَ الكِيانِ .. وقَد رَا..........نَ على وجهِكِ الأَسى والشُّحوبُ [1]
وبِخـــــدَّيكِ للمعـــــارِكِ آثـــــا..........رٌ وفي قلبِكِ الكَسيـــرِ .. نُدوبُ [2]
وبِعَينَــــيكِ قِصَّةُ الأَلَمِ الطَّـــــا..........فِح بالعـــارِ ، في لَظاهـــا يَلـــوبُ
وَيْكِ ! ماذا دَهـاكِ مِن واقـعِ الدُّنْــ..........ـيا ، أَمَا فيـهِ للـحِسانِ .. نَصيبُ ؟
عَجَباً ! كيـف لم يُرحِّبْ بكِ الحُـ..........ـبُّ ، ولم تَشْقَ في هَواكِ القلــوبُ
أفكـــانتْ آمـــالُ أمسِكِ أحــــلا..........ماً ، طوَى ضَوْءَها المُرَجَّى .. غُروبُ؟
شَدَّ ما أوهَنَ السُّرى منكِ ، والإخْـ..........ـفاقُ ، فيمـا التمستِـهِ .. واللُّغوبُ [3]
أيـنَ من أَطمَعَتْكِ في الخُلْدِ عَينـا..........هُ ، مَلِيّاً ، ووَجْـدُهُ المَشبـــوبُ [4]
أَتُـراه ارتَـــوَى ، فَضَلَّ ، أمِ ارتـــا..........عَ بما فيكِ ، والخيـــالُ كَذوبُ ؟
فتطَـــرَّحْتِ للرَّغـــائبِ .. من كَفٍّ..........لِكَـــفٍّ ، حتَّـــى بَراكِ الـــدُّؤوبُ [5]

---

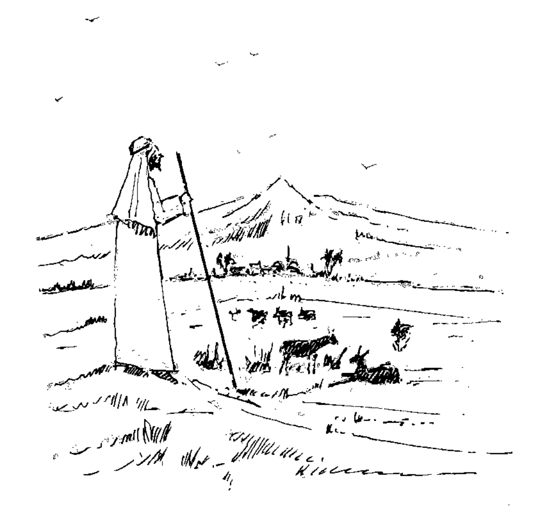
(١) ران الأسىٰ : غَلَب وغطّى .
(٢) النّدوب : جمع : الندب ، أثر الجرح .
(٣) اللغوب : التعب والإعياء .
(٤) مَلِيّاً : زماناً طويلاً . الوَجْد : الحبّ . المشبوب : المتوهج ، الموقَد ، الثائر .
(٥) تطرَّحَ : مشى مشي ذي الكلال والضعف ، انطرح . بَرَاكِ : أنحلك .

سلعةً ، لم تَجدْ سِوى العابرِ اللّا ....هي بأَشْباهِها ، وأين الحبيبُ ؟
طِوَّفَتْ ، لا تَقِرُّ .. والنَّاس ماضو ....نَ إلى ما يَطيبُ ، أَو لا يَطيبُ
وَهْيَ بين الرَّجاءِ واليأسِ ساعٍ مُضنَكٌ ، أثقلَتْ خُطاه الدُّروبُ[1]
فدَعاها الماضِي ، فحَنَّت إليهِ حينَ خابت ، وأثقلَتها الذُّنوبُ
ذكرَتْ يومَها الذي هرَبت مِنْ ....هُ ، ومِن خَلفِها كِيانٌ يَذوبُ
الصِّغارُ الباكونَ ، والمنزِلُ الها ....وي ، بما كانَ ، والغَدُ المرهوبُ
مَأْتمٌ للحياةِ ، لم يَجنِهِ المَوْ ....تُ ، ولكنْ جَنَته أمٌّ لَعوبُ
ثم ماذا ؟ أأنتِ صادقةُ الدَّمْ ....عِ ، وماضِيكِ بالدُّموعِ يَصوبُ[2]؟
ثم ماذا ؟ أَعُدتِ طاهرةَ الذَّيْ ....لِ ، وتلكَ الجراحُ عنكِ تُجيبُ ؟
إنَّما عُدتِ مُضغةً نالَ منها ما توخَّاهُ مُخلِفٌ ومُثيبُ[3]
إنَّما عُدتِ حَفنَةً من رمادٍ ماتَ فيها بعدَ الحياةِ اللَّهيبُ
إنَّما عُدتِ سيرةً ، أنتِ منها مَأزِقُ الضَّنكِ والخَيالُ المُريبُ[4]
عُدتِ بالشَّكِّ ، عالقاً بكِ ، لا يَأْ ....مَنُ عُقباهُ ، غافلٌ ، وأَريبُ
عُدتِ لي قصَّةً من الدَّمِ ، يَرويـ ....ـها لِعَينِي ، جُرحُكِ المَخضوبُ
ما أَرى ؟ هل أَرى خيالاً من الما ....ضي إلى حاضري الجريح يَؤوبُ ؟
ما الذي كان في ظَلامِ مَسَارِيـ ....ـكِ ، وقد غَابَ عن خُطاك الرَّقيبُ[5]؟
ما الذي كان في ليالِيك ، إذْ فا ....ضَت حنيناً .. والوِرْدُ منكِ قَريبُ ؟

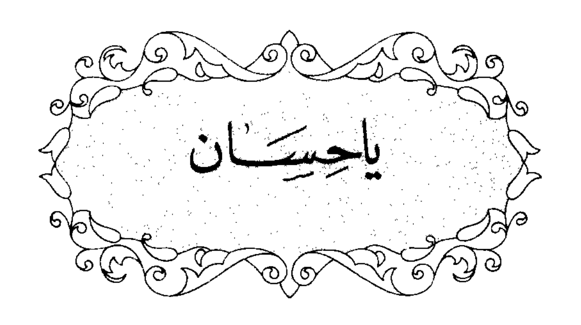
---

(١) مضنك : متعَب ، مجهَد .
(٢) يَصُوب : صاب المطر : انصب وجادَ .
(٣) المضغة : القطعة التي تمضغ من لحم وغيره . المُخلِف : ناكص بوعده العطاء ، وعكسه المثيب .
(٤) المأزق : المضيق الحرج .
(٥) المساري : ج سُرى وهو السير في الليل .

والحُمَيَّا .. وأنتِ .. والعُود ، والأَلْـ.........ـحانُ ، نَشوى .. والصَّادحُ المحبوبُ ؟
والضِّياءُ الحاني على المَخدَعِ الـلّا.........هِثِ ، رَفَّت بِهِ الرُّؤى والطُّيوبُ[1]؟
ليس سِرّاً ما تكتُمين ، فقد با.........حَ بِهِ أمسُكِ البغيضُ الكئيبُ
أَمسُكِ الخائنُ المشبَّعُ باللَّعْـ.........ـنَةِ ، عيناكِ رمزُه المثقوبُ
فَابْكِ ما شئتِ ، لن يُطَهِّرَكِ الدَّمـ.........ـعُ ، ولو أنَّه دَمٌ ، ولَهيبُ
كذبَتْ هذه الدُّموعُ ، فما أَنْـ.........ـتِ سِوى أنتِ .. والشَّبابُ رطيبُ
أنتِ من نهجِكِ المُلوَّثِ في قَيْـ.........ـدٍ ، ونَهْجُ الغاوينَ قَيْدٌ غَلوبُ
لا تقولي : ظلَمتَني . كلُّ ما فيـ.........ـكِ ، إذا خانَني حِجَايَ ، مُريبُ[2]



(١) دَفَّت الرؤى : دنت ، تجمعت ، تهيأت .
(٢) الحجى : العقل .



العُمْـــرُ ساعاتُـــه ثَوان ... وقصَّةُ الحيِّ منـــذُ كان
قصَّةُ سَارٍ بلا تَوان ... بين سَبيلَيـنِ من دُخـــان
فامرَحْنَ وارقُصْنَ يا حِسان ... وَاكْرَعْنَ من خَمرَةِ الدِّنان
وفِضْنَ بالحبِّ والحَنـــان ... وَارْفُلْنَ كالحُورِ في الجِنان

فإنَّها خُلسَةُ الأَمانِ من الزَّمان[1]

واصبُبْنَ مِن فَاغِـم العَبِير ... سُكْرَ حُمَيّاهُ في الصدور
واطفِرْنَ في خِفَّـةِ الطُّيـور ... واغرَقْنَ في نَشْوَةِ الزُّهـور[2]
واخطِرْنَ في رِقَّـــةِ الأَثير ... وابعَثْنَ في الوَاقـعِ المَريـر
رسالةَ الـحُسنِ والشُّعـور ... هدَتْ ضَميراً إلى ضَمير

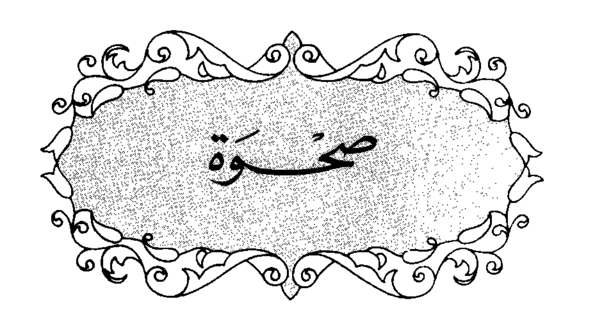
فلطَّفَت وَقدةَ الهَجْرِ للمُستَجير

مالتْ غُصونٌ على غُصون ... وأَثمَرَ الحبُّ في الرُّكـون
وَارْتَوَتِ الأرضُ بالمُزون ... فأَنبتَتْ رائـــعَ الفُتُـــون
سِحراً تسامَت به الظُّنُون ... لا حَدَّ ، لا قَيْدَ ، لا ظُنُون
لا هَمَّ ، لا إِثْـــــمَ ... لا شُجـــــــــــون
وكـلُّ ما كانَ أَو يَكـون ... إلى سُكـــــــــــون

---

(١) الخُلسة : الفرصة .

(٢) طفر : قفز .



أَمّــا أَنــا فقَــدِ انتهَــيتُ

وشربتُ من حُلـوِ الكـؤوسِ

ومُرِّها .. حتى ارتـوَيْتُ ..

وبلَـغتُ من غايــاتِ حُبِّكِ

ما كرِهتُ .. بما اشتَهيْتُ ..

وأَفـقتُ من حُلُمِـي الجميـلِ

على الحقيقـــةِ .

وَهْـي كابــوسٌ ثقيـــلْ ..

وتَسلَّــــــلَتْ من حاضري

أَوهـامُ ماضِيكِ الحَفيـلْ ..

وفـرَغتُ من وَصَبِ الخيـالِ

فلا اشتياقَ .. ولا غَليلْ ..

وطـرَحتُ أعبــاءَ الشُّعــورِ

بكــــلِّ ما قدْ كان منكِ ،

ومـــا يكـــونْ

وخَلَصْتُ من تلك السَّفاسِفِ والقشورِ
وَمنْ فُجـاءاتِ الجُنـونْ
ونَعِمتُ بعدَكِ بالسكونِ ،
فلا صِراعَ ولا دُموعَ ولا ظُنون .
لا تَطـرُقي بابي فقـد أوصَدْتُـهُ
وأمِنتُ ثائـرةَ الريـاح ،
ووهَبتُ عمْري للطبيعـةِ
بين لَيْلـي والصَّبـاح ..
وهـربتُ من أَسْرِ الحيـاةِ
ورُحتُ منطلِقَ الجَناح ..
ما أنتِ ؟ ما أنا ؟
شَهوتـانِ تلاقتـا
في موقـفٍ دَعَتـاه حبّـا
فأصابتـا
مما أتـاح هَواهُمـا
دفعـاً وجَذْبـا
حتّـى إذا انطفـأ الأُوارُ
تداعَتـا مَلَـلاً وسَلْبـا
هيَ قصَّةُ الإنسانِ

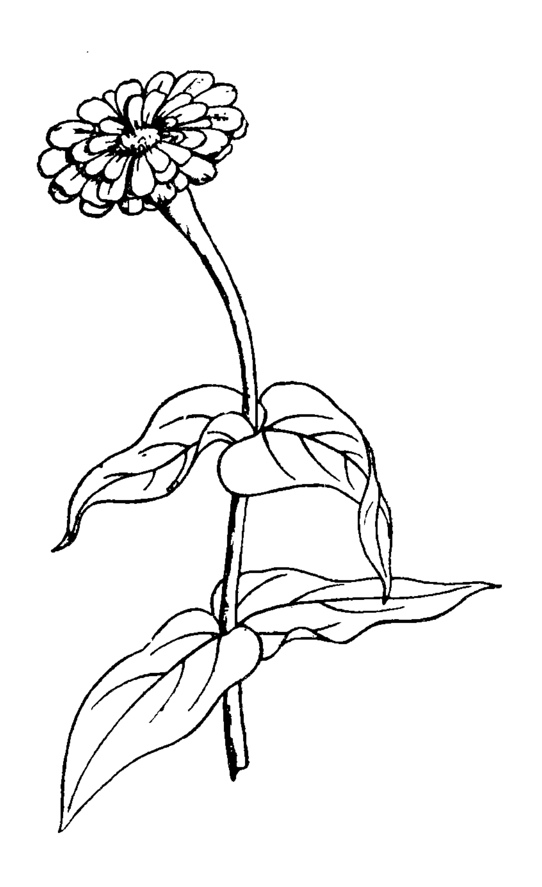
أَسدَلَ أو نَضَا عنها السِّتارْ

كانت .. وكانَ الليَّــــلُ

واللَّــــهبُ المُثــــارْ ..

تَهـــويمةَ المَخمـــورِ ،

طاحَ بما أقامَتهُ الخُمارْ ...





رحلة بلا رفيق

سُعـــــــادُ .. يا أُنشودةَ الرَّبيـــــــع
يا أحلامَـــــهُ الـــنَّشوَى بِصَبـــوةِ الجَمـــال
ويا ضِياءَ الفجر ..
يا دعـــاءَهُ الحَنـــونَ ، يَفـــيضُ بالفُتـــون
مِن دِنانِـه المُضَمَّخاتِ بالطُّيوبِ ، رَشَّتِ الدُّروب
في تَهويمَـــةِ الزُّهـــورِ ، يَحلُـم حَولَهـا الطّيـــور

* * *

سعـــادُ يا إشراقـــةَ الأَمَل .. وبَسمـــةَ الشَّبـــاب
يا أسطـــورةَ الهَـــوى في كَهفِهـــا المَسحـــور
تُطلِـــقُ العَبيـــرَ ، حولَهـــا ، مَجامـــرُ البُخُـــور
تَقُصُّ عن (عِشْتَارَ) قِصَصَ الجَمـــالِ والشُّعـــور[1]
مجنَّحـــاتٍ ، تَنهبُ الــفضاءَ ، في أشعَّـــةِ القَمـــر

* * *

(١) عِشْتار : زعم الآشوريون والبابليون – وهم من المشركين – أنها آلهة الحب والخصب ، وعبدوها ، وكانت محلّ إجلال ملوكهم . وتقابلها « عَشْتَروت » عند الفينيقيين ، و « أفروديت » عند الإغريق ، و « فينوس » عند الرومان .

سعادُ ، يا شَبَّابةَ السُّكون

هل كنتِ تَحلُمِين في إغفاءَةٍ مُتْعَبَة

قَصَّرتُها بمطلبي الذَّاهلِ .. لا يَغفِرُهُ الحَنين

أتى بِيَ الشَّوقُ لكي أراك

كي أَرشُفَ الألفاظَ ، حلوةً ، من فمِكِ الجَميل

وكي أَرى السُّباتَ في عينيكِ

زورقاً يسبَحُ بين ضفَّتَين

مُخْمَليَّتينِ ، تَنضَحان بالشَّذا ..

تُباركانِ ، في حَنانٍ ، رِحلةً ، تزفُّها سَكينةُ الحَنان

* * *

سعادُ ، عيناكِ بُحيرتانِ .. فاضتا

بكلِّ ما في فِتنةِ الرَّبيعِ ، من مَفاتِنِ الحياة

وكلِّ ما في رَوْعة الشَّبابِ .. من ذخائرِ الشَّباب

وكلِّ ما لا يَعرفُ الشَّبابُ من دوافع الحياة .. في خوالِج الشَّباب

* * *

سعادُ .. هل تقرأُ عيناكِ الذي تخُطُّهُ عيناي ؟

وهل سَمعتِ .. شَهَقاتِ مُهجتي الحَرَّى ؟

تطوفُ كالفَراشِ ، حولَ وجهِكِ الوَضَّاءِ ، دافِىءَ السِّمات ؟

وهَل تَرينَ دَمعةً في كلِّ كِلْمَةٍ لا هَثَةٍ ، يُرسلُها فَمي ؟

وهَل شَعَرتِ في انقباضِ صَوتيَ الحزينِ عندما أودعُّك ؟
وهَل تتبَّعتِ خُطـايَ ، سَمَّـر الأسَى انطلاقَهـا ؟

* * *

هذا أَنا أَضربُ في الفَراغ موغِلاً في رِحلة الضيَّاع
رِحلتي ، وقصَّتي التي أخاف أن يكون بَدْؤُها خِتامَها
قصَّةُ عُمْرٍ جاوزَ الشَّبابَ .. بل أضاعَهُ
في تيـهِ مَسْراهُ .. إلى مصيـرِهِ ..
حتَّى رأى في راحتَيك الحلوتَينِ .. سرَّ ذلك المَصير
فارتمَى بينهما ..
وراحَ في سُباتِهِ العَميقِ ، كالغَريق
لا يسأَلُ الطَّريقَ .. عن نهايةِ الطَّريق

* * *

سعادُ ، ما أَحلى اسمَك الطَّروبَ .. صانعَ المَعاد
سعادُ ، يا تَهويمَةَ القَرارِ .. بعد رِحلـةِ السُّهـاد
تَأَلَّقي ، وأَرسلي ، من ناظرَيك الواعدَينِ ، نفحةَ الصَّباح
وَقطِّري من راحتيكِ بَلسَم الجراح

* * *

سعـادُ ، إن أذنـبتُ ، فاغفِـري
وإن أسأتُ ، فاستُـري ..

فإنَّ عينـــيكِ وراءَ قِصَّتـــــي

ميـــلادُ قِصَّتـــي

تلك التـي .. أَخـافُ أن يكـونَ بَدؤهـا .. خِتامَهـا

* * *

سعادُ .. هل أَقـوَى على استئنـافِ رِحلـة الضَّيـاع ؟

ورِحلـة الإيغـال .. والتَّطويـفِ في متاهَـةِ الفَـراغ ؟

ورحلةِ الشَّوقِ إلى المصيرِ ، قادَهُ وقـادَني القَـدَر .. ؟

وأنتِ ذلك المصير ؟

نَعَـــمْ .. فأنتِ ذلكَ المصير ...

في قِصَّةِ الفراغِ .. والصِّراعِ .. والضَّياع

والأسَى المَريرِ .. وَوَقدةِ الهَجيرِ ، في دُوَّامة السُّرى

* * *

يا قِصَّتــي .. يا فَصلَهـــا المثير

هذا أنـــــا وفي يَدِي الشِّراع

أَنشدُ الرَّفيـــق .

فهـل تَخـوضِين معـي .. بِجانبـي ؟

وفي يديكِ دَفَّـــــــة الشِّراعِ ؟

غياهباً - تُضيئُها عيناكِ .. يَنبوعَينِ ؟

هدَّارَيــنِ بالسَّنـــا . وبالأمـــل

بِكـلِّ ما هامت بهِ رُوحيَ في طريقهـا الطَّويـل ؟

سعادُ .. هذا موعـد اللِّقـاءِ قد دنـا

وارتـــــعشت خوالجي ..
وقبـلَ أن أراكِ في أرجوحـةِ القَمَـــر
تسمَّرَ الخيالُ .. قَلقاً .. من رَهبَةِ الوَداع

* * *

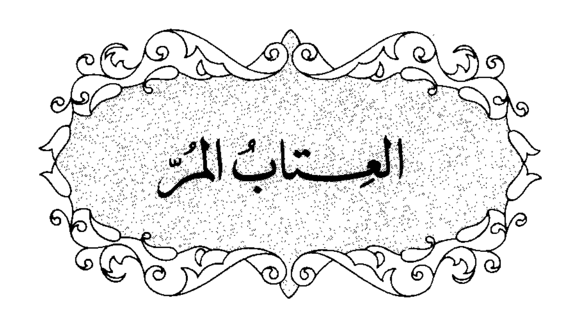
سعادُ .. لو كانَ لقاءٌ ، ليس بَعدَه وَداع
ولـــــيس بعـــــدَه فِراق
لو كان ؟
أَقلتُهـــــــا ؟
كلّا . فلـن أهمِسَهـــا في أُذُنـــيكِ
ساعةَ اللِّقاء .. لأنني أخاف لحظةَ الوَداعَ .. أن تكون لحظةَ الفِراق

* * *

سعـــــــادُ .. مازالت يَدي مَشدودةً على الشِّراع
ونظرَتي تائهةً عَبْرَ الفضاءِ .. ترقبُ الفراغَ، والصِّراعَ، والضَّياع
ووجهُكِ الصَّغيرُ .. نجمةً .. تَبِيـنُ تارةً وتَخْتَفـي ..

* * *

ما أَبْعَـدَ الرِّحلـةَ .. يا حبيبتـــي ..
ومـــا أَمَرَّهـــا
رحلـــةَ مَنْ لا يَجـــدُ الرَّفيـــق
عندما يَظُنُّ أنَّه .. قد وجَـد الرَّفيـق



العِتابُ المُرّ

اِختلفنــا واتَّفقنــا

والتقينــا وافترقنــا

وغضِبنــا وعَتَبنــا

وتَفاهَمنَــا وتُبنَــا

ثُمَّ ماذا ؟

ثُمَّ عُدنــا

واختَلفنــا

وفَتَحنا ألــفَ بابٍ للكــلام

وأنــا أسألُ

في الماضي ، وفي الحاضر

ما جَدْوى الكلام

أنتِ أخطأتِ

أنا أخطــأتُ

والنَّظرةُ في أخطائِنا

لا تتغيَّــر

لِمَ لا نسألُ قلبَيْنا

أحاسيسَهما .. عَسَى أن يَتذكَّر
أيُّ شَيْءٍ فيهما ..
فيها .. يَتغيَّـــــر ؟
اِسألي نفسَكِ
أيـنَ الصِّدقُ في هذا الهُـراء ؟
اِسألي نفسَكِ
هل أنتِ كما كنتِ
التزامـــاً للوفـــاء ؟
اِسألي مجلسَنَـــــــا الصَّامتَ
في كلِّ مساء
إنَّـــــه يَسأل مثلي
أيـــنَ أنتِ ؟
أيـنَ كنتِ ؟
والتي كانت تُجيبُ
ليس أنتِ
إنها أخـــرى سِوَى
أنتِ التي أُحبَبْتُهـا .. صَدَّقتُهـا
إنَّهـا أخــرى
تَرودُ الــحُبَّ
في ألف طريق

إنَّهـا عابِثَةٌ لا تَعـرِفُ الـحُبَّ

ولكــنْ تَدَّعِيـــهِ

وأخيراً .. إنها أنتِ

وفي ثوبٍ جديـــد

لم يَعُـدْ يَستُــــرُ ما

تُخفِيـــــنَ فيـــه

إنَّـــه أَصدَقُ منكِ

في الذي يَروِيهِ عنكِ

فدَعِيـهِ يَتكلَّـمْ

ودعيني أتعلَّـمْ

كيف يَغدُو حُسنُ ظنِّي

سوءَ ظنٍّ

بكـلامِ العابثـاتِ .. الفاتنـاتِ

بالهَوى .. بالسُّهـدِ .. بالدَّمـعِ

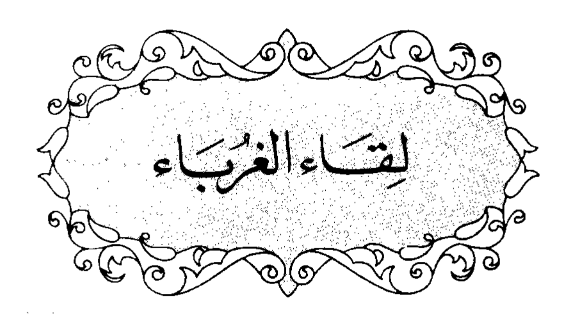
بكـــلِّ التُّرَّهَـــاتِ

التـي طاحت بِعـقِلي

مثلَما طاحَت بقلبي

التي تَهْتِف للحبِّ .. رياءً وخِداعا

★ ★ ★



لِقَاء الغُرَباء

اِلتَقَينا .. وافترَقنا

باختصارِ

إنَّها القِصَّةُ : بَدْءاً ونِهايةْ

ولْنَدَعْ تلكَ التَّهاويلَ المُثيرةْ

والتَّفاصيلَ

التي كَبَّرَها الوَهمُ

ووشَّتْها خيالاتُ الشَّراب

فارتَمَت أحلامُنا فيها

على ألفِ جَزيرةْ

وأَفَقنا ..

فإذا نحنُ على وَحلِ الغَريزةْ

بطلا أسطورةْ

تافهةِ المغزى

حقيرةْ

ليس فيها

ما يزكّي لَفْتَةً منكِ ومنّي

فكلانا هاربٌ من عُمْرِهِ الضَّائع فيها
لا تُعيـــــديها على سَمعـــــي
فلـن تبلـغَ قلبـي
بعـــد ما ماتَ صَداهـــا فيـــــه
وانجابَ أُساهـــا
واكتُـــــــميها
فلقـد كانت على أبسطِ تفسيـــرِ
خَطِيئـــــــــةْ
تقفُ المُومِسُ – في مِيزانِها ، منكِ
بريئـــــــــةْ
لا تقـولي : كان
ماذا كان ؟
هل كان لنـــا فيها ؟
سوى دَورِ الرِّيـــــاء
والخديعـــــةْ ؟
إنَّـــــه لم يَكُ دَورَ البطلَيــــــنِ
إنَّــه دَورُ الطَّبيعـــــةْ
لَقَّنَتْنــــــاهُ .. فَأَدَّيْنـــــــاهُ
ملهـــــــاةً قصيرةْ
اِنتهت تحتَ سِتـــــارِ الصَّمت

مأساةٌ مَريـــــرةْ

وانتهينا مُذ خَبَت

في مَوقـد الرَّغبـةِ .. في أتُّونِهـــا

آخـــرُ جَمــــرة

فتثاءبنــــا حَيـــــاءَ

وتبادلنــــا الرِّيـــــاءَ

وظنَّنـــــاهُ وَفــــاءَ

فإذا مَظهرُنـا الكـاذبُ

يُضنينـــــا عنـــــاءَ

وإذا القِصَّةُ في مقطَعِها

صورةُ الواقع في مطلَعِها

دَعوةٌ ، لاقتْ صداها

وتَساوى طَرَفَاهــــا

فَتـلاشى بَدْؤهـــا ، في مُنتهاهـــا

لا تُراعِـــــــي

إنَّهـا دُوَّامـة الحِيـــرَة

في لُغـــــزِ الصِّراعِ

بين ما يَستهِـــــــدفُ الإنسانَ

مضطراً كمختار – وقانونِ الدَّواعي

إنَّهـــا الــقِصَّةُ – يا سَيِّـــــدتي

إنَّهـــا قصَّة كلِّ النَّـــــاس

في ماضٍ وآت

يتجلَّى لُغزُها التَّافــهُ

عن معنـــى الحيـــاة

ليس فيها أيُّ مَغـــزى

غيرَ ما كان - كما كان

وهـــذا سِرُّهـــا

موجَـــــةٌ حرَّكهــــا المَــــدُّ

إلى وِجهَتِهـــــا

ثُمَّ طواهـــــا .. جَزْرُهـــــا

لا تقـــــولي .. لِمَ ثارتْ ؟

كيـف غارَت ؟

فرِمال الشَّطِّ لا تُعطي جوابــا

غيـــرَ هذا الصَّمت .. يُولِـــيكِ

به السِّحـرُ .. عذابــا

فاحـذَري أن تقفـــي

فالـــدَّربُ قُدَّامَكِ مازال طويـــلا

تترامـــى .. قِصصُ الـــحُبِّ به

خُلْـداً .. جميـلا

واذهَبِـــي حيث يشاءُ العُمــــرُ

جِدّاً .. وفضولا

وانفُخـــي في جسمِك الظامــئ

يرتَـدَّ .. شبابـــا

واستعيـدي السِّحـرَ .. إنْ أَعـوَزَ

عطـراً .. وثيابـا

واهـــربي من قَلَـــقِ الصُّبــــحِ

بحِضنِ المَغـرِبِ

واضرِبي في ظُلمــــةِ الـــرِّجسِ

بذيـل العقـــربِ

واشربي منْ دَمِ قتـــــــــلاكِ

طويـلاً واطـــربي

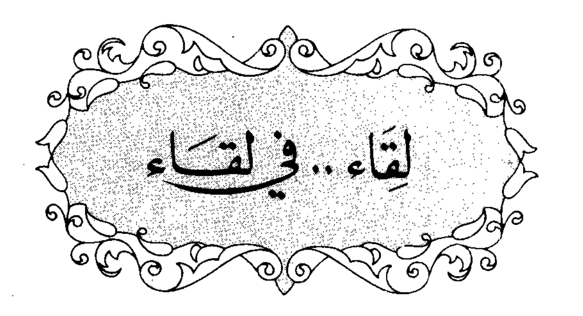
واكتبـــــي في كلِّ يومٍ .. قصَّةً

وَلِدي في كلِّ عامٍ قصَّةً .. ودَعِيها لأبيها

فَهْي منـه ، صدقَتْ ، أو كذبَت

وهـــي إليـــه .

★ ★ ★



أنتِ ؟

ورانَ الشَّكُّ على نَفسي

ومَضيتُ أراجِـعُ أيامـي

وأُهِيبُ بحَـدْسي

فرأيتُكِ فيها ذِكـرى

تَمـلأُ أمسي

وتُـوَشِّي أحلامـي

وتـواكِبُ أوهامـي

وتـواسِي آلامـي

وتُفَجِّـعُ إلهامـي

وترقُّـقُ حسّي

وتنيـرُ الآفاقَ أمامـي

وهَمَستُ ..

وكنتُ أرى في وَمضةِ عينيكِ

صَدَى الإحساسِ بِهَـمسي

أنتِ ؟

ولكنْ كيفَ ؟ وأينَ ؟

وتداعَت صُوَرُ الماضي

واختلــجَت

فرأيــتُكِ فيها رَأْيَ العيـــنِ

وسمعتُ كلامَكِ فيها وكَلَامي

ورفيفــــاً

يَصدُرُ عن كأسَيـــنِ

عن كأسِكِ تَقْـــرَعُ كأسِي

وحفيــفَ خُطـــاكِ

خُطـــاكِ ، كما أَسمعهـــا الآن

تُبَدِّد صَمتَ الظُّلْمَـــة

في أفـــقِ حيـــاتي المبهَـــم

وتُرفرفُ في أجــواءِ خيالِــي

نغمـــاً يتـــبسَّم

تتـــردَّدُ فيـــه ،

حِجـــــازاً ..

وصَبـــــاً ..[1]

(١) الحجاز والصَّبا : لونان من الأنغام الشرقية .

أصواتٌ عُلْويَّـــــــــة

تنضَحُ بالطِّـــــــــيبِ

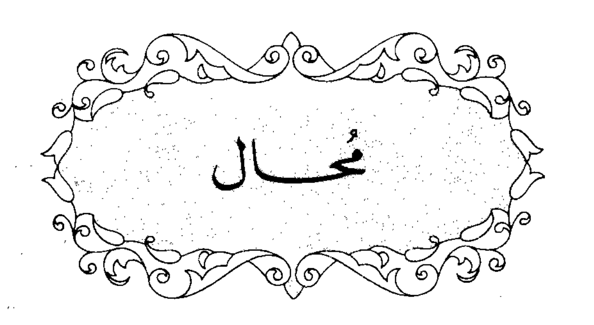
كسفــحِ حِراءٍ وقُبَـــا[1]

أصواتٌ مازالَ صدَاهـا يَسرِي

ويَرُشُّ رمـالَ الـوادِي بالعِطـرِ



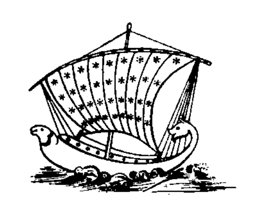
(١) حِراء : جبل في مكة المكرمة حيث كان رسول الله ﷺ يتحنث قبل البعثة النبوية في غارٍ منه .
قُبا : موضع في المدينة المنورة ، حيث بني فيه أول مسجد في تاريخ الإسلام .



مُحال

تَعِبتُ ، يا حَبيبتي ، تَعِبتُ
ولم أَعُدْ أُطيقُ أَن أرى جديدا
وناءَ بيْ التَّحديقُ في الفضَاء
وضِقْتُ بالنُّجوم
بكلِّ شيءٍ .. بحياتي ذاتِها
بكلِّ ما يُسمَع أو يُقال
حتَّى بقولِكِ الجميل
تحاولينَ أن يُزيحَ
ظُلمةَ الأسى .. وغمرةَ النِّسيان
حبيبتي
عاش المُحالُ مرَّةً .. ومات
ولن يَعود ميِّتٌ إلى الحياة
حاولتُ قبل أن تحاولي
وعدتُ صامتاً
وليسَ من جديد
لن تصنعي المُحال

لن تصنعي النَّارَ من الرَّمـــاد
قد تَمْسحيـنَ أدمعـــي
وتُطلِقيـنَ بسمتـي من سِجنِهـا
من قيدِهـــا العتيـــد
وقـد تُجيبيـــنَ على كلِّ سؤال
وتملأيـــن الأفـــقَ السَّعيـــــد
بكـلِّ ما في الكـونِ من أعيـاد
لكنَّنـا .. أنـا . وأنتِ
لن نُعيـــــدَ ما مضى
لن نصنـــعَ المُحـــال
لأنَّه اختفى .. وماتَ .. واندثر
لأنَّـــــه خيـــــال





فَرَاش .. وجَليد

هاجِـــرَتي ! لو كنتِ تَسمـــعين

ما أقـــــــول .. أو تَعِين

لَمَــــا تراكم الجَليـــدُ بينَنَــــا

ولم تَمُتْ أيامُنـــا على الجليـــد

* * *

هاجِـــرَتي ! أُرجوحـــةُ الأَقدارِ

لم تَزلْ تدور ..

تحتَ ظلالِ الصَّمتِ والسُّكـــون

والبُعـــدُ بينَنـــا يمتَـــدُّ في فراغ

تُقَبِّـــلُ الهواءَ حولَـــه ..

وتَطـــلُب المزيـــد

وتُطفـــئُ المصبـــاح

كي يُنـــوِّر الدُّجـــى جَناحَهـــا

وكـــي يُضمِّـــدَ الدُّجـــى جِراحَهـــا

* * *

الكـــأسُ ، يا فَراشَتـــي !

لَمَّـــا تَزَلْ ملأى بِرَيِّـــقِ الشَّراب

والرَّغَبـــــاتُ لم تَزَلْ عُبَـــاب

فكيـــفَ طِرْتِ .. واندَفَـــعْتِ

خارجَ الزَّمـــــان ؟

نَسيتِ .. أمْ أُنسيتِ وقدَةَ اللَّهَب ؟

ووَشْوشاتِ الكـــــأس

حَفَّ كأسَهـــا الحَـــبَبُ ؟

مَلِــــلْتِ ؟ أم نَدِمْتِ ؟

أم لَوى بِكِ الـــغَضب ؟

لا تَجِديـــنَ ما يُقـــال ؟

أَفهَمُ ما يُمكـن أن يُقـال !

لِكـــلِّ رِحلـــةٍ سَبَب

وكـــلُّ راحـــلٍ له أَرَب

لا ، لن أقـــولَ خُنْتِ

أو ضَلَلْتِ .. إنَّهـا الرِّغـاب

وإنَّهـــا دوافـــعُ الشَّبـــاب

فَرَفْرِفي حيثُ يقودُك الفَضاء

لغايـــةٍ .. لِغيـــرِ غايـــةْ

كلاهما سواء ..

لا تَسألي عن المصير

ما دام في الدُّجى سَرير

يُنيرُه مصباح

كلُّ الفَراشِ هكذا

كلُّ الفَراشِ كائنٌ لِيحَترِق

بل كلُّ شيءٍ في الوُجودِ يَحترق

حتَّى الفَراشاتُ التي لا تَعرِف اللَّهيب

حتّى التي لا تعرف الحُبَّ ولا الحَبيب

فَراشتي ! لِحكمةٍ قد حَفَلَ

الوُجود بالفَراش ..

وكلُّ حُجرةٍ بها سرير

يَقبَعُ في جواره مِصباح

وليس في القِصَّةِ ما يَهُول

وكلّ ماضٍ يَهون .. يَختفي

في ظلمة الدُّجَى ..

فَراشتي ! لو ساقكِ الهواءُ ليلةً

إلى فراغ حُجرتي

لن تجدي السَّرير خالياً

فثَمَّ دائماً .. أكثرُ من فَراشَةْ

تَطوف حولَه لِتَحترق ..

وكلُّ شيءٍ في الوُجود يَحترق ..
أنا .. وأنتِ .. والكِيان كلُّه ..
حتَّى اللَّهيبُ والجليد ..
ويختَفي القَديم ، ويَظهر الجَديد
ويَلِدُ الفَراشُ ، دائماً فَراش ..
فَراشتي ! أنا حزين
لأنَّ غاية الحياة .. غَيْرُ غايتي .. وَغَيْرُ غايَتِك
لأنَّ كل شيءٍ يَنتهي .. ويَختفي
ولا يَدوم
لأنَّه لو دام ، لانتهَى بقاؤُهُ
وصارت الأَحياءُ كلُّها جَماد
نَعَم .. بِرَغم ما فهمتُ
لم أزلْ حَزين ..
لأنَّ كلَّ شيءٍ في الوُجود يَحترق
مخلّفاً وراءه رماد
تنثُره الرِّياح
فَراشَتي !. لن يَبْلغَ الكلامُ
غايةَ الكلام
فلْيكنِ الصَّمت إذاً
لِهذه المأساةِ .. شارةَ الخِتام



حبيبتي حنان

حَبيبتي ! حَنانْ !

هل بَلَغ الصَّمت بنا

مَرحلَة النِّسيانْ ؟

أم مات بيننا الزَّمانْ ؟

لا وعدَ .. لا وعيدْ

لا زَوْرَةٌ يدنو بها البعيدْ

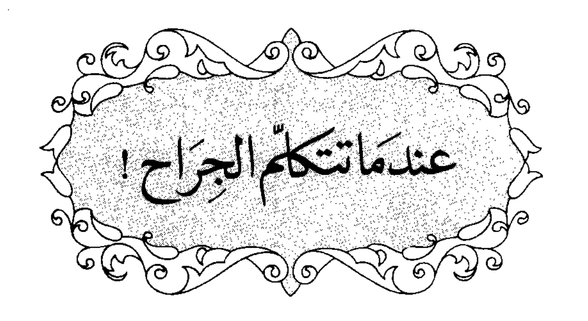
لا نظرةٌ من عينِكِ الغَضبى

تُحطِّمُ الجليدْ

أنا هنا مُؤَرَّقُ الجُفونْ

يعصِف بي الحَنينُ والظُّنونْ





عندما تتكلّم الجِرَاح!

هل قلتِ : أنتَ ؟

ومَن أنـا ؟

أنـا صرخـةٌ غيَّـرَتْ حيـاتَكِ

صرخـــةٌ لم تَسمـــعيها

أنا شهقـةٌ ، مرَّتْ بسمـعِكِ

خاطبَـتْكِ ، فلـم تَعِيها

أنـا دَمعـــةٌ سَقَـــطَت

تُناشِدُكِ الوَفـا ، لم تَمْسَحيها

أنا عَثرةُ القلبِ الجَريح

تَضَرَّعَتْ أن تُنهضِيها

وأنـا ضحيَّـةُ قلـبكِ القـاسي

أَبَــى أن تَرحَـــميها

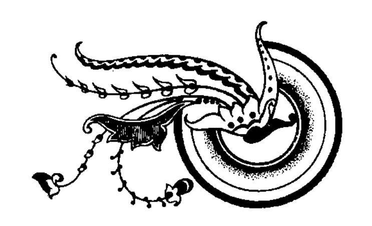
أأنـــا الـــذي أقسَمْتُ

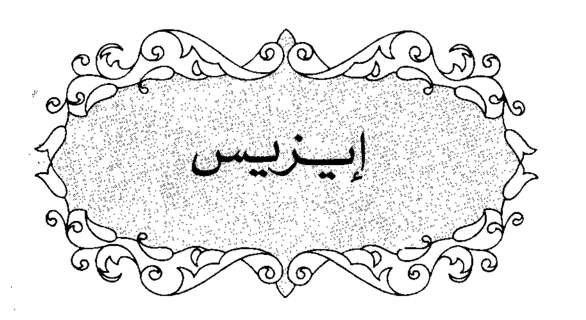
بالعهدِ الحبيبِ وخُنْتُهُ ؟

وأنـا الـــذي صَدَّعتُ

ما شادَ الهَـوى وهَدَمْتُـه ؟

وَمَلِلْتُهُ .. وكرِهتُه وهَجَرتُه ؟
ومضَيتُ ، والأحلامُ تَحْدوني
إلى أُفـــق الخيـــالِ
هيمـانَ ، أَحلُـــمُ بالنِّهايـــةِ
في متاهـــــاتِ الضَّلالِ ؟
وانــقَضَّ صَرحُ الكِبريـــاءِ
وتَــقَشَّعَت سُحُب الرِّيـــاءِ
هل قلتِ : أنتَ ؟
أنا ؟ بِحَقِّكِ من أنا ؟
أأنـا الـذي واسيْتِــهِ ؟
وحَمَيْتِـهِ .. ووَقَيْتِـهِ ؟
ووَفَيْتِهِ .. وذكَرْتِ إذْ جافَيْتِهِ ؟





إيزيسُ !

يا أُسطورةَ الخَيال !

يا ساحرتي الجميلةْ !

يا بسمةَ الرَّبيع !

يا عبيره السيّال !

يا نَشوةَ الزُّهور

في الخميلةْ

يا حُلْميَ الكبير !

يا أُمنيّة الشَّباب !

يا أَملَ الطفولةْ !

يا قصَّتي التي

ما زلتُ منذُ عِشتُها !

أبحثُ في آلامها

أبحثُ عن خِتامها سُدى

وأَسأَل الماضي

فيهتفُ الصَّدَى

غداً .. غدا

وكـــــنتِ أنتِ

وذلك الغـــدُ المجهـــــول

وذلك الغـــدُ المَمْطـــول

وذلك الغـــدُ المَوْعـــود

غَدَا الضَنيـــنَ بالوجـــود

وطـالَ بي الحنين

أُسارعُ المَـــدى

وأَرقبُ الهُـــدَى

مُضَيَّـــعَ السِّنِين

وفجأةً ..

تَحـرَّك السِّتـــار

وانبثَـــقَت من

داخـل الإطـــارْ

نَجمـةٌ .. تُلَـفُّ

في أَزْرَارْ

وطـــاف قلبـــي

حَول وجـــهِك الحبـــيبْ

فَراشةً يَسْحَرُهـا

اللَّهـــــــيبْ

فهـــــل عَرَفتِ

سِرَّه العَجيبْ ؟

وهـــــل عَرفتِ ما تقـــــول

نَظرتي لِنَظرتِكْ ؟

وما تقول لَهفَتي ؟

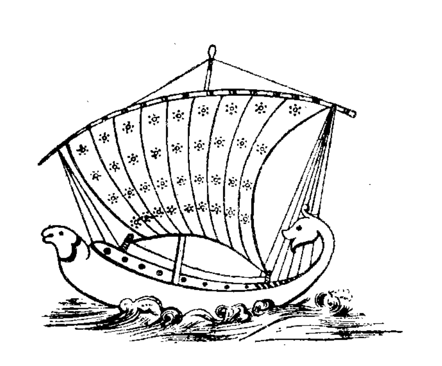
للفظـــــــةِ من

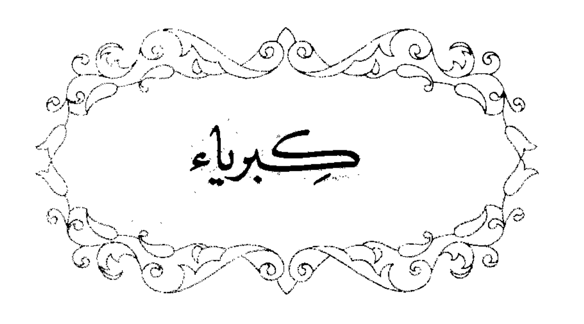
شَفَـــــــتِكْ ؟

إيـزيسُ !

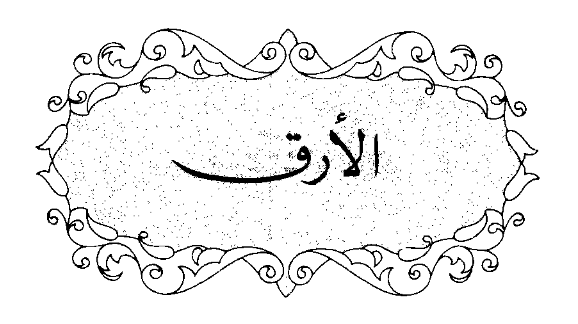
أنتِ قصّتي ، بدايةً ، تَغْرَقُ في الشَّقاء

وأنتِ قصَّتي ، نهايةً ، تَحْلُمُ باللِّقاء





مَتَى كنَّا هنا ؟ قولي متَى كنَّا ؟ وهل كنّا ؟
أَتَفنَى ذكِرياتُ الحُبِّ فينا ، قبل أن نَفنى ؟
لقد هُنَّا ، وهانَ الحُبُّ ، منذُ سَرَت بنا الأيَّام
بعيداً في مَسارِى الصَّمت ، لا ذكرى ولا أحلام
ومَدَّ ظلالَه النِّسيانُ ، فوق مَعابر الصَّمتِ
فلا أنا قد خَطوتُ إليكِ معتذراً ، ولا أنتِ
لماذا ؟ أنتِ لا تَدرين ، ومثلَك كنتُ لا أدري
تَعَالَيْنا ، فضاعَ العُذرُ بين السُّخط والكِبْرِ
وماذا كان غيرَ تَوافِهِ الأخطاءِ والأَسباب ؟
فماتت بيننا الأيّامُ ، لا عَتبَ ، ولا إعتاب
كلانا صابَر المأساةَ .. سامَرَ حزنَه فيها
تُمَزِّق صدرَه الآلامُ ، تَطويه ويَطويها
نَسيتُ أنا .. فهل تَنسَينَ ما فَعَلت بنا الأوهام ؟
فعاطِينى كؤوسَ رِضاك ، زَفَّ عبيرَها الأنغام
وحسبي فيكِ ما لاقَيتُ من حُزنٍ ومن حِرمان
ظلمتُكِ ، فانتصفتِ ، وها أنا أتلمَّسُ الغُفران



الأرق

دونَ الذي أَتمنّى اليأسُ والقَلَقُ ... يا ليلُ ، حَسْبُكَ ، ماذا يَتركُ الأَرقُ ؟

لم يُبقِ فِيَّ الجَوى صَبراً لنازلةٍ ... إلّا أَثارةَ نفسٍ ، طَيَّها رَمَقُ

يا ليلُ ، أثخنَ فِيَّ الغَدرُ ، واحتربَت ... حَولي عواصفُهُ الهَوجاءُ تَصطفِقُ[1]

وخانَني غادِرُ اللّحظَينِ ، يَدفعُهُ ... عنّي ضلالُ الهوى والذلُّ والخُرُقُ

بَثَّ الشِّراكَ بقلبي يومَ فِتنَتِهِ ... بِفريةٍ من كِذابِ الحُسنِ تُختلَقُ

أَغَرُّ ، تنهضُ عيناهُ بحُجَّتِهِ ... وقد تردَّدَ فيها الزُّورُ والمَلَقُ[2]

عينانِ ، لا كعيونِ النّاس ، طَيَّهما ... خَتْلُ الضَّعيفِ ، ووَرْيُ الشَّرِّ ، والفَرَقُ[3]

ومِمَّ يَفرَقُ جبَّارٌ يطالعُهُ ... دَمُ الفريسةِ ، وَهْو الضَّاحكُ الطَّلِقُ[4]

خافَ الهزيمةَ فيما راحَ يأمُلُهُ ... مِنّي ، وكنتُ عنيدَ القلبِ ، لا أَثِقُ

* * *

---

(١) أثخن : بالغ فيه ، غلب عليه . احترب القوم : حارب بعضهم بعضاً . اصطفق : اضطرب وتحرك .

(٢) الزور : الباطل . الملق : التودد الزائد .

(٣) الختل : الخداع والمراوغة . الوَرْي : إيقاد النار . الفَرَق : الخوف الشديد .

(٤) الطّلِق : المتهلل الوجه .



أنـا لا أغـار

من أينَ جئتِ ؟ وأينَ كُنتِ ؟

ومـا فعـــلتِ ؟

وأينَ صادِقةُ الجواب ؟

أتقـول كنت هنـاك ؟

أتقـول خنتُ هواك ؟

لا .. لن تقولَ سوى الدّمـوع

وتُلِحُّ أسبابُ الرِّياءِ .. أو الذَّكاءِ .. أو الرَّجاء

على البقـاءِ وراءَ أستـار الخفـاء

ونرى،ونسمعُ، كيف يَنتصرُ الهُرَاء

أنـــا لا أحــــار

ولا أغـــــــار

أنـــا لستُ أسألُ أيـــن كنتِ

وما فعلتِ ؟ خلالَ أيام الغياب ؟

لأنّني ، وهواكِ ، أدري

أدري ، وأعرفُ عن يقينْ

ما تفعلين ، وأنتِ غائبة ؟

ومـا لا تفعليــنْ

وبمن وأنتِ معـي

وبيـنَ يَدَيَّ ، وَجْـداً ، تحلُميـنْ

وبمَـن .. ومَـن .. تتلاعبيــنْ

وتعرِفين .. وتكشُفين – ما لا أظنّك تجهلينْ

أفلا يروقُك أننـي لا أُستثـار ؟

ولا أغار ولا أحار

وأهيــمُ فيكِ .. ولا يؤرّقُنـــي الــفُضولْ

إذا لقيتكِ بعد حين ..

وَلِــمَ الــفُضُول ؟

أنـــا لا أشكّ .. ولا أغـــار

ولا أَشُوبُ صَفاءَ قلبِكِ بالعِتاب

ها أنتِ بيـــنَ يَدَيَّ

شخصاً ماثِــــــلاً

ما لي ؟ وما لِهواكِ قلباً غائبا ؟

أنا لا أغـار من الذيـن

تقــــاسموه

أنا لا أغار ، فقد شَقِيتُ

بِغَيْــرتي أيـــام جهلي

أيام كنتُ أقدّسُ الكلماتِ

أطعِمُهـــا حيـــاتي

الحبَّ .. والأشواقَ .. والوَجْدَ المبرِّحَ .. والدموع

أيامَ كان لكـل لفـظٍ

في أحـاسيسي شِعـــار

والآن ماذا بعــــدُ ؟

أأقـول بعـد الأربعيـنْ

أم بعـد تجربـة السِّنيـنْ

أصبحتُ شيئاً جامـداً

لا يُستثــــارُ

ولا يَغــــارُ

نَعَمٌ . وما معنى أغار ؟

ولم تَزَل تسري الريّاح

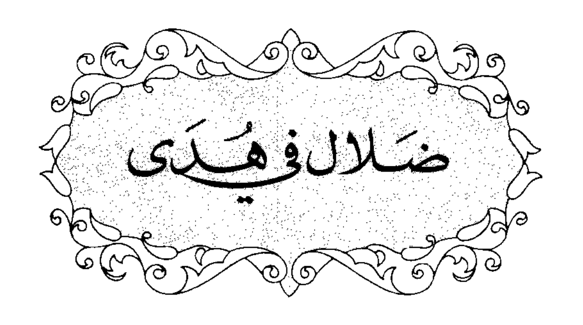
بقصّة الإنسان ؟

تَرويها الحقـــول

عن الثمار .. عن الزّهور

عن الوحـول .. جميـع ما تحوي الوحــــول

* * *



ضلال في هدى

يا هُدَى مَن راحَ في حُبِّكِ موصولَ الضَّلالِ
وسَرى في تيهِ عينيكِ على لمحِ الخيـــالِ
حائراً ، مضطربَ الخُطوةِ ، مجهولَ المآلِ
كلّما ناءَ به الجَهـــدُ تصدَّى للـــنِّضالِ
راجيـاً يدفعُـه اليـــأسُ فيُدنيـــه الأَمَلُ
ثائـراً يُطمِعُـه الشوق ، فيَثنيـه الوَجَـــلُ

انطوى ماضيَّ في الحُبِّ .. ظلاماً ، وضياء
ومسرّاتٍ ، وآلامـاً ، وغـدراً ، ووفـــاء
وقطوبـاً ، وابتسامـاً ، وبعِـاداً ، ولقـــاء
يا هُدَى ، إنّـى أرى الماضي بعينـيكِ ثَراء
فاجعليه لفُؤادَيْنا ، وقد هاما ، نَشيـدا
واصنعي من عهدِه الشّامخ بالأحلامِ عيدا

أنتِ يا باعثةَ الماضي بروحـــي وَجَنـــاني
عن ثنايـاكِ الوَضيئـاتِ بَدَا نورُ الأمـــاني

وبلحظَيكِ النبيلَيـنِ أَرى سِحـرَ الجِنــان
فاغمُرِيني من حُمَيَّــاكِ بآلافِ المعـــاني

إنَّمـا الشِّعـرُ مَعانـيكِ ، وقلبـي الشَّاعـرُ
وأنا الرُّوح ، أوِ الوَكرُ ، وأنتِ الطَّائرُ

أنتِ عنوانُ الصِّبا والحُسنِ في أبهى مثالِ
وهُدى قلبي وأفكاري ، وَصِيتي ، وخَيالي
ومُنَى نفسي وآمـالي ، وأحلامـي الغـوالي
وصدى حُبِّي الذي ضاع ، وأيامي الخَوالي

فابعثي الماضيْ بِعَينيكِ على اللَّحن الطَّروبِ
التَقى في ظِلِّهِ الطَّائرُ بالـرَّوض الرَّطيبِ

سَلسِلي القَـولَ أغاريـدَ من الفتنـةِ سَكـرَى
واسكبي اللَّفظَ بأُذْنَيَّ – إذا حَدَّثتِ – قُمْرا
وأعيدي ذكرياتِ النّيل أحلاماً ، وسِحْـرا
رُبَّ ذِكرى وحَّدَتْ قلبَينِ في الحُبِّ ، فَقَرّا

إنَّها الدَّعوةُ من قلبي أطافَت ، فأَجيبـي
وخذِيها ، يا هُدى عهدَ حبيبٍ لحبيبِ

أنتِ كالـوردةِ لُطفاً ، وعَبيراً ، ونَـــدَى
أنتِ بدرٌ لو رأى البـدرُ سَنـاهُ .. سَجَـدا

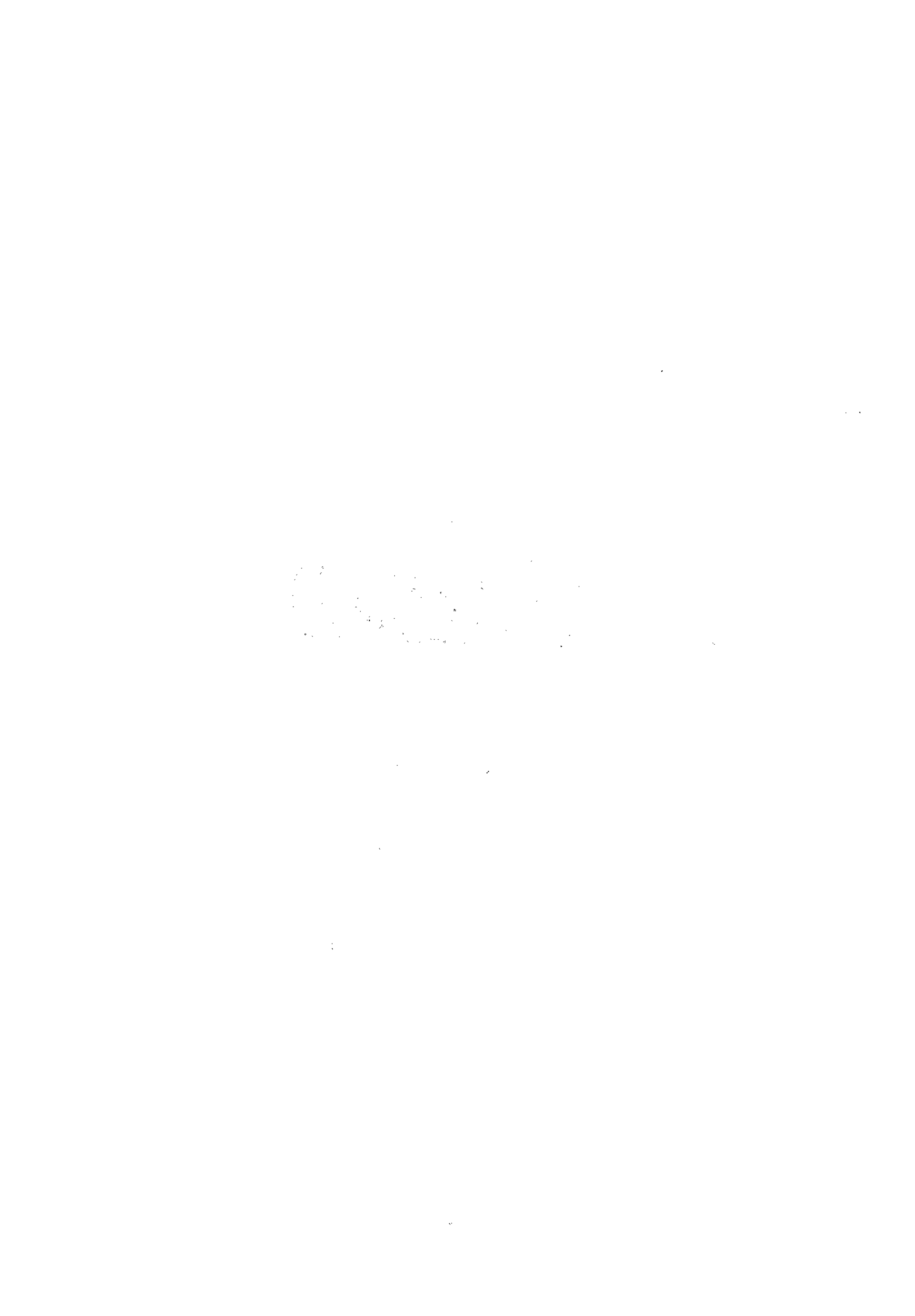
أنتِ كالخُلدِ صَفاءً ، ورُواءً ، ومَــدَى
أنتِ كأسُ الخمرِ ، لو بَلَّت لحَاسِيها صَدَى

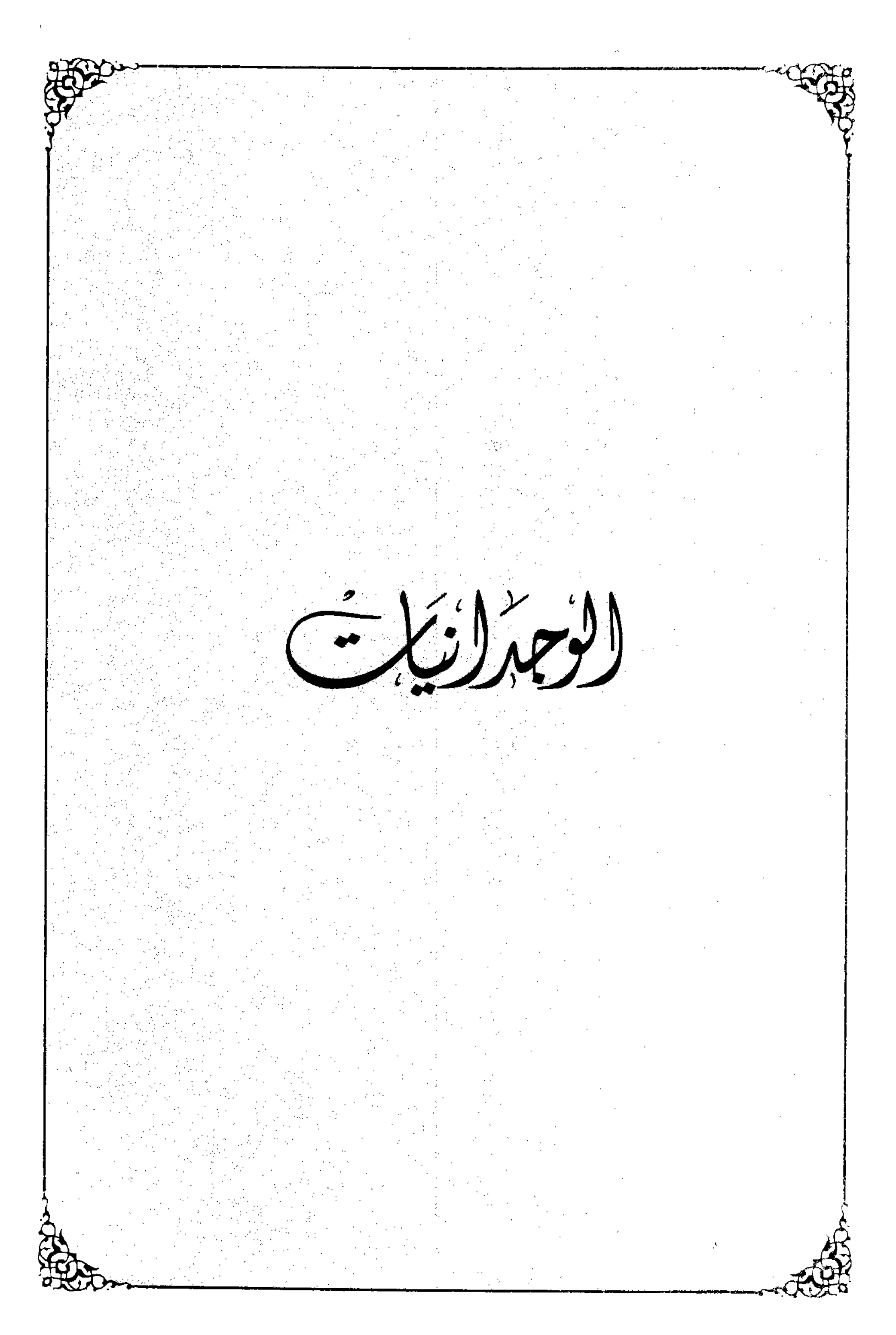
أنتِ لَحنٌ شَمَلَ الفتنةَ من سحرٍ دَفيـنِ
سَوف يَروى قصَّةً خالدةً عنكِ وعنّـي

يا هُدى ! هل هِي أيامٌ قصارٌ .. أم تَطولُ ؟!
جَمَعَتنا صُدفةٌ عابرةٌ ، فيها ، وأحوالٌ تَحُولُ
أم هِي الهَجرُ الذي وَشَّاه بالنُّورِ مُحيَّاكِ الجميلُ
إنَّها ميثاقُنا الخالِدُ في قَلبي ، والحُبُّ النَّبيلُ

سوف أَرعـاهُ كما أرعـاكِ حتَّـى نلتقـي
فاذكرِيني ، يا هُدَى ، ذِكرَ سَعيدٍ لِشَقِي







الوجدانيات





الشَّباب

مَن لِلغِلابِ سِوى الشَّبا ... ب إذا تَكاتفَتِ الصِّعاب ؟
المُرفِضِينَ إلى الوغى ... يتواثَبون على الرِّقاب[1]
والسَّابحينَ على العُبا ... بِ يُغالبون قُوَى العُباب[2]
والرَّاقصينَ على الثَّرى ... والطَّائرينَ على السَّحاب
الصَّاخِبينَ اللاّعِبيـ ... ـنَ الباسِمِينَ على العذاب
يتلهَّبونَ على الصِّرا ... عِ تلَهُّبَ الأُسْدِ الغِضاب
لم تَثنِهم نارُ الحَصا ... د ، ولم يصُدَّهُمُ المُصاب
فكأنَّهم عَشِقوا الفَنا ... ءَ ، فلا ارتدادَ ولا انقلاب
هُمْ في الخنادِقِ صامديـ ... ـنَ ، هُمُو على قِممِ الهِضاب
شُهبٌ ينُوءُ بها الفَضا ... ءُ ، كما ينُوءُ بها التُّراب
لا يَأسَ ، أو يَغدُو العدُوّ ... عَلى سيوفِهِمُ نِهاب
غارُوا على حُرُماتِهِم ... والحُرُّ يأنَفُ أن يُعاب

* * *

(١) المرفض : من أرفض الشيء : إذا تركه يتفرق وينتشر ، ويبدو أن المراد هنا : الاندفاع والإقدام .
(٢) العُباب : البحر الصاخب الكثير الموج .

يا مُنقِذي شرفِ الحضا......رةِ أن يَذِلَّ وأن يُصاب
شرفُ الحضارةِ دونَ هَيْـ......ـكَلِها أَحَقُّ بأن يُهَاب
فَلْتَدفعـوا عنـه النَّقيـ......ـصَةَ بالفناءِ وبالخَـراب
فالمجدُ للحُـرِّ المُظَفَّـ......ـرِ لا لِمُمتَلِىء الوِطَاب[1]
أَعلَى المبادِىءِ ما أقـا......مَ الحقَّ ، مَحمِيَّ الجَنَاب

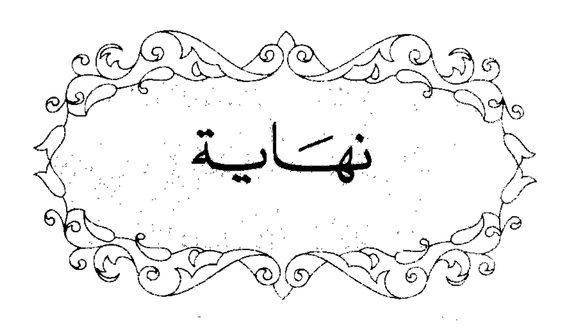
* * *

الـنَّصرُ يا هِمَـمَ الشَّبـا......ب جَنَى السَّواعِدِ والحِراب
سِيروا على سَنَنِ القَنَـا فأمامَكـم ظَفَرُ المَـآب[2]
خُوضوا الضَّباب ستَنجلِي عن فوزِكُم كِسَفُ الضَّباب
أشبـالَ آسادِ الشَّرى الأُسْدُ لا تَخشَى الذِّئاب
ثَمِلَت بِمَسفوحِ الدِّمـا......ءِ بَريئةً تلكَ الكِـلاب
ولَقِيتُموهـا بالعِتَـا......بِ ، وقد تَهَوَّنَتِ العِتاب
اللِّيـنُ لم يَقعُـدْ بها فتَعَجَّلوهـا بالعِقـاب
الـنَّصرُ داعيـهِ أهـا......بَ بكم ، وغايَتَه أَصَاب
سَجَّلتمـوه على البِحـا......رِ مُؤَزَّراً وعلى اليَبَـاب[3]
تاريخُكـم بأكُفِّكـم فَلْتَكتبـوه بالغِـلاب

* * *

---

(١) الوطاب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذَع فما فوقه .
(٢) السَّنَن : الطريقة والمثال والنهج .
(٣) اليباب : الأرض الخلاء .



نهـايـة

أَخَيرُ سبِيلَيكَ ، التـي تتجنَّبُ .. ؟ وأَدنى حبِيبَيكَ ، الـذي لا تُقـرِّبُ ؟

فيـا ليت لي منكَ التَّجنُّبَ والقِـلا وراءَهما وُدُّ الفـؤادِ ، المُغَـيَّبُ

فرُبَّ ابتسامٍ ، دونَـه وَغْـرَةُ الحَشا وإعـراضَةٍ فيها الحَنـانُ المُحـجَّبُ[1]

وُقِيتَ الأَسى ، لو أَنصفَ الحبُّ بيننا لَمَا بِتُّ أَرضَى في هواكَ ، وتغضَبُ

ولكنَّـه المقـدارُ ، يعـبَثُ بالفتـى على وَضَحٍ ، وهْوَ البَصيـرُ المُـدَرَّبُ[2]

* * *

صبرتُ ، وما صبرُ امرئٍ لم يعُدْ له على يأسِهِ فيمـا يُحـاولُ ، مَذهبُ :

أَيُقْـدِمُ ؟ والإِقـدامُ خُطَّـةُ يائسٍ رأى أَنَّ ضِيقَ الموتِ للنَّفسِ أَرحَبُ

أَيُحجِمُ ؟ والإِحجـامُ فُسحَـةُ ساعـةٍ سيَعقُبُهـا عُمْـرٌ كريـهٌ معـذِّبُ

ومـا هُوَ بالمختـارِ في ذَيْـنِ ، إنَّمـا ضرورتُـهُ تُمْلي عليـهِ ، وتَغـلِبُ

وما خَيرُ أَمرَينِ استوى فيهما الحِجَا على غَمرةٍ من حالكِ الشَّكِ يَضرِبُ

إذا ما انـجَلى مِنـا فَأَقشَعَ غَيْـهَبٌ تَكَنَّفَـهُ فيها ، فَأَطبَـقَ غَيْـهَبُ

أُصارِعُ من أَمواجِها اليـأسَ والرَّدى وإنَّ الـذي بَعـدَ السَّلامَـةِ أَرهَبُ

وهـل بَعدَهـا إلّا غِلابِـيكَ مِحنَـةً وإن كنتَ تَعمَى عندَ من لا يُجَرِّبُ[3]

---

(١) الوغرة : شدة توقد الحر .

(٢) المقدار : القضاء .

(٣) الغِلاب : المغالبة ، وهو محاولة أن يغلب واحد الآخر .

فمـــا مِنكَ للعـــاني ذُراكَ حِمايـــةٌ ولا فيك للرَّاجي جَميلَكَ مَطلَبُ
وأنتَ كَمَتنِ البحرِ ما فيه مَأْمَـــنٌ لِسَارٍ ، ولا فيـه لِعَـــطشَانَ مَشرَبُ
وفي موجِك الرَّجَّافِ ، والمَوجُ دونَه ، مخاطِرُ ما تنفَكُّ تُغـرِي وتُعـطِبُ
طَوَت أيَّ جَبَّارٍ ، طَوَى البَحرَ هَمُّهُ وخَلَّتهُ مَغصوباً ، وقـد كان يَغصِبُ
فإن زَهَّدَتنِي في حِمـاكَ مَخاوِفـي دعَاني - فَلَبَّيتُ - الهَوَى والتَعَتُّبُ
ومـا فَرَحـي بالقُـربِ منكَ مَسَرَّةٌ ولكنَّـــهُ بَرقٌ من الوَهـــمِ خُلَّبُ

* * *

وتُشرِقُنـــي منكَ الـــبشاشةُ بالأَسى وأَحسُدُ مَن تلقـــاهُ حين تُقـــطِّبُ
مخافـةَ أن تُبـدِيْ لِيَ الحبَّ خُدعـــةً وَيَغنَمَـــهُ ذاكَ البعيـــدُ المُقَـــرَّبُ

* * *

تجهَّمْ ، ولا تضحَكْ فرُبَّ ابتسامـةٍ صفَت ، تحتَها نارُ العِداءِ تَلَـــهَّبُ
ولا تَلقَنـي بالقَــولِ فاض عُذوبـــةً فما سِحـرُ لفـظٍ رقَّ عُقبـاهُ مَعطَبُ
ولا تُدنِني ، فالقـربُ إن كان كُلفـةً فلَلنَّـأيُ أَبقَـــى للـــودادِ ، وأَصْوَبُ
ولولا مَسيسُ الوَجدِ ، لم أَطوِ غُصَّتِي على أملٍ في البعدِ ، والبعدُ مُجدِبُ
فمَـن كَذَبَتْ عنـد الدُّنُـــوِّ بُروقُـــه فإنَّ مَجاليها على البُعـــدِ أَكـــذَبُ
ولكنَّهـــا أُمنيَّـــةٌ قد جهلتُهـــــا ويـا رُبَّ مجهـولٍ يُرادُ ، ويَعـــذُبُ
فإن بَلَغَتهُ النَّفسُ عافَتـهُ وارعَـــوَت وشَأنُ قلوبِ العاشقيـــنَ التَّقَـــلُّبُ
سِوى قلبِ موصولِ الضَّلالِ ، عرفتَه لسانُكَ يُعطِيـــه ، وقلـــبُكَ يَسلُبُ
جهِلتَ على عِلـــمٍ حقيقـــةَ حبِّـــه فأَسْلمتَـــــه للشَّكِ يُضْوِي ويَنهَبُ[1]

---

(١) يُضوِي : يُضعِف ويُهزِل . ينهب : جعله نهباً يُغار عليه .

علىٰ أنه الشَّاري ، هَنَاكَ ، بِروُحِهِ وباذِلُهـا إن عَزَّ دُونَك مُرغَبُ[1]
وما هُوَ بالسَّالي هَوَاكَ علىٰ المَدَى ولا بالذي يَهوى بديلاً ، ويَطلُبُ
وما يدَّعي فيكَ المُحالَ وإنَّما يَدومُ وِدادُ النَّفسِ والحُسنُ يَذهَبُ
وما الحُسنُ في حُبِّيكَ مَبعثُ فِتنةٍ فإن زالَ زالتْ ، والهوى ليس يُوهَبُ
ولكنَّها معنًى من الوُدِّ والوَفا يُطِيفُ بنفسٍ ليس لِي مِنه مَهرَبُ
ولكنَّها فيمايَرى الفكرُ عادةٌ يَحِنُّ إليها مُستطاراً ، ويَطرَبُ[2]
ولكنَّها قُربَى فُؤادِي مُلَبِّياً دواعي الهَوى يوماً ، تَلِينُ وتَصعُبُ
يُوَشِّجُها عَهدانِ ، عهدٌ مُبَغَّضٌ لَهُ ذِكرُهُ الآسي ، وعهدٌ مُحَبَّبُ
ولكنَّها بين الكريمَينِ مَوْثِقٌ يُطالِعُ آتينا الجميلَ ويَرقُبُ
ولكنَّها ذِكرى تَجول مَجالَها وتَشكو الذي آثرتُ فيها وتَندُبُ
ولكنَّها مني إذا لُحتَ نَظرةٌ ولو أُضرِمَت شَحناؤُها - تَتَحَبَّبُ
ولكنَّها عَتبٌ من العَينِ صامِتٌ يقولُ على ما سُمتَنِي : أنا مُذنِبُ
ولكنَّها - فيما تقولُ - ملالَةٌ على أنَّها قلبٌ جَريحٌ مُخضَّبُ
تَلَقَّاهُ ضَحَّاكَ الأساريرِ طاعناً وَيَلقاكَ وَضَّاحَ السَّريرةِ يَشخَبُ

* * *

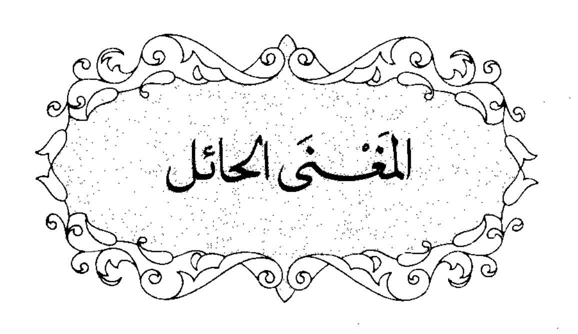
حَبيبي ، تَلافَ اليومَ ما يُرتَجَى غداً لِبُقيا وفاءٍ تَرتجيكَ ، وتَصحَبُ
أأسكتُ أم أَشكو لعلَّكَ سامعٌ وأَغضبُ أم أُغضي لعلَّك مُعتِبُ ؟
وأَكتمُ أم أُفضِي بذاتِ سَريرتي وأَهتِكُ سِترَ الكِبْرِ أم أَتَهَيَّبُ ؟

---

(١) مُرغب : مرغوب ، مطموع به .
(٢) المستطار : المذعور .

وأَحمَدُ أم أبكِي فقد ضِقتُ بالضَّنى ... وبرَّح بي فيكَ الرَّجاءُ المُخَيِّبُ
وما اعتدتُ أَن أرجو ، ولكنْ مَوَدَّةٌ ... تُراجِعني فِكري العَصِيَّ ، وتَجذِبُ
صبرتُ لها في ظُلمةِ الشَّكِّ والرَّجا ... وإنَّ رَجائي فيكَ كالشَّكِّ مُرعِبُ
وما زلتُ أستبقيكَ ، ضَنّاً بصُحبةٍ ... تعهَّدَها ماضٍ من الحبِّ طيِّبُ
فعُدْ لجميلِ الرأيِ فيها ، تَصُنْ به ... حُساماً به تَلقى الصِّعابَ وتَضرِبُ
فما فازَ مَن ضاعَت مَودَّةُ مخلِصٍ ... لدى يومِهِ البسَّامِ ، والدَّهرُ قُلَّبُ
وما حفِظَ النُّعمى سِوى مُشتَرٍ بِهَا ... روافِدَ قلبٍ ، وُدُّه ليس يَنضَبُ
فلم يَصحبِ الدُّنيا طويلاً على المُنى ... سَعيدٌ ، ولا أَفنى الجديدَينِ مُتعَبُ
وما زالت الأيامُ تُقبِلُ تارةً ... وتُدْبِرُ ، والدُّنيا تَجِدُّ وتَلعبُ
فهذا خَصيبٌ كان بالأمسِ مُجدِباً ... وما يتَّقي في يومِه الجدبَ مُخصِبُ
وما اختال في كونِ المحاسنِ موكبٌ ... مدى لحظةٍ إلا انطوى فيه مَوكِبُ
وكم من جَمالٍ أعقبَ الغَمَّ ربَّه ... فباتَ على ما فاتَه يتلهَّبُ
ويا رُبَّ جبّارٍ تأجَّجَ نارُهُ ... متى هانَ أمسَى فوقَها يتقلَّبُ
وما خلَّد الماضِي جَمالاً لفاتِنٍ ... فيأمنَ تَيَّاهٌ ، ويَعْتَدَّ معجَبُ
ربيعُ الهوى والحُسنِ مَشرِقُ ساعةٍ ... يُديلُ لعانِي شمسِهِ بَعْدُ مَغرِبُ

★ ★ ★



المغنى الحائل

أنتَ مَغنايَ ؟ لا ، فلَستَ بآهِلْ   أيـن عَهـدي بِزَهـرِهِ والبلابـل ؟

ومعانِيـهِ – والهوى من معانِيـ   ـهِ – وأمساءِ وَحيِـهِ والأصائِـل

ومَحـاريبِ قُدسِهِ ، وترانيـ   ـمِ رُوَاهُ ، وسِحرِهِ ، والشَّمائل ... ؟

وخُطا مَنْ أُحِبُّ فيـه ، ونَجـوا   هُ ، وأعيـادِ وَصلـه ، والمحافِـل ؟

أنطوَتْ في ثَراكَ ؟ أمْ ملَّتِ العَيـ   ـشَ عليـهِ ؟ أمْ رَوَّعَتْها النَّـوازل ؟

أم دَعَتها إلى سِواكَ دَواعٍ   آنسَتها ، فَجانَبَـتكَ جَوافِـل؟[1]

لستَ مغنايَ ؟ لا .. فقد كان مَغنا   يَ خَصِيباً ، ولـيسَ مِثلَكَ قاحـل

ضاحِكـاً كالرَّبيـعِ ، مُستكمِلَ الفِتـ   ـنَةِ ، كالخُلدِ طَاهـراً ، كالفَضائِل

ثَابِتَ العهـدِ والأمانـةِ والـحُسـ   ـنِ ، وَفِيّـاً ، والأوفيـاءُ قلائـل

أيـن مَغنَـايَ ؟ أُفْقُـهُ وَمَـداهُ   وتسابيـحُ أيكِـهِ والعَنـادِل ؟

أنتَ مَغنَايَ ؟ لا ، فقـد كانَ مَغنـا   يَ رَحيماً ، ولـيسَ مِثلَك قاتـل

إنَّمـا أنتَ طائِـفٌ من جَحيـمٍ   غالَ مَغنَـايَ ، صُورةً ودَلائـل

فإذا أُنكَـرَتْ سِمَـاتِكَ عَينِـي   فلأنِّـي فقَـدتُ تلكَ المخائـل

ولأنِّـي عِفتُ الحيـاةَ وكفَّنـ   ـتُ أمانِـيَّ ، داميـاتِ المَقاتِـل

راثِياً فيكَ حُلْـمَ أمسِي المُـرَدَّى   حافِلاً بالعَـزاءِ أو غَيـرَ حافِـل

---

(١) الجوافل : جمع جافل ، شارد ، نافر .

سَئِمَت نفسيَ النِّضالَ وعافَتْـهُ ، ومـلَّت فروضَه والنَّوافل

ما الهَوَى ؟ ما الجَمالُ ؟ ما المجدُ ؟ ما المالُ ؟ أليست إذا حَزِنتُ مَهازِل ؟

والمساعِي ، طاحَت بهنَّ قلوبٌ ، كالمساعي ، طاحت بهنَّ جَحافِل

كلُّ ساعٍ يَوَدُّ لو نالَ ما شاءَ ، فهل عادَ كلُّ ساعٍ بِطَائل ؟

* * *

يا لَنا مُدلِجينَ ، أزرىٰ بنا الأيْنُ ، وأوهى أقدامَنا والكَواهل [1]

نَتخَطَّى الوعودَ ، غيرَ مُوَقِّيْنَ ، ونَفرِي على العَماء المَجاهل [2]

فإذا سَرَّنا جَميلٌ بوعدٍ أحزَنَتنا أخلاقُه والدَّخائل

* * *

يا مغانِيّ الهَوى ظَنَنَّاكِ حَقّاً فإذا الوهمُ تحت تلكَ الغَلائل

قد وَدِدْنا من الزَّمان مُحالاً حينَ رُمنا مِنه حَبيباً مُواصِل

شَدَّ ما راعَنا وأوهَن مِنَّا زَمنٌ ، جادَ بالمُنى كلَّ غافل

ما بِنا من شَماتِ أهلِكَ ، يا دَهرُ ، ولكنْ بنا رِثاءُ المشاكِل

أوراءَ الغُيومِ يا عقلُ دُنيا غيرُ دنياك ، أم نَهيمُ بباطِل ؟

قد رَضِينا الأوهامَ وِرْداً ، فلم تُغْنِ ، وَفاضَت للجاهِلينَ مَناهِل

* * *

يا مَغانِي الهَوى التي طَال فِيها يومَ عاذَتْ بنا لَجاجُ العَواذل [3]

---

(١) المدلج : السائر في أول الليل . أزرى بنا : تهاون وقصّر .

(٢) المَوَقّى : الشجاع .

(٣) اللَّجاج : الإلحاح والملازمة . العواذل : جمع عاذل وهو اللائم .

ما هَوِينَاكِ ، بل أَلِفنَاك والإِلْـف زِمامٌ ، وقاكِ خَيبةَ آمِل
وَلَقِينَاكِ عاطِفِين عَلى حُبِّكِ ، والعَطفُ رحمةٌ وفواضِل
ذاك دَيْنٌ ما نَقتَضِيه ، وذِكرى غَمَرتها الأحداثُ ، فَهْي تُناضِل

* * *

يا مغاني الهوى ، أَقَمْنا وأَبعَدْتِ ، فهَلّا ، والقلبُ للقلبِ وَاصل ؟
أتمنَّى لكِ البقاءَ وقد مِتِ بِنَفْسِي ، حقيقةً ، وَعَوامل
لَتَفَاءَلتُ لو تَرُدُّ على المَيْتِ حَياةً رغائبُ المتفائِل
يا مغاني الهَوى ، وَداعاً فقد صَدّتْ كِلَيْنا ، عَمَّا يَروم ، شَواغل
يا مغاني الهَوى ، وأطلالَه اليومَ ، وَفاءً ، وداعَ ثاوٍ لِراحِل





من أعماق الحياة

الفكرُ يُنجِزُها ، واليأسُ يَلوِيها ... مُنى يَبيتُ على الوَعثاء سَاريها[1]

عِشنا ، وعاشَت على صحراءَ مجدبةٍ ... من الحقائقِ ، تَطوينا ونَطويها

أنضاءَ معركةٍ ، أنقَى السِّلاح بها ... للفوزِ ، ما شَرَعت أخلاقُنا فيها

حيثُ النِّضالُ خَؤوفٌ ، والقُوَى خِدَعٌ ... أَلقى عليها ضياءَ الحقّ مُزْجِيها

لَئِن أَقمنا على خَسف فما فَتِئَت ... قلوبُنا تَتَحدَّى بأسَ مُرْدِيها

* * *

يا منكرَ العيشِ أَوْشاءً مذهَّبةً ... لقد رَضيناهُ أحلاماً وتَمويها

عِفنا الرَّخاءَ فلم تَعلَق بنُضرَتِه ... مبادئٌ عن طِلابِ الذُّلِّ نُعليها

فمَوردُ الإثمِ تأباهُ لنا شِرَعٌ ... من الفضائلِ قادَتنا دَواعيها

فما تَميلُ بنا - يوماً - لِمَنقَصَةٍ ... ولو تَقلَّدَ بالجَوزاءِ آتيها

ولو طوَينا على الأجراح راعفةً ... صُدورُنا ما غضَضنا من نَواهيها

فافرحْ بدنياكَ ما جُنَّتْ ، فإن عَقَلَتْ ... رَدَّتك فيما يُديرُ القولَ تَشبيها

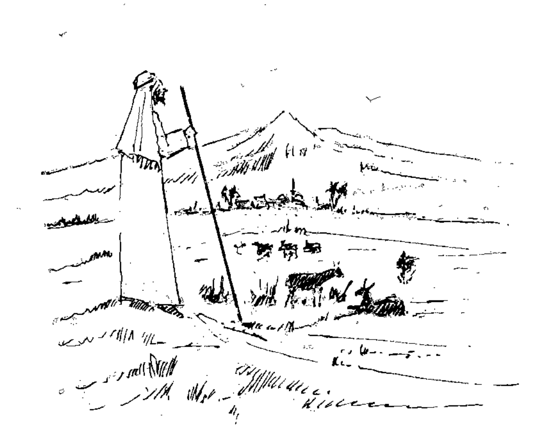
* * *

يا سَرحةَ الجَبلِ الطَّاوي على مَضَضٍ ... حقائقُ العيش والأحياءِ تَطويها

ماذا عرفتِ عن الدّنيا وباطِلِها ... ممّا عرفناه مِن أَخفى معانيها ؟

(١) الوعثاء : المشقّة والتّعب .

قد قُمتِ ناضرةَ الأوراق ، راويـةً   من مُستَقـاكِ على أعلى مَجـاريها
وقد صَدرنـا ظِمـاءً عن مواردهـا   مذ لوَّثَ الظافـرُ الجافي حواشيها
يَرمي الشِّماتُ بنـا في قاعِ غَيهبـةٍ   من ناعِمِيـنَ رَأَوا رُشداً تَوَقّيها
جَرحَـى نَنُـوءُ بأعبـاءِ الحيـاةِ أسىً   مُطَلَّحِيـنَ ، عَمِينـا عن مَساريها[1]
يُلقِي بنا الأيـنُ عُزْلاً في مَفاوزهـا   طخيـاءَ ترمـي بنـا هُوجـاً مَراميها[2]
ويُـوهَبُ الأمـنَ بسامٌ على دَخَـلٍ   في مِحنةٍ ، هو ، دُونَ النَّاس ، جانيها[3]
لا ، لن نلينَ على الأرزاقِ نُحرَمُها   ولا نَهـونُ على الأرمـاقِ نُوهِيها



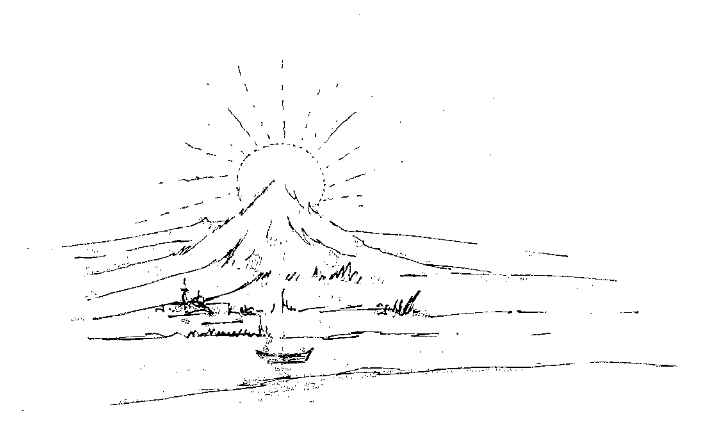
---

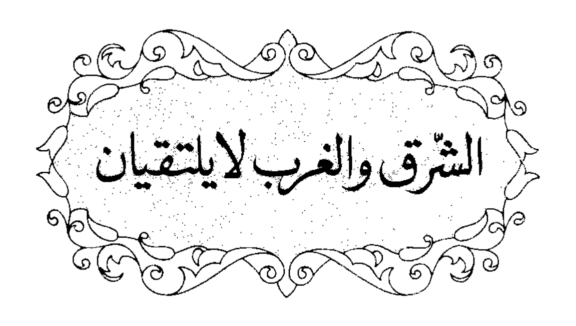
(١) مطلحين : جمع مُطلَح وهو المتعَب المجهود .
(٢) الطخياء : الظلمة الشديدة .
(٣) الدَّخَل : الفساد ، العيب .



سَــراب

دُعاءٌ – صَدَاهُ الصَّمتُ – ليس يُجابُ وجُهدٌ ، عَداهُ الفَوزُ ، كيـف يُثـابُ ؟
كأنَّ رُؤًى ، هِمْنـا طَويــلاً بحبِّهــا على ظَمَــأٍ ، للخالــداتِ ، سَرابُ
تداعت مساعينا على الأيـنِ والسُّرى تَرامَـى ، وطـالتْ ، فُرقـةٌ وصِعـابُ
وأَقبـلَ في ظلِّ الهَــوانِ شبابُنــا وأدبَـرَ رهــطُ العاثِريــن وشَابــوا
فإنْ ذكَـر الـرَّاوي سوابـقَ مَجدِنــا تناقَلَــه المستنكــرونَ وعابـــوا
وقـامت موازيـنُ الحيـاة على الغِنــى ومــا هو إلّا فتنـــةٌ وخَـــرابُ





الشّرق والغرب لا يلتقيان

أَبَتْ قُرَبُ الإنسانِ إلّا تَلاقيـــا ... على غُلَـواءِ الدَّهـرِ بَعــدَ التَّجافِيـا [١]

ومــا قُرَبُ الإنسانِ إلّا وَشائِـــجٌ ... من النَّسبِ القاصي ، تداعَت دَوانيا [٢]

رمى بينَها عَسْفُ الفُروقِ فَدَكَّها ... فقــامَ بها داعــي الأواصِرِ بانيــا

فإمَّا تلاقَت بعـــدَ رَيبٍ وجَفــوَةٍ ... ففي أن تَرى وِردَ المَناسِبِ صَافيا

وفي أَن تَرى حقَّ العدالــةِ شائعــاً ... وفي أن تَرى ظِلَّ المساواةِ ضافيــا [٣]

وفي أن تَنــالَ الحقّ حُجَّــةُ أَهلِــه ... ولـو أنَّ تِيجاناً أَبَت ، وَمَواضيــا [٤]

وفي أن يُمــاطَ الضَّيــمُ عن كلِّ أُمَّةٍ ... تَخَوَّنَهــا بأسُ المُغيريـــنَ باغيــا

وفي أن تُرى حُرِّيَّةُ الــرأيِ مَورِداً ... مُباحــاً ، وألّا يَدفَـعَ الظُّلْمُ صاديا [٥]

فمــا شَرَعَ الإنصافُ جوعــاً لكــادحٍ ... مُسَخِّرُهُ يَقضِي الجَدِيدَيْـنِ لاهِيــا [٦]

ولا أن يَنــال الـدِّفْءَ نَشوانُ طاعِـمٌ ... وفي فَخِّـــهِ عَانٍ تَضَوَّرَ عاريــــا

ولا أن يُرى جِيـدُ الفـقيرةِ عاطــلاً ... وأعنـاقُ أُجْـراءِ الغَنِـيِّ حَواليــا [٧]

---

(١) القُرَب : القرابَة ، وهي الدنو في النسب . الغُلَواء : الغُلُوّ والتزيّد .

(٢) الوشائج : جمع وشيجة وهي القرابة المتصلة .

(٣) ضافيا : سابغاً .

(٤) المواضي : جمع الماضي ، السيف القاطع .

(٥) الصادي : الشديد العطش .

(٦) الجديدان : الليل والنهار .

(٧) العاطل : الخالي من الحلي ، وعكسه : الحالي .

وأن تُحرَمَ الآلافُ مأوىً ومطعَماً ... لأنَّ قويّاً غالَ منها المساعيا
فإن ثار مَهضومٌ لِحَقٍّ مُضيَّعٍ ... طَوَتهُ قُوى سُلاّبِهِ ، عُدَّ عاصيا

* * *

لئِن كان قانونُ العَدالةِ ما نَرى ... فَلِمْ نُقتَضى أرواحَنا والنَّواصِيا ؟
لِخوضِ المَنايا كالحاتِ أثَارَها ... قَوِيٌّ على جيرانِهِ ، راح عاديا
أأَحمِلُ أعباءَ الجهادِ تَفانِياً ... وأُجرَمُ في عُقبى النَّجاح جَزائيا ؟
فَنِينا ، وأَفْنينا ، ولم يَفنَ جُهدُنا ... إذا بقيَت أطماعُ قومٍ كما هيا
وإن نَطَّلِبْها نُصرةً وهزيمةً ... بدا خلفَها زَندُ المطامع وَاريا

* * *

بَلَى ! نلتقي ، يا غربُ ، مسعىً وغايةً ... فما كانتِ الأعوانُ إلّا عواريا
وما الشَّرقُ إن مَدَّ اليمينَ لِصِنوِهِ ... سِوى نَسَبٍ رام التَّكافُؤَ فاديا
سوى نسبٍ تَلْوِي القرابةُ دَيْنَه ... وتُنكِرُ منه أن أَطال التَّقاضيا
فإن نال حقّاً ، فالوفاءُ صنيعُهُ ... وإن مسَّه حَيْفٌ تَخَمَّط ضاريا(١)

* * *

بلى ! نلتقي ، يا غربُ ، عَدلاً ورحمةً ... كما نتلاقَى فِكرةً ، وأَمانيا
لِنرفَعَ أعلامَ الحضارة والسَّنى ... وندعَمَ أساسَ السَّلامِ بواقيا
فما خيرُ مَسعىً لا يُحرِّرُ راسِفاً ... وَيَرْحَمُ محروماً ، ويُسعِفُ شاكيا؟(٢)

---

(١) الحيف : الظلم . تَخَمَّط : ثار وهدر واضطرب .
(٢) الراسف : في القيد : الماشي فيه رويداً .

أَمَن شادَ مَسعــاهُ بواذخَ للـــرَّدى   كمَـن شادَهـا للعائِذيــن مُواسِيـــا ؟
أَمَـن سَرَّ مكروبـاً وأَنـهَضَ عاثـــراً   كمَن رَدَّ ، شرَقى بالدُّموعِ ، المآقيا ؟

* * *

لئن باعدَ الماضِي القلوبَ على جَفـا   فقـد ردَّهـا داعـي اللقـاءِ حوانيـــا
تلاقَـى بنـا اليـومُ العتيـــدُ ، وإنّنـــا   لَنَرجـو غداً ، حريَّـــةً ، وتآخيـــا
فهـل نَلتقـي كُفئيـنِ ، وُدّاً وحُرمَـةً   وعهداً وثيقـا ، يُقـتَضَى ، وَدَواعيـا ؟

جـدة ١٩٤٣ م





لُغْزُ الحياة

بِئسَ ما تبتغِي العقولُ طِلابا ... فوقَ أنقاضِ حِسِّنا والشُّعورِ

بقيودٍ من الزَّواجرِ ، تعتا ... ضُ من اللُّبِّ ، مهمَلا ، بالقشورِ

قد أحلَّت وحَرَّمت ، وغدا النَّا ... سُ لغاياتِهم ، بلا تقديرِ

والموازينُ قائماتٌ ، على العهـ ... ـدِ بدعوَى سُلطانِها المدحورِ

ما أرى العقلَ غيرَ راكبِ لجّ ... باحثٍ عن هُداه ، في دَيْجورِ

* * *

إنَّها غايةُ الحياةِ ، ومَسرا ... ها ، وللعقل حَيْرَةُ التَّفسيرِ

حَفَلت قصَّةُ الحياةِ ، على مُغْلـ ... ـلَقِ أَلْغازِها ، بكلِّ مثيرِ

لن تنالَ العقولُ ، من ذلك السرّ ... ولو مَزَّقَتْ ، أُلوفَ السُّتورِ

وستمضي النُّفوسُ .. تَعدو فَراشاً ... لاحتراقٍ ، في حِلْمها بالنُّورِ

يا سكونَ القبورِ ! ما أَروَعَ الصّمـ ... ـتَ بشيراً يَدعو بصوتٍ نذيرِ

* * *

ستظلُّ الأرواحُ تَسبحُ في ظلـ ... ـمَةِ أَهوائِها ، تَهيمُ ضَياعا

مُقْبِلاتٍ على مطالِبها الدّنـ ... ـيا ، تظنُّ الوجودَ ، نَهباً مَشاعا

وتظلُّ العقولُ ، تَكبُو على الوَعْـ ... ـرِ ، وتَجفُو لِينَ الحياةِ ، مَتاعا

وسترمي بالضَّعفِ والعجزِ والجهـ.........لِ ، وتأبَى للصَّبــرِ أن يَتداعـــى
وستبكي بصمتِهــا المأتــمَ الــدّا.........مي ، ولا تهمِسُ الأنينَ ، وَداعـــا

* * *

يا نجومَ الفَضاءِ ! هل صدَّعَ الصَّمْـ.........تَ بدنيــاكِ ، رائــدٌ للـــفضاءِ ؟
وكـذا ، مزَّقـوا السَّكينــةَ في الأر.........ضِ ، وصاغـوا القيــودَ للضُّعفــاءِ
واستغلّوا الجهـودَ ، واحتكـروا الأقـ.........ـواتَ ، باسمِ الإصلاحِ والإنماءِ
والشِّعـاراتُ زائِفـاتٍ ، تُحيـلُ الـ.........ـعيشَ ضَنكــاً ، يَفــيضُ بالأرزاءِ
هكـذا بعـدَ سَحقِهِـم ، عالَــم الأر.........ضِ عُتُــوّاً ، تطلَّعُــوا للسَّمـــاءِ

* * *

مرحبـاً يا سَمـاءُ ! ضَرْبتُكِ الكبـ.........ـرَىٰ عِقاباً ، لِجاحدي العدلِ ، عَدْلا
يا نجومَ الـــفضاءِ ! صمـــتُكِ مازا.........لَ بيانــاً ، لو أنَّ للكفــرِ عَقـــلا
ومـنَ القـولِ ما يَمُــدُّ به الصَّمْـ.........ـتُ ، على أروعِ المَشاهــدِ ، ظِلّا
إنَّـه يَبلُــغُ الكــلامُ مَدى الصَّمـ.........ـتِ ، بِنجواهُ ، مُكثِراً .. وَمُقِـلّا

* * *

يا نجومَ الفضاءِ ! حَسْبُكِ من صَمـ.........ـتِكِ سِحــراً أَبــانَ عنكِ وعَبَّــرْ !
أنتِ في عالَـم السَّكينــةِ ، شِعــرٌ عبقـريٌّ ، غَنَّـى ، وأغنـى ، وصَوَّرْ
فـالزُّهـورُ التـي تقـول ، ولا تنـ.........ـطِـقُ بالصَّمتِ ما أثــار وحَيَّــرْ ؟
ودمـــوعُ الأسَى ، شكــاةً ، وآلا.........ماً عِذابــاً ، وفرحـــةً ، تَتَحَــدَّرْ ؟
صُوَرٌ للبيـــانِ ، أبلـــغُ من كلّ.........كلامٍ ، وفتنـــــةٌ تتفجَّــــــرْ

* * *

يا زمانَ الهَوى ! أَرى بعدَك العُمْـــــــرَ شَريـداً ، مروَّعــاً ، يتعثَّــــرْ !
يا شراعاً ، أضَلَّ مَجراهُ .. في اليـمِّ وقــد هالَـــه الظَّـــلامُ فأقصَرْ !
أين يَمضي ؟ وكيفَ ؟ لا أُهبَةً تُنــهِضُ عزماً ، ولا حِجىً يتدبَّـــرْ ؟
يتلقَّى مصيـرَه في سكــونِ الصَّــمتِ جُرحاً ، بكِبْـره ، يتستَّــرْ
يا زمـانَ الهوى ! مضيتَ ، وأبعَــدْتَ ، وخلَّفتَ عَالَمـاً قد تحجَّــرْ !

* * *

أَلَماً يَجحدُ الفضيلةَ والخيـــرَ وصوتَ الضَّميرِ والوجدانِ
ومزايـا الإنسانِ تَنمـــو وتسمـــو قوةً تحتَ رايـــــــــة الإيمانِ
واعتقاداً يُنير في ظلمــةِ .. الهَــوْلِ فيجتازُهـــا دروبَ أمــــانِ
أيُّهـا العالَـــمُ الـــذي ضَلَّ بالعِلْــــم ، فساوَى الإنسانَ بالحيـــوانِ !
إنَّـه ، في الوجـودِ ، قلباً وروحـــاً وخيـــالاً ، مرآةُ هذا الكيـــانِ !

* * *

يا زمـانَ الهوى ! تَرامــىٰ بكَ الأَيْـــنُ ، وضاقَت على خُطاك القيــودُ !
ما أَرى للربيــعِ بعــدَك معنًـــى فالسَّنـى فيــه باهتٌ والـــورودُ
يا زمــانَ الهوى ! مضَيتَ بدنيــايَ ، فما اجتازَ بعدَها العُمْرَ عيدُ !
لم تَزَل ذكرياتُهـــا مِلْءَ عينَـــيّ حَنانـــاً ، يُظِلُّهـــنَّ الخُلـــودُ
يا زمـانَ الهوى ! وَداعــاً إلى غَيـــرِ لقـــاءٍ ، فأيُّ ماضٍ يَعـــودُ ؟

★ ★ ★



تأمُّـــلات

آثرتُ أن أَظمَا وعِــفتُ موارِدي — واعتَضتُ من نومي انتباهةَ ساهِدِ
وصرَفتُ نفسي عن عُلالاتِ الهوى — لمَّـا أَجَلتُ بهنَّ رأيَ النَّاقِـدِ
ونذَرتُ نفسي للجهـادِ ، فهالَهـا — ألّا تَشُدَّ على اللُّغـوبِ بعـاضِدِ
فإذا مُرادُ النَّـفسِ أبعـدُ غايـةٍ — مما يُعيـنُ عليـه جُهـدُ الجاهِـدِ
وإذا الحيـاةُ بغيـرِ مجدٍ قصَّةٌ — زكَّى القنـوطَ بها فَواتُ الشَّاهِـدِ

* * *

قالوا : استعاضَ المجدَ مُفتقِدُ الهوى ، — فبَكت لِفقدِ هَواه عيـنُ الواجـِدِ
ولَـرُبَّ محسودٍ يَبيـعُ نعيمَـه — بهنـاءِ يومٍ من حيـاةِ الحاسِدِ

* * *

آمالُنا مِلْءُ النُّفـوسِ ، فهـل تُرى — صَفِرَتْ من الآمالِ نفسُ الزَّاهـِدِ ؟
وأَرى الزَّهـادَةَ في مظاهرها تُقـىً — من تحتِـه لَهَبُ الطِّمـاحِ الخامـِدِ
أَعَيِيتَ تطلُبُ في حياتِك راحـةً — والكَـدُّ دَأْبُ طريدهـا والطَّـارِدِ ؟
يَجرِي القضاءُ بكلِّ ما هو كائنٌ — فعَلامَ يَعجبُ جاهِـدٌ من قاعـدِ ؟

* * *

وَجدَ الوليدُ ، ولم يَجِدَّ ، سعادةً — أَرسى دعائمَهـا شقـاءُ الوالـِدِ

فجزَى أباهُ بالعُقــوقِ ، كما جَزى ... هذا أبـاه ، وتَـمَّ حُكـمِ الواحـدِ
بين السعــادةِ والشَّقــاءِ متاهَـــةٌ ... عَصَفت بأحـلامِ الخيــالِ الواعـدِ
والعيشُ معركـــةٌ تَمَـرَّس بالأسى ... قلبُ الجبـانِ بها كقـلبِ الصَّامـدِ
وتفـاضلت هِمـمُ الرِّجــالِ فقانـعٌ ... بنصيبـــه ومنــــاضِلٌ كالماردِ
لولا دواعـي الطَّبـع ، وَهْـي عَصِيبَةٌ ... لَأَطَعتُ في الإقــدامِ نُصحَ مُراوِدي
كان السُّمــوُّ عن الصَّغـارِ مَزِيَّـةً ... فإذا المَزِيَّـةُ في الصَّغـارِ السائـدِ
ولـوَ آنَّ زُهـدَ العاجزيــنَ فضيلـةٌ ... لَوَصلتُ طارفَ فَضلِهـا بالتَّالـدِ
فلقد عَجَزتُ ، وما زهِدتُ ، وصَدَّني ... فَرطُ الكلام عن اعتـزام الصَّاعـدِ

* * *

رعتِ الجماعـةُ بعــد غَيٍّ رُشدَهــا ... فطوَى الجحـودُ العَمْدُ فضـلَ الرَّائـد
قالوا : اعتزلتَ النَّاس ، قلتُ : مخافةً ... مما يُحَـرِّك فيَّ سوءَ مقـاصِدي
لمَّــا دَفــنتُ مطامعــي وأَمِنتُهــا ... ذاعت ، وفاضَ بها الخيالُ ، مَحامِدي
كالحيِّ عاشَ مُضَيَّعــاً في قومــه ... وقَضَى ، فأُمطِـرَ بالثَّنـاءِ الخالـدِ

* * *



حظـــوظ

هَدَرتُ شُعوري حين صَعَّدتُه شِعرا ... وأشفى لِنفسي أن أفجِّرَه جَمـــرا
فما لي وقد عِفتُ السَّلامةَ مَوْرِداً ... وأعرضتُ عن أسبابِ طالِبها كِبْرا ؟
تبدَّلتُ من عزمي وجُلِّ شبيبتـي ... حِجًى ، لا يَرى إلا المساوئَ والنُّكرا ؟
يُهوِّن في عينـي الحياةَ وأهلَها ... ويوسِعُ طلّابَ المتاعِ بها سُخـرا
فعشتُ وإيّـاه رفيقَـيْ متاهــةٍ ... على غير قَصدٍ ، نَخبِطُ السَّهلَ والوَعرا
حَريبَيْنِ في دنيـا تفـيضُ بشاشةً ... لمنتهجيها ، رغـمَ ما ساءَ أو سَرّا
ونحن سواءٌ ، إنّما العيشُ رحلـةٌ ... مَدانا بها ، المقدور ، أنْ نقطَع العُمْرا
ولم أَرَ مثلَ الجهلِ عَوناً لِمُدلِـجٍ ... مضى قُدُمـاً ، لا يستَشِفّ لها سِرّا

* * *

تطلَّبَ ، من دنياهُ عدلاً فسوَّفَت ، ... حكيمٌ فلا عجزاً أقامَ ولا صدرا
فأنفَـقَ في ظلِّ الخمـولِ حياتَـه ... وعاشَ ، على جَدْبِ الحقيقةِ ، مُضطرّا
ورُبَّ مُجِـدٍّ لم يَدَع بابَ حيلـةٍ ... إلى اليسر ، أفنَى جُهدَه ، فجَنى العُسرا
وحيٍّ من الأحياءِ ، غايـةُ قَصدِهِ ... على عَيشِهِ ألّا يجوعَ ولا يَعـرَى
تُساق إليـهِ من غرائبِ رزقِـهِ ... سحائبُ ، فاضت حولَه دِيَماً غُزرا
كما جَفَت المُزنُ الجِنانَ ، فصَوَّحَتْ ... وجادت ، ولم يأبَهْ لها ، بلداً قفرا
تنوءُ بها الأفهـام ، بدءاً وغايـةً ، ... حياةٌ لها في الغَيبِ أقضيةٌ تُجرَى

* * *

سلُوا الزَّاهدَ الضَّاويْ لُغوباً ، تحدَّرت　　مدامعُه ، لا يطمئِنُّ ولا يَكْرَى
أسِرُّ رهينُ المَحبِسَيْنِ مصيرُه　　أمِ احتَسَب الأُولى ولم يدرِكِ الأخرى ؟

* * *

جرَت بيَ أسبابُ القضاءِ خفيَّةً　　فخِلتُ اختياراً ما يَراه الحِجى جَبرا
وأُعذَلُ ، فيما كان من سوءِ فطرتي ،　　لو اخترتُ كونِي ، ما ارتضَيتُ له خُسرا
وللهِ في كلِ الخلائقِ أمرُه　　وغايتُه، خيراً ، تأثَّرتَ أم شرّا

* * *

أرى عُقلاء القومِ فاضَت صدورُهم　　أسىً ، وأرى الجُهَّال قد مُلِئوا بِشْرا
قَدَحتُ زنادَ العزم في راجح النُّهى　　وناشَدتُه عهدَ الجِهاد ، فما أورى
فأيقنتُ أنَّ العقل أبطأُ مركَبٍ　　إلى غاية تَستعجل الواثبَ البَكرا
وما العقلُ إلا بومةٌ طالَ جُهدُها　　فما نوَّرتْ ليلاً ، ولا أَظلمتْ فَجرا

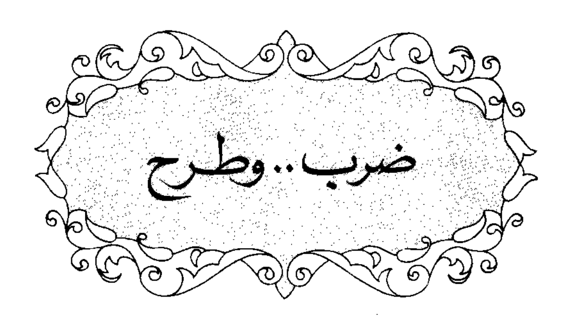
* * *

بَكَينا على الموتى ، وإنَّ حياتنا　　بأدمعِ باكٍ ، في فجائِعها ، أَحْرَى
فليس يُبالي مَيِّتٌ حَلَّ قبرَهُ　　توسَّدَ رملاً جَنبُهُ فيه أو صَخرا
وإنّ الأسى للحيّ عدلٌ ، فما يَني　　يَهيم بِحُلوِ العَيش يَجرَعُه مُرّا

* * *

أصابَ العُلا ، إرثاً ، ولم يَسعَ ، غافلٌ　　فصاغوا له من كلّ مَكرُمَةٍ ذِكْرا
كذاكَ شهودُ الزُّورِ في كل حِقبةٍ　　دَواعرُ ، ما يعرِفنَ صِدقاً ولا طُهرا

* * *



ضرب.. وطرح

أَراحَنــي اللهُ من سُهــدٍ وتَبريــجِ ... منذُ استقرَّ شراعي وانطَوَت رِيحي

فلم يَعُد في وِصالِ الغِيدِ لي وَطَرٌ ... أَمضِي به مُستَطارَ القلبِ والرُّوحِ

وطابَ لَيلِي ، فَلا شَوقٌ يؤَرِّقُنِــي ... إلى حبيبٍ ، ولا دَمعي بِمَسفوحِ

أَنَّى اتَّجهتُ خَلِيَّ البالِ رُحْتُ إلى ... كَوْنٍ فَسيحٍ طَليقِ الأفْقِ مفتــوحِ

أَهيمُ فيــه ، وأَستوحــي مَفاتِنَــه ... مَلاوةَ النَّفسِ في أرجائِــهِ الفِيــحِ

لا القلبُ فيه بمرتــاعٍ على أمَــلٍ ... قضَى ولا الفكرُ عن سَبقٍ بِمَكبُوحِ

فَقُل لِمَن هامَ بالغايــاتِ متَّخِــذاً ... أسبابَهُ من « أحاليل التماسيح » :

لَو رَدَّ مَيْتٌ على حَيٍّ عزيمَتَــــه ... أَغنَت عن الشَّمس أَضواءُ المصابيحِ

عادَ الرَّبيعُ ، فلم تُشرِق بَشاشَتُــه ... على جوانبِ قَلبٍ غيــرِ مَقــروحِ

أَبليتُ في القيدِ عُمْرِي ثائراً قَلِقاً ... فهل أطيقُ جِهــاداً بعــد تَسريحي ؟

طوَى الشَّبابُ علالاتِ المُنى ومَضَى ... فازجُــرْ هَواكَ بقُــدُّوسٍ وسُبُّــوحِ

لقد تركتُ الهَـوى للنَّاعميــنَ بِهِ ... فصُنتُ وجهــيَ عن ذُلٍّ وتجريــحِ

سَرَى بنا اليأسُ في رَمضَاءَ محرِقــةٍ ... تُردِي العزائــمَ بين الأَينِ واللّــوحِ

واليَأسُ أَرْوحُ من آمالِ مُرتَــقِبٍ ... شذا أزاهيرِها من بَعدِ تَصويــحِ

يا راعيَ الضَّأنِ ! قد رَوَّعتَها زَمناً ... بما تأثَّــرتَ من حبسٍ وتَذبيــحِ

فإن تسلَّــلَ من مرعــاكَ نافِرُهــا ... إلى مُرادَيــهِ من أمــنٍ وتَرويــحِ

أتـاكَ ، غيـرَ بعيـدٍ ، صوتُ ثائرهـا — مَوجاً من البَأسِ ، لا يُبقِى على نُوحِ

اَذكت أساكَ الشُّطوطُ الخُرْسُ لو نَطَقَت — وأرَّقتْكَ ميـاهُ النَّهـرِ لَو توحِـي

مضى الزَّمـانُ على مألـوفِ سُنَّتِـهِ — يُذَلِّـلُ القِمَـمَ العَصمـاءَ للسُّوحِ

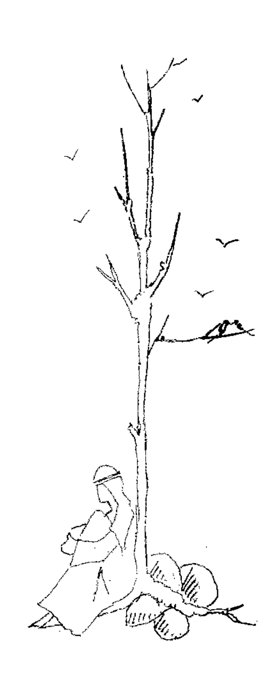
ففِيـمَ يَعتِبُ ذو عقـلٍ على سَفَـهٍ — في مِحنـةٍ سادَ فيها كلُّ مَقبـوحِ

ضاقَت نفـوسٌ بما تُخفِـي ، وإنَّ لها — يومـاً يُهيـبُ بها مُستَنفِـراً : بُوحِـي

متـى يَعِـي مُدَّعِـي الإدراكِ غايَتَـه — وغايَتـي من إشَاراتي وتَلويحِـي ؟

وهـل يُنيـرُ ، لسارٍ ضَلَّ ، مَسلَكَـهُ — شَرارُ زَنـدٍ بجُنحِ اللَّيـلِ مَقـدُوحِ ؟

طَرَحتُ أعبـاءَ عَيشِي غَيـرَ مُتَّئِـدٍ — وظَلَّ ما بِفُؤادِي غيـرَ مَطـروحِ !





فلسفة حائر

يا شُعاعاً ! يَلوحُ في ظُلمَةِ اليأ.........سِ ويَخفَى ، ماذا يُطيق البَصِيصُ ؟

لستَ إلّا وَهماً يُراوِدُ عَينَــــيَّ........وَيَعيَــا بكشفِــهِ التَّشخـيصُ

أو شِراعـاً أَعيَتـه ثائـرةُ المَـــو........جِ ، فَصَدرٌ يَطفُو ، وعَجزٌ يَغوصُ

يَا لَنَا طائِرَينِ رِيعَـا عن الوَكْـــ........ـرِ فَهَاما ، واللَّيـلُ داجٍ عَوِيصُ

فَهُمـا في الظَّـلامِ داعٍ مهـيضٌ لِسَليـــمٍ ، جَناحُـــه مَقصوصُ

* * *

ما أَرى في البَقـــاءِ إلا عُلالا........تِ خيـالٍ ، مآلُهـا التَّنغـــيصُ

والرَّدى صائدُ النُّفوسِ فمـا فَرَّ........كِنـاسٌ منـه ، ولم يَنـجُ عِيصُ

فعـلامَ العَنـاءُ يُضْنِـي المُجِـــدِّ........ينَ ، ويَغْـلاهُ طاعِـمٌ وخَمِـيص ؟

يا لَهـا رحلةً ! بَرانـا بهـا الجَهـــ........ـدُ ، ولكنْ قَد عَزَّ فيها النُّكوصُ !

* * *

يا مجالَ الأفكارِ ! ضِقتُ بها خَطـ........ـواً وئيداً ، فكيفَ كيفَ النَّصيصُ ؟

أيّ عهدٍ هذا الذي غَلَبَت فيـ........ـهِ على الحَـقِّ سِفلـةٌ ولُصوصُ ؟

قال قوم : زمانُنـا دونَ أزمـــا........نٍ تَقَضَّت ، وأَعوَزَ التَّمحيصُ

إنَّما النَّاسُ ، منذُ كانوا ، ضَعيفٌ لِقَـــوِيٍّ ، وقـــانصٌ وقَنِـــيصُ

* * *

يا فَسِيلاً ! قدَ غَصَّ بالماءِ رِيّاً ثَمَّ نخلٌ ، نَصيبُـــهُ مَنقـــوصُ
قد شُغِفنا بالأعينِ النُّجلِ حُبّاً وَسَبَت غيرَنا العُيونُ الخُوصُ
قال لي صاحبي : سَيَصلُح شأنُ النَّـــاسِ ، يوماً ، فهالَنِي التَّخرِيصُ

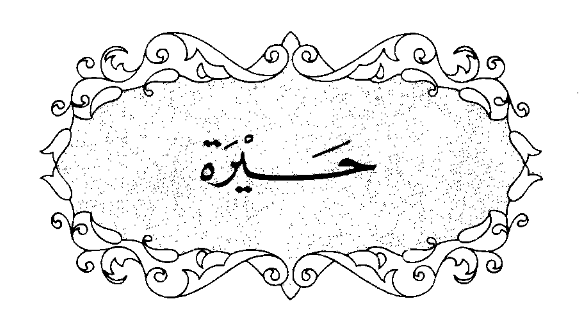
* * *

قَصَّرَتْ من ثيابِها ، فَعَنا المفـــتونُ صمتاً ، وأمسَكَ التَّرخيصُ
جَنِّبينا ، يا تلكَ ، فتنَةَ أعضائِكِ ، فيما يَشِفُّ عنه القَميصُ
حَسبُنا فِتنةُ الأنوثةِ ، شنَّتـــها علينا شِباكُها والشُّصوصُ
شَهِدَ العقلُ أنَّ عَيشَ الخَلِيّيــنَ ، على ما فَقِهتُ ، عَيشٌ رخيصُ

* * *

سألتْ ما هو القضاءُ ؟ فأطرقْـــتُ طويلاً ، أَمَا هَدَتْها النُّصوصُ ؟
وأُراني لو قلتُ شيئاً لأَزرَى بيَ فِيهِ الإسهابُ والتَّلخيصُ
نحنُ ، باللهِ ، ساكِنينَ ومَاضِيــنَ ، فماذا أرواحُنا والشُّخوصُ ؟
أَتُرى ما يُصيبُه المرءُ من دُنْـــياهُ أمراً قد كان عنه مَحيصُ ؟
ما أصابَ القضاءُ منا غَفولاً قبلَ حينٍ ، ولا اتَّقاهُ حَريصُ
أيُّها المرتَجِي خُلوداً على الأرضِ ، تَهَيَّأْ ، فقد دَعَاكَ الشُّخوصُ

* * *



حَيْرَة

عَلامَ بكى الباكُونَ في الحَيِّ هالِكاً ... وكُلُّ وُجودٍ شُعلَةٌ سوف تُطفَأُ

وهل يَعقِلُ المفجوعُ في غَمرةِ الأَسى ... مقالَكَ : إنَّ الصَّبرَ لِلحُزنِ أَدرَأُ؟[1]

ألا رُبَّ شاكٍ من مَساءَةِ يومِهِ ... تَطامَنَ لليومِ الذي هو أَسوَأُ

تَنَبَّأتُ بالأَحداثِ قبلَ وقوعِها ... فما حاطَني مِمّا حَذِرت التَّنَبُّؤُ

يُلامُ أُناسٌ أَثخَنَ القَيظُ فيهِمُو ... ولو وَجَدوا بَرْدَ الظِّلالِ تَفيَّأُوا

أَرى زَبَداً كاللُّجِّ أَعمارَ نابِهٍ ... فَقاقيع ماءٍ ، تَنتهي حيث تَبدَأُ

تُسائِلُني : كيفَ انتهيتَ إلى الرِّضَى ... وما عَلِمَتْ أنَّ العزائمَ تَصدَأُ

أَهَبتُ بعَزمي ، فاستجابَ ، فرَدَّني ... لِسالِفِ أطواري ، حياءٌ ومَبدَأُ

لِأَمرٍ رأى ذُو الرَّأيِ أنَّ حُثالةً ... من النَّاسِ أَقضَى للمُرادِ وأَكفَأُ

تَشَبَّهتُ بالسَّاعينَ عَزماً وأُهْبَةً ... فأَخَّرَني أَنِّي عَجِلتُ وأَبطَأُوا

وثَقَّلتُ من خَطْوي أَناةً وحكمةً ... فقالَ خَلِيٌّ : شَدَّ ما تَتَلكَّأُ

هو الرِّزقُ قد لا يبلغُ القصدَ جاهِدٌ ... مصيبٌ ، ويَلقاهُ ، ولم يَسعَ ، مُخطِئُ

رأيتُ دُروبَ العيشِ شَتَّى لمن وَعَى ... مَسالِكَها ، واحتَرتُ مِن أينَ أَبدأُ

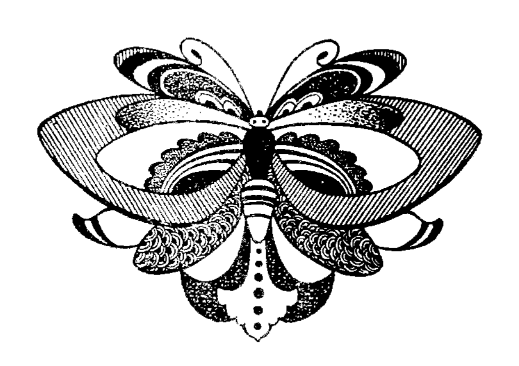
وقد حَظِيَ اللّاهُونَ بالصِّيتِ والغِنَى ... فَشَادوا ، وسادُوا ، وانتَشَوا ، وتَبَوَّأُوا

وعِشتُ ، على ما كان ، طالبَ غايةٍ ... من الوَهمِ ، لا تَنأَى ولا تَتَهَيَّأُ

---

(١) أدرأ : أدفع ، من درأ الشيء إذا دفعه وتوقاه .

تَعبَقــر أُمِّــيٌّ بِنُجــحٍ أصَابَــهُ فراحَ بمَـا أُوتِيـهِ يُفتِــي ويُقْـرِئُ
وأخفَـقَ ذو عِلـمٍ ، فقالـوا : مُضَلّلٌ وقال الحِجَـى : إنَّ الضَّعيـفَ مُرَزَّأُ
طلبتُ شفاءَ الصَّدرِ بالعَتبِ من جَوى ولم أَدرِ أنَّ العَتبَ للجُـرحِ أَنكَــأُ
أرى مِحنَـةً جَرَّاؤُهـا الـذُّلُ والـرَّدَى فَأُومِـنُ أنَّ اليـأسَ للعقـلِ مَرفَـأُ
إذا اضطربَ المِيزانُ في مِحنة النُّهى مَضى بالثَّنــاءِ الجارِمُ المُتَجَــرِّئُ[1]



(١) الجارم : المذنب ، الجاني .



ماذا يريبك ؟

ماذا يَرِيـــــبُكَ مِن مَآلِكْ أَفَغَيـــرَ أنَّ اللَّيـــلَ حالِكْ[1]

الموتُ خاتِمـــةُ المَسيـــرِ ، وإن تعدَّدتِ الـمَسالك

والموتُ ليس هو الفنـــاءَ ، فلا يُقِـرُّ حِجـىً بذلك[2]

كَم ذا هنـــالِكَ من مَساتيرِ السُّرى ؟ كَم ذا هنـــالك !

كَم ذا وراءَ القبـــرِ من شتَّـى المتـاعبِ والمَهـالك !

* * *

ساوى الجَهـولُ بها العَليـمَ : مزاعمٌ عَصَفتْ بِحـالِك

للعقـلِ حُجَّتُـه ، وَلِـلأَوْهَـامِ حُجَّتُهــا ، كذَلك

أَتُـرى الحقيقـةُ في خيـالي كالحقيقـةِ في خيـالِك ؟

أوَّاهُ من لُجَـجِ العقـولِ ! وآهِ من حُجَجِ المَـآلك![3]

قل للــذي نَشَد الحقيـقَةَ كادحاً : ما في حِبالِك ؟

سِرُّ الحقيقــةِ ما جَهِلـتَ فلا تُرَعْ . حالِي كَحَالِك

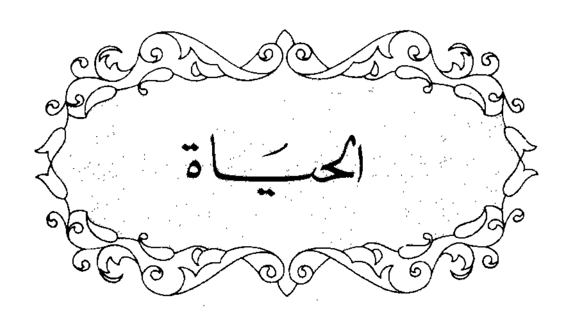
سِيَّـانِ ، في دنيــاكَ ، إن أبصرتَ ، مملـوكٌ ومـالك

لو آثـرَ النَّـاسُ الضَّلالَ لَكـانَ رُشدُكَ في ضَلالِك

(١) المآل : الخاتمة والمصير . حالك : مظلم ، شديد السّواد .

(٢) يُقِرّ : من أقرَّ بمعنى اعترف .

(٣) اللُّجج : مفردها لُجّة وهي معظم البحر وتردّد أمواجه ، وقد تكون بمعنى السَّواد الشديد . المآلك : الرسائل



الحياة

ما رأيتُ الحيـــاةَ إلا عُبابـــاً نحنُ فيه ، على السَّلامةِ ، غَرقَى[1]
رُبَّ ماضٍ لغايـــةٍ لو تَقـــرَّى ما يَليها ، رأى التَّخلُّـــفَ أَبقَـــى[2]

* * *

يا أماني القلوب ، والأنفسُ الحَـــرَّى ، مَضَت تُقَضِّيكِ عَدلاً وحَقّا
لَمَساعِـــي الأحـــرارِ فيكِ حَرِيَّـــاتٌ بِنُجحٍ ، لو كان وَعدُكِ صِدقا

* * *

أَيُّها الكادحُ الذي اتَّخَذَ الوَعـــرَ سبيـــلاً إلى السَّعـــادةِ ! رِفْقـــا
هِيَ وَهْـــمٌ مُجَـــدَّدٌ ، أنتَ منـــه في نِضالٍ ، بهِ تَنـــوءُ ، وتَشقَـــى
وَهْيَ لغزٌ ، تَمضِي الحياةُ ، ولا تَكـــشِفُ عنه الظّنونُ ، خَرقاً ورَتقا[3]
كم سَرَينـــا على سَناهـــا حَيَـــارى نَركَبُ الوَعـرَ والعواصفَ ، خُرقا
وانْتَشَينـــا بها خيـــالاً من الـــرَّاحَةِ أَحنَى مَهـــداً ، وأَنضَرَ أُفقـــا
فإذا نحنُ في كفـــاحٍ مَريـــرٍ بين سَارٍ على الكَـــلالِ ومُلقَـــى

* * *

---

(١) العُباب : الموج المرتفع المصطخب .
(٢) تقرَّى : نظر وتتبّع .
(٣) الخَرق : الشّق والتمزيق . وعكسه : الرَّتق وهو السَّد واللَّحم والإصلاح .

جَلَّ مَن أَلْــزَمَ النفــوسَ دواعِيــــها وأطماعَهــا صِراعــاً وسَبقــا
فكَــأَنَّ الحيــاةَ معركـــةُ الحَـــيِّ أذاقَتـــــهُ ما أَمَضَّ وشَقَّــــى[1]
ثمَّ ضاقَت به مَساعيـــه ، فارتــــاعَ لِمَـــا خلّــفَ الصِّراعُ وأَبقَـــى
من دَواعـي آمالِـهِ ، وَهْـيَ صَرعَـى أو بقايا أحلامِـهِ ، وَهْـي شَرْقَـــى[2]
فتَنــاهَت بِهِ النَّدامَـــةُ ، للجُهــــدِ ، مُذَلّاً ، للحجَــى مُستَرَقّــا
بيـنَ قَيدَيــنِ من مُنًّــى لا تُوَاتِــي وأسارٍ لا يَرتَجـي منــه عِتقــا

* * *

رُحتُ أَستنطِقُ الحكيــمَ عِظــاتٍ من تجاريبِـهِ ، فمـا اسطَاع نُطقَـــا
هل تَرانــــا إلا فقاقيـــــعَ ماءٍ نَثَرَتْهـا الرِّيــاحُ غَربــاً وشرقــا ؟
فوقَ أثباجِ عَيْلَـمٍ صاخِبِ المَــــوْجِ ، رهيبِ الوَجهَينِ ، سَطحاً وعُمقا
تتــلاقى فيــه الأعــاصيرُ والظّلــمَةُ شَقَّت عَصَا الأمــانِ وشَقّـــا

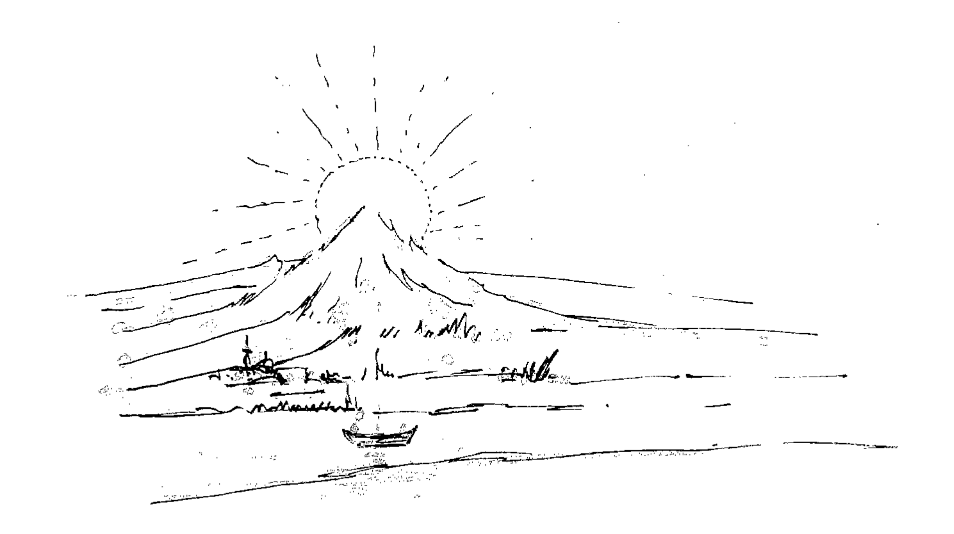
* * *

قُل لِمـن يَبتغــي المَذَلَّـــةَ بالصَّبــرِ عَليها ، قد ارتضَيــتَ الأَشَقّـــا
إنَّمـا الصَّبــرُ - والمَنِيَّـــةُ غَيبٌ - أن تَخوضَ الغِمارَ غيــرَ مُوَقَّـــى
كَم نَجَــا مِن كريهةٍ مُستَمِـــيتٌ وأصابَت سهامُهـا مَن تَوَقَّــــى !
حِكمَـــةٌ أن تُصَانَ بالصَّبر والـــذِّلِّ حيــاةٌ ، لو انَّ حَيّـــاً سَيبقَـــى
غيــــرَ أنَّ البقــاءَ أُحبولَـــةُ الموتِ ، أُقيمَت لنا ، نُسُوراً .. وَوُرقَا[3]

* * *

(١) أَمَضَّ : أوجع وآلَمَ . شَقَّى : أوقع في الشقاء .
(٢) شَرْقَى : من شرق بالماء إذا غصَّ به .
(٣) الوُرْق : جمع ورقاء وهي الحمامة .

شرِبَ النَّـاسُ بالرَّذيلـةِ صَفـواً   وشرِبنـا على الفضيلـةِ رَنْقـا[1]
قال لي صاحبي ، على الفوزِ : مَرْحَى   ولو استشعَر القِلـيِ ، قالَ : سُحْقـا[2]
لا يُسَرَّنَّ حالِـمٌ بِمُنـاهُ   فمَسَارِي الأحـلامِ أَخطَـرُ طُرْقـا
ولقـد يَعجَـلُ السَّليـمُ ، فيَـقضِي   ولقـد يَنـهَضُ السَّقيـمُ ، فَيبقَـى[3]



(١) الرَّنق : الكدر .
(٢) القلى : الهجر من البغض .
(٣) يقضي : يموت .



تأمُّـــلات

أَلا مَن لِقـومٍ صَرَّحُـوا بعدمـا كَنُّـوا … بأَلّا يقـولَ السَّاخِـرونَ بهم : جُنُّوا [1]

عَجِبتُ لِقومٍ صَحَّ في العـدلِ رَأيُهـم … فلمَّا اقتضاه الـمُستَضامُ ، بِهِ ضَنُّـوا [2]

وأَعــجَبُ منهم مُتَّقُــون تَحَنَّثُــوا … طعامُهُـمُ جَشْبٌ ، وأثوابُهـم خُشْنُ [3]

رَجَوناهُـمُ في ظُلمَـةِ الشَّكِّ حُجَّــةً … نَرُدُّ بها الغَاوي ، فقيل : قد استَغنُوا

* * *

رأى الحُسنَ قومٌ ، فاستُطِيروا بسِحرِهِ … وقال حَكيمٌ : ما الغَرامُ ؟ وما الحُسنُ؟ [4]

ومِـن شَهَـواتِ الحَـيِّ نَبـعُ شعـورِهِ … وإنَّ مَساعِينـــا بأَسبابِهـــا رَهـــنُ

أَرانا عَبَدنـا المالَ ، والجاهَ ، واللُّهَـى … فماتَت دَواعي الكِبْرِ فينا . فما نَحنُ؟ [5]

* * *

أيـا جِيرةَ الـوادِي ! نَعِمتُـمْ بِخَيــرِهِ … فقد ضَحِكَت بعدَ العُبوسِ به المُزنُ

وهادَنَـــهُ الإعصارُ بعــــدَ عَداوةٍ … تَهَـدَّمَ في شَعوائِهـا ذلكَ الـحِصنُ [6]

---

(١) كنّى : تكلم بما يستدل به عليه ولم يصرح ، ومنه : الكناية .

(٢) المستضام : المظلوم . ضنّ بالشيء : بخل به .

(٣) تحنَّث : تعبّد . الجَشْب : الطعام الخشن الغليظ بلا إدام .

(٤) استطار : ذُعِر وفَزِع .

(٥) اللُّهى : جمع لُهوة وهي العطية الطيبة .

(٦) شعواء : منتشرة ، متفرقة ، فاشية .

لقد لَعِبَت فيه السُّيوفُ سوافِراً ... وقد جَهِلَت يوماً بِحَومَتِهِ الحُصنُ[1]
أَرى الجودَ خَلَّاقَ المزايا ، وَطَالَمَا ... افترَاها ، ولولا جُودُهُ لم يكن مَعْنُ[2]

* * *

وعَاتِبَةٍ في الصَّبرِ ، قالَت ، فَأَثقلَت ... وقد ساءَ منّي في لَجَاجَتِها الظَّنُّ
أَقولُ لها ، والصَّبرُ يُوهِنُ حُجَّتي ، ... وما حُجَّةُ المغلوبِ ليس له رُكُنُ
تناهضَ بي عقلي إلى ما استَحَثَّه ... ولكنَّه عَزمِي الذي هَدَّهُ الوَهنُ

* * *

عَيِيتُ بأسبابِ الهَوى كيف تُتَّقى ... ومِنْ جُندِها : جُوعُ الغَريزةِ ، والأَفْنُ[3]
ولم أَرَ مثلَ الحُبِّ قَيداً لربِّهِ ... مَسارِيهِ وَعِثَاءٌ ، ومَشرَبُهُ أَجْنُ[4]
ولكنَّهُ راعِي القلوبِ وسَرحُها ... ولكنّها ، مُذ كان ، أَفئِدَةٌ رُعنُ[5]

* * *

تغَنَّى رِفاقي بالمُدامِ وفِعلِها ... ولو عَرَفوا سُوءَ المَغَبَّة ما غَنُّوا[6]
تقول : ابتسِم لِلْباسِمينَ تحيَّةً ... وكيفَ ، وبي مِنهُمُ ، وَلَم أَنتَصِفْ ، ضِغْنُ؟[7]

* * *

---

(١) الحصن : (بضم الحاء) جمع حصان وهو الحيوان المعروف . وبكسر الحاء : المكان الحصين .
(٢) معن : هو معن بن زائدة بن عبد الله من أجواد العرب .
(٣) الأفن : نقص العقل وقلته .
(٤) طريق وعثاء : فيها مشقة وشدة وتعب كثير . الماء الأَجن : الفاسد المتغير الطعم واللون والرائحة .
(٥) سَرْح القلوب : انطلاقها . الرُّعن : جمع أرعن وهو الأهوج .
(٦) سوء المَغَبَّة : سوء العاقبة .
(٧) الضّغن : الحقد الشديد .

سَلُوا صَاحِبي المَخمورَ : ماذا لَوَى به أكأسُ الطِّلا ؟ أم مَن سَقَتْها ؟ أمِ اللَّحنُ؟[١]

تَطَلَّعتُ في اللَّيلِ البَهيمِ بناظِري فعادَ ، وقد أودَى ، بِمَأمَلِهِ الدَّجنُ[٢]

أنحنُ ، وقد نَالَ الجَمادُ كرامةً ، قَطِيعُ سَوامٍ ، لا يُقامُ له وَزنُ؟[٣]

* * *

وَذَكَّرتُ أجيالِي بماضِي عُهودِنا فَهَل ذَكَرُوها بعدَ لأْيٍ ، وهل حَنُّوا؟[٤]

رَعَى الله كَدَّاحِينَ ناداهُمُ الغِنَى وأمكنَهُم نَيلُ المَطالِبِ ، فاستَأْنُوا

* * *

أرامِزُ في قَولي ، فيُخطِئُ صاحِبي مُرادِي ، فأستَخذِي ، ويَغمُرُني الحُزنُ[٥]

ألا قاتَلَ الله الطِّلا كم تلاعَبَت بعَزمِ شُجاعٍ ، فاستَقَرَّ بِهِ الجُبنُ

* * *

فزِعْتُ إلى شِعرِي ، أُوارِي بِهِ الأسَى فقيلَ : أديبٌ ناعمُ البالِ ، يَفْتَنُّ[٦]

ومـا أنـا إلّا ثائرٌ ، فُلَّ سيفُهُ وأسْلَمَهُ الحَامِي ، فَأَثخَنَهُ الطَّعنُ[٧]

لقد عادَ بِي جَهدُ السُّرى نحوَ غايةٍ حَرامٌ على طُلَّابِها العَيشُ والأَمنُ

★ ★ ★

---

(١) الطِّلا : (بكسر الطاء المشددة) اللذة ، أو الخمرة .

(٢) أودى به : ذهب به . الدَّجْن : الغَيْم (السَّواد) .

(٣) السَّوَام : الماشية .

(٤) اللّأْي : المشقة .

(٥) استخذى : خضَع وذَلّ .

(٦) فزعت إلى شعري : لجأت إليه .

(٧) أثخنه الطّعن : كثر عليه وغلبه .



قالوا .. وقلت

قالــوا : ثَقُـلتَ عَنِ الطِّـلَا.........بِ ، فقلتُ : قانونُ التُّرابِ

أَهـدَرتُ جُهـدِي في الصَّغَـا.........ئِرِ ، وَهْـيَ أَحـلامُ الشَّبـابِ

وَمَطَـلتُ نفسي في الكُهُـو.........لَةِ حَقَّها ، وكَفَـفتُ نابِـي[1]

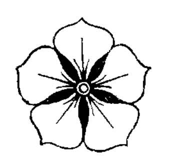
وذَهـبتُ أستسقِـي الـفَضَا.........ئِلَ ، والفضائـلُ كالسَّرابِ

ظمـآنَ بيــنَ الشاربيــ.........ـنَ ، أَخـافُ تَعْتَعَـةَ الشَّرابِ

صِفْـرَ اليَدَيــنِ من الحقيــ.........ـقَةِ ، والحقيقـةُ في وِطَابِـي[2]

أَفَـخُضْتُ معركَـةَ الظَّـلا.........مِ إلى سَنَـى فَجـرٍ كِذَابِ ؟

قُلْ للَّذيــنَ تَلَـمَّسُوا عِلَلَ الإصابَـةِ ، في مُصَابِـي



---

(١) مَطَل : وماطل فلاناً حقه : أجّل موعد وفائه مرة بعد أخرى . كففت نابي : حجزت نفسي عن الطعام المشتهى .

(٢) صِفْر اليدين : خالي اليدين . الوطاب : ما يعدل الحقيبة ، أو هو الوعاء المتخذ لحفظ اللبن وسواه .



مغاني الهوى

مغَاني الهَوى ! ما أنتِ لولا المَآرِبُ ... سِوَى وَشَلٍ ، لا تمتَطِيهِ القَوارِبُ [1]
وهَبْنَاكِ ، ما لم يُوهَبِ الحُسنُ قبلَه ، ... قلائِدَ نُورٍ ، تَشتَهِيها الكواكِبُ
فكان ثَوابُاكِ التَّحَرُّجَ والقِلَى ... وراءَهما وِرْدٌ من الفَضلِ ناضِبُ
كذاكَ يَضيعُ العُرفُ في غيرِ أَهلِهِ ... وتُثمِرُ في لَمْعِ السَّرابِ المَطالِبُ

* * *

مغَانِي الهَوى ! لم تَبقَ للوَهمِ صُورةٌ ... تَميلُ بأحلامِ الهَوى أو تُجاذِبُ
فَفِيمَ تُعانِينَ البقاءَ ، عُلالَةً ، ... وقد صَفِرَتْ من رائِدِيكِ المَلاعِبُ ؟
كِلانَا ، على ما ضَاعَ في تِيهِ وَهْمِهِ ، ... حزينٌ ، تُواسِيهِ الظُّنونُ الكَواذبُ
قطَعْنا سبيلَ العُمْرِ جَهداً وراحةً ... نَرومُ مُنًى ، ضَنَّت بهنَّ العواقبُ
فها نحنُ ، والآمالُ رهنُ مَصيرِها ، ... فُلولٌ ، رَوَتْ مأساتَهُنَّ الغَياهِبُ
مُشيَّعَةً بالصَّمتِ إلّا بَقِيَّةً ... من الدَّمعِ ، لم يَصدَعْ بها الصَّمتَ ناحِبُ [2]
وما حاجةُ الباكي إلى فَضلِ دَمعِه ... على فائِتٍ ، سُدَّت إليه المَذاهِبُ ؟

* * *

---

(١) الوشل : الماء القليل .
(٢) الناحب : الباكي بصوت مسموع .

شَقِينَا بِما قد كان في مَشرِقِ الصِّبا ... فها نَحنُ ، فيما كانَ ، والعُمرُ غارِبُ[1]

مَرامـي نِضالٍ ، طَوَّلَ الأَيْنُ عُمرَها ... فطـالَت بها آصارُنـــا والمَتــاعِبُ[2]

إلى أينَ ؟ لا نَدري ، وقد أُبهِمَ السُّرى ... سِوَى أنَّ وَهْماً في الدُّجُنَّةِ ضارِبُ[3]

وَفِيـمَ ؟ وغايـاتُ المَساعـــي مَوارِدٌ ... تَطيبُ بها للنَّاعِمِيـــنَ الـــمَشَارِبُ

يُهـيبُ بأَنضاءِ العَزائِـــمِ رائِـــدٌ ... وَيُوقِـــظُ أَعـــراقَ المروءةِ نَادِبُ[4]

وحَتَّـامَ ؟ والأيـامُ فاغِـــرَةُ المَـــدَى ... تَنـوءُ بأعبـــاءِ الهَـــوان الغـــوازِبُ؟[5]

وتـقضِي ، بما تَلقَـى ، نفـوسٌ كريمةٌ ... وتُدفَـنُ في ظِلِّ الخُمْـــولِ مَواهِبُ



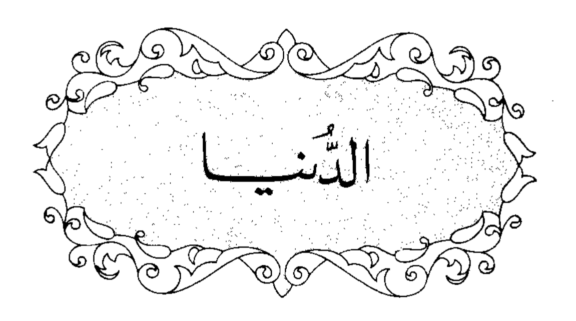
(١) مشرق الصِّبا : مطلعه .

(٢) الآصار : جمع الأصر ومن معانيه : الثّقل ، والذَّنب ، والحبس .

(٣) أبهم السُّرى : أشكل وخفي .

(٤) أنضاء العزائم : القوى المهدودة الخائرة من التعب وشدة الإجهاد . النادب : الداعي ، المنادي .

(٥) الغوارب : جمع غارب وهو الكاهل .



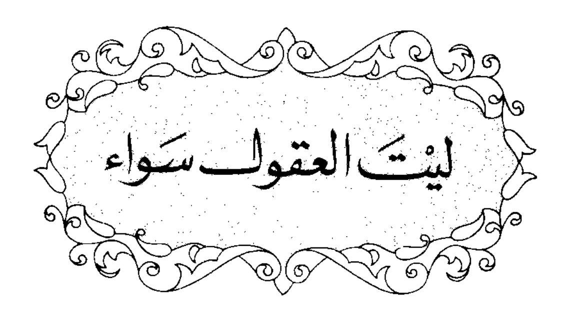
الدُّنيـــا

لِغَايــةِ أَمــرِهِ يَمضِي القَنُــوعُ   ويَعْرَى ، ما تَبَتَّلَ ، أو يَجوعُ

وما الدُّنيا سِوى مَرعىً خَصيبٍ   تَرَدَّدَ في مَراتِعِـــهِ القَطيـــعُ

فمَـــا لِمخَـــيَّبٍ فيها اختيـــارٌ   ولا لِمُظَفَّـــرٍ فيها رُجـــوعُ

أقولُ ، وقد حُرِمتُ ، زَهِدْتُ .كلَّا ،   أَفِي الشَّهَـواتِ يَزهَـدُ مُستطيعُ ؟



ليتَ العقولَ سَواء

كِلا طَرَفَيها في الغُمــوضِ سَواءُ   حيـاةٌ مسَارِبها دُجىً وخَفـــاءُ

إلى أَين ؟ والغاياتُ غيبٌ مُحَجَّبٌ   ومِن أَين ؟ والماضي صَدًى وعَفاءُ

وفِيمَ ؟ ويَنبُـوعُ الخَليقَـةِ واحـدٌ   تمايَـزَتِ الأَضدادُ ، والنُّظَـرَاءُ

هُدًى ، وضَلالاً ، واتّفاقاً ، وفُرقَةً   وخَيراً ، وشَرّاً ، والعُقولُ سَواءُ

* * *



نهايات

عَلَّلتُ عَجزِي بأَنَّهُ الوَرَعُ ... وهل لِمثلِيَ في غَيرِهِ طَمَعُ ؟
آمنتُ باللهِ ، ما كفَرتُ بِهِ ... لكنَّهُ الغَيُّ ، والهَوَى تَبَعُ
مَضَى شبابي ، وما نَعِمتُ بِهِ ... فهل لماضي الأحلامِ مُرتَجَعُ ؟
لَيتَ اللّيالِيَ أعطت بما أَخَذَت ... مِنّيَ عَزْماً يُورِي ويَندَفِعُ
شَقِيتُ بالحسِّ في رَغائِبِهِ ... وكُلُّها نافِرٌ ومُمتَنِعُ
يَرومُ منها مالا يُحقِّقُهُ ... جُهدِي ، وقد عَاقَ خَطوِيَ الظَّلَعُ[1]

* * *

يَصُدُّ عَنّي الحَسناءَ ، إنْ عَشِقَتْ ... بَسْطةَ جِسمِي ، الجَفافُ والصَّلَعُ
لستُ بِشَيخٍ ، لَكِنَّنِي هَرِمٌ ... يُصلِحُ مِن سَمْتِهِ ويَصطَنِعُ
ويَخدَعُ النَّاسَ عن حَقيقَتِهِ ... فهل تَراهُم بفعلِهِ انخَدَعوا ؟

* * *

تقُولُ لي ، والكَرَى يَمِيلُ بِها : ... أنتَ سَمِيري ، والرِّيُّ ، والشّبَعُ
بَلَى ، لقد كُنْتُها ، وقد صَدَقَتْ ... لو كنتُ مِنها بالصِّدقِ أَنتفِعُ
أَقريتُها طَيِّبَ الحديثِ على ... خَيرِ طعامِي ، وَمِلْتُ أَلْتَفِعُ

---

(١) الظَّلَع : العَرَج .

وقُـــــمْتُ عنها عَفَّ الإزارِ على استجابَـــةٍ للحَـــرامِ تَصطَـــرِعُ
ما حالَ بينِـــي وبينَهـــــا نَدَمٌ ولا ثَنَانِـــي تُقـــىً ولا جَزَعُ
لكنَّه العَجزُ ، والرَّخـاوة ، والأَيْــــــنُ ، وداعِي النُّضُوبِ والخَـــرَعُ [1]
هَيْهاتَ ، ما لِلشَّبـــابِ من عِوَضٍ ولـيس بَعـدَ الشَّبـــابِ مُتَّسَعُ
أَرَغْتُ فيــهِ العُـــلا ، فدافَعَنِـــي عنها زمـــانٌ ، سِلاحُـــهُ خَدِعُ
وهِـــمْتُ بالخيـــرِ ، واتَّصفتُ به فمـــا اقتفانِـــي في الخيـــرِ مُتَّبِـــعُ
وارحمةً للنّفـــوسِ ، أَرْخَصَهـــا هوانُهـــا للقَـــوِيِّ والـــجَشَعُ
وَضَيْعَـــةً للعقـــولِ في زَمـــنٍ قد أَوْهَنَتـــه الآثامُ والبِـــدَعُ

* * *

طالَ علـــيَّ السُّرى براحلـــــةٍ عَشْواءَ ، أَقْفُـو المُنـى وأنتجِـعُ
ونـــاءَ بِي الأَينُ في مَسالِكِهـــا صحراءَ يَخْشَى ظلامَهـا السَّبُـعُ
أَركَبُ فيها الوُعـــورَ مُخْتَبطـــاً ومِـلءُ نفسي الكَـــلالُ والهَلَـــعُ
ماذا أَرى من حقيقتـــي ؟ أَسِوَى أنّـــيَ .. شَيءٌ يَهْـوِي وَيرتَفِـــعُ
كَفَّنْتُ ماضِيَّ ، وانتظـرتُ سُدًى مُستَقبَلي ، فاستشاطنـــي الجَـــزَعُ
قالـوا : تعجَّلتَ ، فاتَّئِـــدْ ، فمضى بالنُّجـحِ – راعَ العشيرَ – مُندَفِـعُ
ونِـــمْتُ عن غايـــةٍ أَطَـــلْتُ بها سُهدي ، سُدىً ، والرَّجـاءُ منقَطِـعُ
فصاحَ بي الـــوَادِعُ المنعَـــمُ : أَبْــــــطأتَ ، فهَلّا عَجِـلتَ يا لُكَـــعُ [2]

* * *

(١) الخَرَع : اللّين والاسترخاء .
(٢) لُكَع : لئيم ، أحمق ، العَيّ .

أغرقْتُ جُهدي في السَّعي ملتَمِساً ... غايـــــــــةَ حُرٍّ بالحقِّ يَدَّرِعُ

فلــم أَرَ الحقَّ غيـــرَ مَهزلــــةٍ ... فيما احتذى الأقوياءُ ، أو شرَعوا

والعيش سوقاً ، تُبــاع حاضرهـا ... كما تُبــاعُ العُــروضُ والسِّلَـــعُ

الآدميّـــــونَ والكـــــلابُ بها ... سِيَّـــانِ ، إمـــا ألاحَ مُنْتَفِـــعُ

مازال يَرجـو الإنصافَ مُضْطَهَـدٌ ... ويستَـــــدِرُّ الحنــــانَ منصدِعُ

إنْ كانَ حكّامُهـمْ دَهاقِنَـــةَ السُّــوقِ ، فَمَـن بالـقضاءِ يَضطَلِـعُ؟[1]

العـــدلُ في الأرضِ سيرةٌ ذَهَـــبتْ ... والـرَّأيُ في أمـرِ أهلِـهِ شِيَــعُ

يا سائِلي عن فضائـــــلٍ مُدحَت ... أهْـي خيــالٌ يُروَى ويُبْتَـــدَعُ ؟

لا رَأْيَ عنـدِيَ فيها ، فلستُ أرى ... في الأرض ظِلّاً لَهَــا ، فأقتنـــعُ

فليت شِعْرِي ! هل صاغَ من قِدَمٍ ... أسماءَهـــا في اللّغــات مُختَــرِعُ ؟

قُلْ للخَلِيّيــنَ : ما وراءَكُمُــــو ؟ ... فقــد عَدَتْنــا الآمالُ والمُتَــعُ

أهَــبْتُ بالغافـــلين أُنذِرُهــــم ... من سوءِ أطماعِهـم ، فما رَجَعوا

لَهفِــي على الجائــعين نازَعَهـــم ... أقواتَهــم بالنفــوذِ مَنْ شَبِعـــوا

« سائـلْ ملوكـــاً هَذِي مقابِرُهـــم ... هل استقالـوا المصيرَ أو دَفَعُــوا » ؟

* * *

ناديتُ قومـــي وراءَ حاجــــرَةٍ ... فرَدَّ رَجْـعُ الصَّدَى : لقـد هَجَعوا[2]

يا فتيـةً ! عاقَــروا الطِّـلا سَحَــراً ... أثَــمَّ فيكُــمُ للــنُّصحِ مُستَمِــعُ

في الغَيْطِ ساعُونَ ينزِعــون طَوًى ... وأنتمــو تحرُثــون ما زرعـــوا[3]

---

(١) الدَّهاقنة : جمع دُهقان وهو التاجر الخبير .

(٢) الحاجرة : المنخفض من الأرض .

(٣) الغَيْط : المطمئن من الأرض ، الحقل .

هلّا ادَّرَأْتُــــم عن رَأي أعــــينهم   فكلُّهـــــم ناظـــــرٌ ومستمِـــــعُ

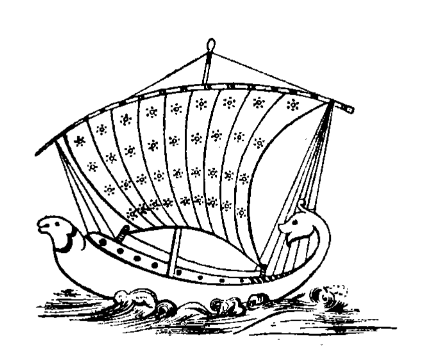
كم أوهَـــنَ الـــفسقُ قبلَنـــا أُممَـــاً   فَانحَلَّ ما وثَّقــوا ومــا جَمَعــوا

لو عرَفَ المترَفُــــون غايَتَهـــــم   لأفـــزَعَ المتـــرَفِين ما صَنَعـــوا

هل للحَزانَـــى بعيشهِـــم فَرَحٌ ؟   بما أُصيبــوا فيــه ومــا فُجِعــوا ؟

مَرحَـى لقــومٍ أَصغَت ضمائِرُهـــم   إلى نذيـــرِ القُـــرآنِ ، فارتَدَعـــوا

قلْ للدُّجـــى : أطبـــقَت غياهِبُـــه   على أنـــاسٍ : هل أنتَ منـــقشِعُ ؟





رُؤَى

أَلا حَبَّذا كأسُ المُدامَةِ لو تُسْلِي ولـو كان في تَيَّارِهـا عَطَبُ العَقْـلِ

شَرِبتُ بها الآلامَ ، حيـنَ شَرِبتُهـا ، رُؤًى ذِكرياتٍ ، لا تَطيبُ لِمُستَجلِي

رُؤًى داميـاتٍ عَبْـرَ ماضٍ مُحـزِّن فقَـدتُ بهِ وُدَّ الأَحبَّـةِ والأَهلِ

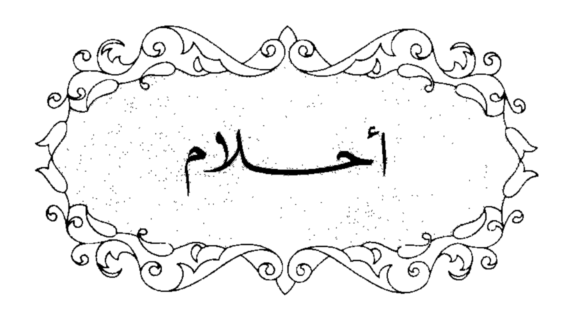
رُؤًى ، لم تَزل تَأْوِي إلـيَّ كما أَوَت إلى مَضجَعِي ، والعيشُ متَّصلُ الشَّملِ

تُعَـاتِبُ فيمـا كانَ أَو تَستَعيـدُهُ أَبعدَ الذي عانيتَ مِن رِحلةِ الجَهلِ ؟

وَهَيهاتَ أن يَنسَى مآتِـمَ عُمـرِهِ شَقِيٌّ ، تُقَاضِي الطُّهْرَ معركةُ الوَحلِ

مَسَاعٍ تَقَضَّت بالشَّبابِ ، وَأَعقَبَتْ جرائرَ ، أَوهَى عبئُها كاهِلَ الكَهلِ





أحلام

ومضَيْنا ننشُدُ الحقَّ فأَوْهانا الطِّلابْ

رحلةً كانت على غيرِ هُدى منّا إلى غيرِ مَآبْ

وطَوانا ثَبَجُ اليأسِ ضَباباً في ضَبَابْ

أينَ ما مَنَّيتَنا مِن خِدَعٍ ، والعُمرُ رَيَّانُ الإهابْ ؟

الهَوَى الطَّاهرُ والمجدُ وآمالُ الشَّبابْ ؟

أَتُراها ، لم تكن من صَنعَةِ الوَهمِ سِوى لَمعِ سَرابْ ؟

شَدَّ ما أَزرَىٰ بِنا الجهلُ على الأَينِ وأوهامُ الشّرابْ !





أبـيس [1]

« هذه القصيدة الطَّويلةُ بدأها الشَّاعرُ بمناجاة الحُبّ والحَبيب ، ثم تطرَّق إلى ما تعوَّدناه في شعرِه الوُجداني من محاولةِ الكشفِ عن الأضداد في الحياة .

وكانَ الشَّاعر يُقيمُ في مِصر فإذا أحداثِ الحياة السّياسيّة تَطغَى على مناجاة الحُبّ والمحبوب ، وإذا القصيدة تسجيلٌ لواقعٍ عاشَته مِصر العزيزةُ في ذلك الزَّمان ، وإذا حنينُ الشَّاعر إلى مَكَّة (مَسقَط رأسِه) يتجَلّى كأحسنَ ما يكونُ التَّجلِّي » .

ما اصطِباري على الأَسَى وثَوائِـي ... ونِدائِـي مَن لا يُجِـيب نِدَائي؟[2]

جمَدَ الدَّمـعُ في مَآقِـيَّ يا حُبُّ ... وقَـرَّ اللَّهـيبُ في أَحشائي

عُدتُ مِن غُربتي إلى اللَّيلِ والفَجـ ... ـرِ لِكَي يَسمَعا تَرانيمَ نائِـي

ضِعتُ في تِيهِكَ المُحيِّـرِ يا حُبُّ ... تَمَـزَّقتُ في أسَى بَلـوائي

وتسَاءَلتُ في نعيـمِكَ : كَم أَشـ ... ـقَى ! وكَم أَرعَوي بِغَيرِ رِضاءِ !

كَم أَرُوضُ الإِباءَ فيكَ على الصَّبـ ... ـرِ وأُغضِي على جراحِ إبـائي !

كَم أُلاقي العَـذابَ منكَ ، ولا أَشـ ... ـكو ، وأَلقاكَ بالهَوَى والـوَلاءِ !

---

(١) أَبيس : عجل ذو صفات خاصة ، جعله المصريون القدماء رمزاً للقوة الحيوانية ، وقدسوه . وهو في هذه القصيدة رمز لحاكم معيَّن

(٢) الثَّواء : الإقامة .

كَم أَخوضُ الأحزانَ راكبَ تِيــهٍ   ضَلَّ في لا نِهايـــــــةٍ سوداءِ !

يا دُروبَ الهَـوَى ! تَغَطَّيتِ بالـوَرْ........دِ على الشَّوْكِ ، غَارقـاً في الدِّمـاءِ !

الضَّحايـا مِن تَحتِـهِ مُهَـجٌ حَرَّ........ىٰ ، ومِـن فَوقِـه رُؤًى شُعـراءِ

هكذا أنتِ ، والمحبُّون ، من قَبْـ........ـلُ ، فَراشٌ مُسَيَّـر للفَنـاءِ

رِحلـةٌ تُثمِـرُ اللُّغـوبَ وخَيـطٌ   من حَريـرٍ ، يقتادُنـا للشَّقـاءِ

وشُجـــونٌ لا تَنتهي .. وصِراعٌ   يَسْحَـقُ الصَّبـرَ دائـمُ الغُلَـواءِ[1]

الحِجَـى فيـهِ حائـرٌ في ظلامٍ   والأمـــــاني مَوْءُودَةُ الأَصداءِ

والخَيـالاتُ في دُجـاهُ شُمـو........عٌ ، ثَرَّةُ الدَّمـعِ ، ذابلاتُ الضِّياءِ

والأَسَى فيـه للجـراحِ يُغَنّـي   عَبرَ تِيـهٍ ، مُحْلَـوْلِكِ الأَرجـاءِ

يَنشُدُ الفجـرَ ، وَهْـو ناءٍ غريبٌ   ضائعٌ ، مثلَـه ، شهيـد الدُّعـاءِ

أَلِهذا تَشقَـى النُّفـوسُ بما تَهـ........ـوَىٰ ، وتَكبُـو الغاياتُ بالعُقَـلاءِ ؟

ويَهيـمُ الخيـالُ في ظُلمـةِ الحَيْـ........ـرَةِ يَسرِي على بَصيصِ الرَّجـاءِ ؟

وتَفيضُ القلـوبُ ، مُنطَوِيَـاتٍ ،   بِجـراحِ الأَسى على البُرَحـاءِ[2]

* * *

يا بَريقَ السَّرابِ ! أَسرفتَ في الجَوْ........رِ وأَثخـنتَ في قلـوبِ الظِّمـاءِ !

أنتَ ، أنتَ الهَوى دنُـوّاً وبُعـداً   في تَصاريـفِ غَدرِهِ والوَفـاءِ !

ووعـودُ الهَـوى أَجَـلُّ عطايـا........هُ ، فهل يَرخُص الهَوى بالعَطـاءِ ؟

وعـذابُ الحِرمـانِ صَوَّرَ للعَـا........شِقِ أَنَّ الهَـوى زِمـامُ الشِّفـاءِ

---

(١) الغُلَواء : الغلوّ ، شدة المبالغة .

(٢) البُرَحاء : الشدة ، العذاب الشديد .

غيرَ أنَّ الهَوَى يَحُولُ ويَذوِي كالرُّؤَى والزُّهور والأَنداءِ
إنَّها قصَّةُ الهَوى وأمانيه رَبيعاً مهَدَّداً بانطِواءِ
قصَّةُ الذِّكرياتِ في لُجَّةِ العَيشِ ، شِراعاً ، يَهيمُ في الظَّلماءِ
إنَّها مِن قلوبنا خفقَاتٌ عاثراتٌ تَشَبَّثَتْ بالبقاءِ
إنَّها وَقدةُ الشَّبابِ ، ومَقدورُ خُطاه في دَعوة الأهْواءِ
ومَرايا أحلامِه ، يَجتلِي فيها خفايا هُيامِهِ ، بالهناءِ
وَهْي دُوَّامةُ الحياةِ ومَجراها ، تَلُفُّ الأمواتَ بالأَحياءِ
وَهْيَ ، ما كان ، منذُ أشرقَتِ الشَّمْسُ على الكونِ في سُطور القضاءِ
ما استراحَ الإنسانُ فيها من الجَهدِ ولا انفَكَّ من قُيودِ البلاءِ
قصَّةٌ ما لها خِتامٌ سِوى المَوْتِ ، مُصاباً ، لا يَنتهي لِعَزاء
والرَّدَى كالهَوى ، يُصيبُ ، ولا يُخْطِئُ مَرماهُ ، مَوعداً ، للِّقاءِ
ما تَوَقّاه دَالِفٌ في أَديمِ الأرضِ يَسري ، أو سابحٌ في الفضاءِ[1]
جَلَّ مَن قَدَّرَ الرَّدَى وقَضَاهُ غَايَةً في الضِّعافِ والأَقوياءِ
مثلَما قدَّرَ الحياةَ وأجْراها مجالاً لكلِّ دانٍ .. ونَاءِ
وجَلَاها للنَّاظرينَ جَمالاً وخيالاً جَمًّا ، وفَيضَ ثراءِ
وأَقام الأضداد جَزْراً ومَدّاً تتحدَّى جهالةَ الحكماءِ
فاتِّساقُ الحياةِ ، سَلباً وإيجاباً ، سبيلُ اطِّرادِها والنَّماءِ

* * *

يا نَعيمَ الهَوى ! كرهتُكَ وِرداً ووُروداً مُمَوَّهاتِ الطِّلاءِ

---

(١) الدالف : المتئد في مشيه من العجز أو ثقل الحمل .

وسُعـاراً يَهيـمُ بالـدَّمِ واللَّحـــمِ ، ونـاراً تقتـاتُ بالأَشلاءِ[1]
كلُّ صفـوٍ يُمَـلُّ ، ما لم تُداخِلْـــهُ دواعٍ من الأَسى والعَنـاءِ
وحياةُ الخَلِيِّ ، مِن وَصَبِ الدّنْـيـا ، حيـاةٌ خليقـةٌ بالرِّثـاءِ
رُبَّ أَمنٍ يعيش ، في ظلِّه ، السَّـرحُ مثـلَ البهيمـةِ العَجمـاءِ
وصِعَابٍ ، تَخوضها عَزمـةُ الطَّـمِحِ ، أَعطتـه شارةَ العُظمـاءِ
وتَهونُ الغاياتُ ، حبّاً وبغضاً ، في ظِلال الهَوى ، ولينِ الرَّخـاءِ
حبَّذا الوعـرُ والعِثـارُ ، وأخطـارُ اللّيـالي .. سُرىً على الوَعثَـاءِ
ودُروبـاً لا تَنتهي ، وعذابـاً تتحـدّاهما خُطـى التُّـعساءِ
عازفـاتٍ عن الهَـوى ومغانيـهِ ، هُيامـاً بالواحـةِ الخضراءِ
حيث يَسمو الجَمال بالطُّهر والصِّدْقِ إلى قِمَّـةِ الوفـا والحَيـاءِ
حيثُ لا تَرتـدي الصَّداقـةُ أثـواباً بِلونَـيْ خِداعِهـا والرِّيـاءِ
حيث لا يَطعـنُ الرَّفيـقُ رفيقـاً بين دَعـوى تَقـواهُ والإغـواءِ
حيث تَجفُو النُّفوسُ كلَّ الحَقاراتِ لِتَحيـا بصفحـةٍ بيضاءِ
لا كما تَسرحُ السَّوائـمُ في المَـرعى على فَضلِ عُشْبِهـا والمَـاءِ[2]
في قيـودٍ من عيشِهـا ودواعيـهِ وأمـنٍ من جهلهـا والغَبـاءِ
حيث لا تُنصَبُ الشِّعاراتُ زَيفـاً وفُجوراً يُروَى ومَـحضَ افتـراءِ
حيث لا تُمسَخُ الـنُّسورُ خفافيـشَ ، هَوَت فوقَ أَرجلِ الزُّعماءِ
حيث تَبقَى الصَّلاةُ تَقوَى وطُهراً لا فِخاخـاً لِلبيـعِ أو للشِّراءِ

---

(١) السُّعار : شدة الجوع أو العطش ، ومن معانيه الجنون .
(٢) الفَضل : - هنا - بقية الشيء .

حيث لا يَجبُنُ الشُّجاعُ لما يَخـــ.........ـشَاهُ من سامـــــعٍ يَشِي أو رَائي[1]
حيث يلقَى الرَّبيــعُ أعيــادَه فيـــ.........ـهـا جِنانـــاً طليقـةَ الأمـــداءِ
حيث لا تَخضَعُ الحياةُ لِغيـرِ الـــ.........ـلَّـهِ ، ربِّ البــأساءِ والنَّعمـــاءِ
حيث ما كان أو يكـونُ سِوى الحقِّ.........وصوتِ الهُـدى ووَحـــيِ السَّمـــاءِ
ربَّمـــا تَصدُقُ المساعـــي فتنجـــا.........بُ غيـــومُ الأَسى عن الشُّرفـــاءِ
لم تَهِـــن عزمـــةٌ يسانِدُهـــا الإصـ.........ـرارُ لم يُلـــقِ رايـــةَ الكِبريـــاءِ
وتَـؤوبُ الأَوطـارُ بعـدَ نِدادٍ ويَعـودُ الرَّبيـعُ بَعـدَ انـقضاءِ[2]
وكذا كلُّ ليلةٍ تَلِـدُ الفجـــ.........ـرَ ، فَيلوي بالظُّلمةِ الدَّكناءِ
وقُطــوبُ الغيـــومِ بَشَّر بالغيــــ.........ـثِ ابتساماً في البقعـةِ الجَـرداءِ
ربَّ دانٍ نَأَى ، ونـــاءٍ تدانَـــى رَهْـــنُ قَيدَيـــنِ ، صُبحِـــهِ والمساءِ

* * *

يا سُطوراً ! كتبتِها بِدَمِي الحُـــرِّ.........أَنِيـــرِي جوانبَ الصَّحـــــراءِ
وابعَثِي في رِمالِهـــا اللَّـــهبَ الثَّـــا.........وِيَ عَهـــداً يَفـــورُ بالأَنواءِ
عهـدَ عَمْـرٍو يُحيطُ بالنِّيـلِ بَحـــراً نَبويّــــاً سَرَى بِنـــــورِ ذُكاءِ[3]
واعبُـــرِي في جيـادِه تِيــهَ سِينــا.........ءَ لِواءً يُزرِي بكــــــلِّ لواءِ
وانشُري في مواطِنِ العَــرَب الـــلَّا.........هيـــنَ ناراً مَكِّيَّـــةَ الـــلَّألاءِ
لِتَـــقُصّي عَهـــدَ العباقـــرةِ السُّمْـــ.........ـرِ كتابـــاً يَفـــيضُ بالأَنبـــاءِ

---

(١) يَشِي : من وَشَى إذا نمَّ وسعى بالشر . الرائي : (هنا) الجاسوس الخبيث .
(٢) الأوطار : الحاجات ، الغايات . النّداد : النفور ، الشرود .
(٣) عمرو : هو عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، فاتح مصر ، وحاكمها الإسلامي الأول .
ذُكاء : اسم من أسماء الشمس .

وأعيدِي تاريخَ مكَّةَ ، في الآفاقِ ، فتحاً يَسِحُّ بالآلاءِ
لا هُراءً ، يُديرُه فَمُ مُلْقيهِ على الهاتِفينَ والأُجَراءِ
اِستَخفَّتهُمو الرُّؤى والأمانيُّ بيومٍ يأتي وفيرِ الغِذاءِ
كالبراغيثِ ساقَها الجوعُ والبَرْدُ ، وعاشَت على دمِ الغُرَباءِ
إيهِ ! يا وَحدةً تبشِّر بالخيرِ براغيثَها ، خُذِي بالإناءِ
وآملأيهِ دَماً ، من الجارِ والصَّاحِبِ ، باسمِ اشتراكهم في الإخاءِ
واضرِبي بالدُّفوفِ ، في حَلَقات الذِّكرِ رقصاً ، وبَرِّزي في الدَّهاءِ
ما يَزال الخِداعُ مِيسَمَكِ البارِزَ بين الصِّحابِ والأعداء
فاركَبي الرِّجسَ من طباعِكِ يَمّاً والبَسِي للرِّياءِ أَلفَ رِداءِ
لن تَسودِي ، ولن تقُودي سوى تلكَ البراغيثَ تحتَ كلِّ ادِّعاءِ
وستقضِي الأيامُ فيكِ وفيها ما قَضَتهُ في راكبِ العَشواءِ [(١)]
فالقوانينُ لا تُجير ولن ترْحَمَ مَن غاصَ في دَمِ الأبرياءِ
ومَن استعبدَ الرِّقابَ فأجراها على حُكمِه بدعوى البناءِ
إن لِلَّهِ غَيْرَةً وانتقاماً عصَفا بالطُّغاة ، للضُّعفاءِ
عَمِيَ الظَّالمون عن سُبُلِ الحَقِّ فَهاموا في الفِتنةِ العَمياءِ
والمَصيرُ المحتومُ يَزحفُ في صَمتٍ ، لأعناقِهم ، بِشَرِّ الجَزاءِ
مِحَنُ الدَّهر تَنقضِي ، والضَّلالاتُ تُوَلِّي ، والموتُ للجبناءِ
يا سطوراً كتبتُها بدمِ القلبِ ! أَهيبِي بساكني البطحاءِ [(٢)]

---

(١) العشواء : مؤنث أعشى ، وهو الذي ضعف بصره ، ويتخبط في طريقه على غير هدى .
(٢) البطحاء : الأرض المستوية ، ويراد بها هنا : مكة المكرمة .

واستفِزّي جبالَها السُّمرَ ، ترتَــدُّ ....بإرثِ الآباءِ للأبنـــــــــــاءِ
من هنـــا رايـــةُ العدالـــةِ رَفَّت   وأنــــارت جوانبَ الـــغبراءِ[1]
رُبَّ حرفٍ دعـــا ، فلبَّتْـه أعـــرا........قُ المروءاتِ لَظَـــى الهَيجـــاءِ

* * *

يا خيامَ الصَّحراءِ ! قد بَلَغ الصَّمـ........ـتُ مَداه على أُذى الغَوغـــاءِ
فاركبي ، واضربِي ، على طولِ مَسرا........كِ ، فلـولَ الخَيـال والخُيَــلاءِ
الفُلـــولَ التـــي يُسَيِّرهـــا ثَوْ........رٌ بسَوطِ الزَّعامـــةِ الجَوفـــاءِ
صارَ معبودَهـــا ، كما كانَ من قَبـ........ـلُ ، وقد خار مُمعِناً في الهُـراءِ
وتحدَّى بالظِّلف والقَــرْن والذَّيـ........ـلِ « وقد هَاجَ » قُدرةَ القُــدَرَاءِ
مستَخِفّاً بالإنسِ والجِــنّ ، بالعـا........لَمِ طُرّاً بِرَفـــرَفِ الجَـــوزاءِ
ماضِيـــاً في خُواره يُنــذِر الدُّنـ........ـيـــا بوَيـــلاتِ بَأسِه الـــعَسراءِ
فاختفِي يا نجومُ ! قد أقبلَ العِجـ........ـلُ ، إلَهُ الكُهَّـــانِ ... والعُرَفـــاءِ
الـــذي صَيَّـــر الخيانـــةَ والغَـ........ـدرَ شِعـــاراً لِعهـــدِه الـــوضَّاءِ
والـــذي نازَعَ الرَّغيـــفَ رعايـــا........هُ ، فضاقـــوا بِصَيفِهـــم والشِّتـــاءِ
غاصبـــاً مِن حقـــولهم ثمَرَ الكـ........ـدحِ رُكامـــاً ، أحالـــه كالهَبـــاءِ
فاذهبِي يا ريـاحُ ! بالحَـرثِ والنَّسـ........ـلِ ، وعُــودي بالأَينِ والثُّؤبـــاءِ[2]
وانسَخِي آيةَ الحِقارِ ، وطُوفِي بالعَوادي ... بالرَّاية الحمـراءِ[3]

---

(١) الغبراء : الأرض ، الدنيا .
(٢) الحرث والنَّسْل : الزرع والناس . الثُّؤباء : التثاؤب وهو حركة للفم غير إرادية ، من كسل أو نعاس .
(٣) الحِقار : جمع حقير ، وهو المستهان به . العوادي : الخيل المغيرة .

واطَرَحي للحياةِ ألفَ سؤالٍ ... عن أبيسٍ وسَيرِهِ للوراءِ

يا ألوهيَّةَ العُجولِ ! أفيقي ... من خُمارِ الجنونِ والصَّهباءِ

لم تَضِق رقعةُ الخيالِ بعجلٍ ... سامَ عُبّادَهُ حياةَ الإماءِ

سارِياً في هَشيمِهمْ سَرَيانَ الـ ... ـنّارِ ، تَذْروهُمُو سُدىً في الهواءِ

يا عقولاً تألَّهَ العِجلُ فيها ... أيُّ قَرنَيهِ مُؤْذِنٌ بالعَفاءِ !

للبرايا من كلِّ جنسٍ ولونٍ ... لم تَلِن للدِّيانةِ النَّكراءِ

يا عقولاً تمكَّنَ الضَّعفُ منها ... فاستَكانَتْ لِلَّحظةِ الخَرقاءِ !

عشِيَت هذهِ العقولُ وهانَت ... فاستعارت تَلَوُّنَ الحِرباءِ

ليس يُلحَى عِجلٌ ، يَخورُ ، فيُلقِى ... بينَ عُبّادِهِ ، بآيِ الثَّناءِ [1]

كلماتٌ من الرَّحيقِ المصفَّى ... عَتَّقتها يدا أبي البُلغاءِ

جَلَّ ، يا ثورُ ! مَن بَراكَ وناجا ... كَ على الطُّورِ في ليالي الجَلاءِ [2]

أيُّها السَّابحونَ في لُجَجِ الوَهْـ ... ـمِ ! أفيقوا من غَمرةِ الإغفاءِ

وضَعُوا العِجلَ حيث يَكدَحُ في الغَيْـ ... ـطِ ، ذليلَ القَرنَينِ في استخذاءِ [3]

حيث يَشقى ، كيلا يَجوعَ ويَظما ، ... في صفوفِ الأَشباهِ والنُّظَراءِ

حيث لا تَعبُدُ العجولُ إلهاً ... من ذواتِ الأَظلافِ في الأهراءِ [4]

* * *

(١) لحا : يلحو : لام وعذل ، ولحا الله فلاناً : قَبَّحه ولَعَنه .

(٢) برأ : خَلَق ، تقول : برأ الله الخلق ، وبراك : خلقك (وسُهّلت الهمزة) . الطُّور : الجبلِ (وأضيف في القرآن الكريم أحياناً إلى سيناء) . الجَلاء : الخروج عن الوطن بعد الإقامة فيه – ولَعله يقصد هنا جلاء الإنكليز عن مصر – .

(٣) الغيط : الأرض المطمئنة ، الحقل .

(٤) الأظلاف : جمع ظِلْف وهو الظفر المشقوق للبقرة والشاة والظبي ونحوها . الأهراء : جمع الهُرْي وهو موضع كبير ضخم تجمع فيه الحبوب وتحفظ .

لَيتَ شِعْري ! ماذا دها النّيلَ في النّا......سِ ؟؟ أُصيبـوا بأقتـلِ الأدواءِ

حينما أَلَّهـوا أَبـيسَ ، فأَصْلا......هُمْ جحيماً .. مُستشرِياً كالوَباءِ

يتَـردَّونَ في الحيـاةِ إلى القـا......ع ، وَهُم قبلَه ، دعـاةُ العَـلاءِ

فاشرَقي يا عيـونُ بالدَّمـع للنيِّـ......لِ ! مُصابـاً بالمحنـةِ الخرساءِ

حيث تَبدو الأقلامُ والفنُّ والفكـ......رُ ظلالاً عديمةَ الإيحاءِ

حيث يَسرِي الشُّحوبُ في كلِّ شيء يَتَغَطَّـى بالرَّمـزِ .. والإيماءِ

حيث غَطَّ التّاريـخُ في شاطِئَيـهِ نائمـاً عن مَصيره .. والنّـداءِ

عن أَبيسٍ .. وعن عِبَـادِ أبـيسٍ وضحايـا السِّيـاسةِ الحَـوْلاءِ

يا زمانَ العُجولِ ! أسرفتَ في الوَعـ......ـدِ ، فَمَرحَـى للهـادم البَنَّـاءِ

يا زمانَ العُجولِ ! أمطرتَ دنيا......كَ ، فأغرقتَهـا بهذا السَّخـاءِ

فركبْنـا طُوفانَهـا نضرِبُ الما......ءَ ، صِراعـاً ، يَمضي بعـدَ انتهاءِ

كَذَب السَّامِريُّ ، ما كنتَ ، يا عجـ......ـلُ ، سِوى فتنـةٍ بغيـرِ كِساءِ[1]

ضَلَّ فيها لاهٍ ، وصَدَّقَ أَعمـى وتَسَلَّـى بها ذَوُو الآراءِ

وتصَدّى لها بسخريـةِ الها......زِئِ ذو العلم والحِجا والـذّكاءِ

كيف لا تُعْبَدُ العجولُ ؟ وما تُخـ......ـلَقُ إلا للذَّبـحِ والإقتنـاءِ

بينما تَبلُغُ الجيـادُ ذرى السَّبْـ......ـقِ تَلِجُّ العُجـولُ في الإبطـاءِ

وكـذا أنتَ ، يا أبيسُ ! ثقيلُ الـ......ـخَطوِ ، فيما ابتدعتَ من أخطاءِ

الخُـوار الطَّويـلُ آيـتُك الكُبـ......ـرَى ، تُناجِـي بها هَوى الـدَّهماءِ

---

(١) السّامِريّ : رجل من بني إسرائيل صنع في أيام موسى عليه السلام عجلاً من ذهب ، ودعا قومه إلى عبادته (والقصة مفصلة موجودة في سورة طه من القرآن الكريم) .

الجيـاعَ الذيـن قد رُزِئـوا فِيــــ.........ـكَ ، وعاشوا على الطَّوى والعَراءِ

أنتَ أكذوبــةُ الزَّمـــان على النا.........سِ ، أطــاحَت بقصَّةِ العَنْقَـــاءِ[1]

يا مُسيـلَ الدّمـوعِ من أعينِ الغَــرْ.........ثى ! ولم يُصغِ ذَيلُـــه للبكـــاءِ[2]

القرابيـــنُ من عِبـــادِكَ تَتْـــرَى   تبتغِـــي منكَ سُنَّـــةَ الرُّحَمَـــاءِ

أفـــلا كان ذَيـــلُكَ القَلِـــقُ الحا.........قِدُ في خَطْبِها من الشُّفَعــــــاءِ؟[3]

أنتَ في النيــلِ حجَّـــةُ اللهِ في الأر.........ضِ على النَّاس في الرِّضَى بالبِغاءِ

لِمَ لَمْ يُلزِمــوكَ مأواكَ في الغَيْـــ.........ـطِ ، لِتَشقــى بالحَــرث والإرواءِ ؟

لِمَ لَمْ يُثقِلــوكَ بالنِّيــرِ والحَبــ.........ـلِ ، قِيـــاداً ، يَصونُ حَقَّ الأداءِ ؟

فَاحتَكِـمْ ، والتمسْ بأظلافِك النِّقـــ.........ـمَـــةَ فيهم بالحَيــــفِ والإزراءِ

وآلهُ ، والعَبْ بهم ، فما زال في جِلـ.........ـدِكَ طِفـــلٌ ، يَهِيـــمُ بالحَلـــواءِ

أفَمـــا مارسُوا الكَهانَـــةَ من قَبــ.........ـلُ ، وعـاشوا من بعدِها للحِـوَاءِ؟[4]

أفمـــا شَيَّـــدوا الهياكـــلَ للأر.........بابِ من عِلْيـــةٍ ومـــن أُمـــراءِ ؟

فَلْتكـــن أنتَ للمهـــازِلِ ، طُغْــــرا.........ءَ يُوارِي المهـــازلَ – العرجـــاءِ[5]

لِتَكـــن ما يشاءُ ذيـــلُكَ والقَـــر.........نُ إلَهـــاً حقّـــاً .. بغيــــرِ مِراءِ[6]

لستَ إلّا عِجـــلاً تَردَّدَ في الغَيْـــ.........ـطِ ، وشيئـــاً مِن أَتفَـــهِ الأشيـــاءِ

لستَ إلّا أسطـــورةً في الأساطيـــ.........ـرِ ، أضلَّت سذاجـــةَ البُسَطـــاءِ

---

(١) العنقاء : طائر وهمي لا وجود له .

(٢) الغرثى : جمع غَرْثان وهو الجائع ، خميص البطن ، أصاخ له : استمع .

(٣) الخَطْب : الأمر الشديد ، المصيبة .

(٤) الحِواء : اللعب بالأفاعي ، وتعني كذلك الشعوذة .

(٥) الطّغراء : الطرة تكتب في أعلى الكتب والرسائل ، وأصل الكلمة تَترِيّ .

(٦) المِراء : الجدال .

سيكُــرُّ الزَّمــانُ يومــاً فَيَطويـــــ......ـهـا ، ويَهـوي بِرَهطها السُّخفـاءِ

غفلـةُ الدَّهـرِ يا أبـيسُ ! أتـاحت   لكَ دَوْرَ الظّهــورِ بعــد الخفــاءِ

لم تكـن في القطيـــعِ صاحبَ شأنٍ   يُرتَضَى بين أسوَأِ القُرَنـــــــاءِ

إنَّمـا كنتَ يا أبيسُ ، ومــا زلـــــ......ـتَ ، عقابــاً لِنَــزوَةِ الأَكفـــاءِ

خَسِئَ الــواهمونَ ، ما أنتَ فيـــه   غيـــرَ رمـــزٍ لشدَّة الـــلأْواءِ[1]

يا نذيـرَ الخرابِ ! نَكَّـلتَ بالأَحـ......ـرارِ ، من أهلِـه بغيـرِ اتِّقـــاءِ

وَهُمُــو أجــلسوك في مجلس القــا......ئِدِ يُلقِــي الآمالَ رُكــنَ التجــاءِ

فإذا أنتَ أَغْدرُ النّــاسِ بالصَّحـــ......ـبِ ، وأَوفَــى لِفِطــرَةِ اللُّؤَمــاءِ

غِلتَهم ، وانطَلَقتَ ، وحدَك ، في النِّيـ......ـلِ ، فَحِيحاً ، كالحَيَّــة الرَّقطـاءِ[2]

تنفثُ السُّمَّ حيثُ رُحتَ ، حريقاً ،   في دمــاءِ الــجِيرانِ والأقربـــاءِ

وتألَّــهتَ ، واعتلَــيتَ مكانـــاً   في أمـــانِ الحرَّاسِ والرُّقبـــاءِ

الرَّعايــا أمــامَ هيكَــلِكَ الـــرَّا......ئِعِ سَكــرَى الإذعــانِ والضَّوضاءِ

إيهِ يا عِجلُ ! إنَّمــا كنتَ دلْــواً   حَرَّكتْــهُ الأَقدارُ بيْــنَ الــدِّلاءِ

فدَعِ الماءَ من حوَافِـــيكَ ينصَبّ......ومِــن قَعـرِكَ العَديـمِ الغَنَـــاءِ

لا لصَوْنٍ ، ولا لِعَــوْنٍ ، تُرجَّـــى   بَل لِلَغْــوٍ ، يا سَيِّــدَ الفُصحــاءِ![3]

إن يَطُـل ليـلُكِ المؤرِّقُ ، يا عَيْـــــ......ـنُ ، فَشِيمــي مَصارعَ الشُّهــداءِ[4]

أو يَطُلْ صبرُكَ الممزَّقُ ، يا قلـــــ......ـبُ ، تَرَقَّب نهايـــةَ البُلَهـــاءِ

* * *

---

(١) اللأواء : ضيق المعيشة .

(٢) غال : يغول غَوْلاً وغِيلة : أخذه على حين غِرّة فأهلكه . الفحيح : صوت الأفعى .

(٣) اللّغو : الكلام الهذر الذي لا طائل وراءه .

(٤) شامَ : يشيم البرق والسحاب إذا نظر إليه يتحقق أين يكون مطره .

قَلَمِي ! قد ركبتُ صَهوتَكَ اليو......مَ فعَــرِّج بساكنــي الدَّهنـــاءِ [1]
أَطلِــقِ الصَّوتَ في مُروءاتِ أهليـــ ـها ، تُحَــرِّكْ كوامــنَ البَيْــداءِ
فلقـــد أذَّنَ الصَّبـــاحُ ودَوَّت صرخَـــةُ الثـأرِ من أعـــالي حِراءِ
صرخَـــةُ الحَقِّ والعدالـــةِ والإيـــــ......ـمانِ والنَّصرِ والهُـدى والفِـداءِ
رقَصَت رايـــةُ « العُقـــاب » عليها في نَشيدٍ يَحدو خُطى « القَصْواءِ » [2]
إنَّـــه دربُنـــا القديـــمُ جِهـــاداً نَبَـــوِيَّ المِعـــراجِ والإِسراءِ

* * *

قَلَمِي ! قد ركبتُ صهوَتَكَ اليو......مَ ، فَخُضْ رِحلَةَ السَّنى والسَّنـاءِ
وأَرِحْ سَرجَهـا على شاطِـئِ النِّيـــ......ـلِ ، تُحَـرِّرْهُ من قيـودِ التَّـواءِ [3]
فلقـــد صَوَّحَتْ زهـورُ مغانيـــ......ـهِ ، وغَصَّت طيـورُه بالغِنـــاءِ
ولقـــد جانبَ النسيـــمُ مساريـــ......ـهِ ، فِراراً من رِيحه النَّكبـــاءِ
قَلَمِــــي ! لم تَزَل لمجدِكَ أهـــلاً في دواعـــي النُّهـوضِ بالأعبـاءِ
لم تَزَل في مآزِقِ الضَّنكِ سيفـــاً صارمَ الحَــدِّ يَعرُبــيَّ الــمَضاءِ
لم تَزَل حامـــلَ اللِّـواءِ وداعـــي عِرقِــهِ الحَـيِّ في أبي الزَّهـــراءِ
قَلَمِي ! إنْ بلَغتَ غايـــتَك اليَـــو......مَ ، فَأَقبِل إلى الكـؤوسِ المِـلاءِ
من حُمَيّا الجهـادِ في نُصرَةِ اللّـــ......ـهِ ، تَرَدَّى به نُسُورُ الجِـــواءِ [4]

---

(١) عَرَّج بالشيء : نزل به . الدَّهناء : الفلاة ، وهي صحراء في وسط المملكة العربية السعودية .
(٢) العُقاب : اسم راية النبي ﷺ . القصواء : اسم ناقة للنبي ﷺ .
(٣) التّواء : سمة في الفخذ والعنق .
(٤) الجِواء : جمع جوّ . ويجمع على أجواء كذلك .

وَارْوِ عَنّا حديثَ عَمرٍو إلى النِّيـــلِ وعهـدَ الرُّعــاةِ والخُلَفــاءِ [١]

قصَّةٌ نَوَّرت ، وقادَت ، وشادَت ، وارتَـقَت شأوَهـا بلا استعـلاءِ

ما استَبَدَّت ، ولا تحدَّت ، ولكن مَهَّـدَت للهُـدى بغير اجتـراءِ

قلمِي ! إنْ بلَغتَ غايـتَك اليـو م ، فحـاذِر ضَلالـةَ الأدعيـاءِ

قَلَمِي ! عشتَ كوكباً يرسلُ النُّو رَ ، ويُعْلِـي هدايـةَ الأنبيـاءِ

* * *

يا حنايـا أمِّ القُـرى ! فيكِ قَرَّت مُهَجٌ ، ما انطـوَت على شَحنـاءِ [٢]

بَيْـدَ أنَّ الأذى ، وعدوانَـه السَّا دِرَ ، قد أجَّجـا لَهيبَ العِـداءِ

فَليكُـنْ وِزرُهُ على رأسِ جانيـ ـهِ هَجيراً يَلـوبُ في رَمضاءِ

قد بَلَغْنـا بالصَّمت آخِـرَ حَدَّيـ ـهِ لِيـاذاً بشِيمـةِ الكُرَمـاءِ

وصَبَرنـا ... وقد صَبرنـا طويـلاً لتَحـدّي السَّفَـاهِ والبَـغضاءِ [٣]

فانطلَقنـا إلى الحفيظـةِ لا نَلـ ـوي على العـاذِلين والنُّصَحـاءِ [٤]

لا نَهابُ الـرَّدى فمـا زال مَسرا نا ومَسرى أجدادِنـا القدمـاءِ

فلتَـهُبَّ الرِّيـاحُ من كلِّ صوبٍ فَهْـي من تَحتِنـا ثُغـاء الشَّاءِ

وَلْتَدُفَّ الأخطـارُ شرقـاً وغربـاً فَهْـي منّـا ليست من الدُّخـلاءِ [٥]

---

(١) الرّعاة : ربما يرمز لحكام مصر القدماء « الهكسوس » ويعرفون بـ « الملوك الرعاة » . وقد حكموا مصر من عام ١٧٨٦ إلى حوالي العام ١٥٧٠ قبل الميلاد ، وكانت عاصمتهم « أفاريس » في دلتا النيل الشرقية .

(٢) أم القرى: اسم من أسماء مكة المكرمة .

(٣) السَّفاه : الحمق والطيش .

(٤) الحفيظة : الغضب والحميَّة والدفاع عن العِرض .

(٥) دَفَّ : أصلها دفّ الطائر بجناحيه إذا ضرب جنبيه بجناحيه أو حركهما ورجلاه على الأرض ، وهي هنا بمعنى الإقدام والهجوم .

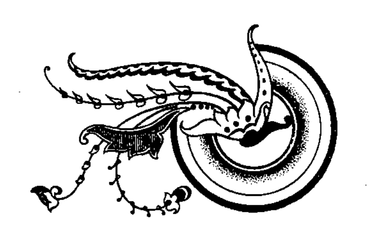
نحن خُطَّابُها على السَّهلِ والوَعـــــ......ـــرِ ، وركّابُهـــا على الدَّأمـــاءِ[1]
وبأثوابِنـــا غُبـــارُ مَراميـــــــ.......ـــهَـا ، بَدِيـلَ الألقـابِ والأسماءِ

* * *

قَلَمـــي ! أنتَ للطَّلائـــع حَادٍ للسَّرايـــا من لَعْلَـــعٍ وقُبَـــاءِ[2]
لَكَأَنِّـــي بفَجـــرِ يومِكَ في الآ......فاقِ يَمحـــو الظَّـــلامَ بالأضواءِ
وكأَنِّي بالبيتِ والرُّكـــنِ والقَبـــ......ـــرِ مَنـــاراً للسِّدْرة العَصمـــاءِ[3]

* * *

رُبَّ طاغٍ عَتـــا ، فساءَ مَصِيراً حيثما ازدادَ وَهمُـــهُ في النَّجـــاءِ



---

(١) الدأماء : البحر .
(٢) لَعْلَع : جبل في أطراف المدينة المنورة .
(٣) البيت : رمز للبيت الحرام في مكة المكرمة . الركن : رمز للركن اليماني في الكعبة المشرفة أو ركن الحطيم في الكعبة المشرفة وهو مقام إسماعيل عليه السلام . والقبر : رمز لقبر الرسول ﷺ في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة . السِّدْرة : رمز لسدرة المنتهى وهي الشجرة في الجنة تحدث عنها القرآن الكريم .



هذا العيد

هذا هِلالُ العيدِ أَشرَقَ ، فاغتَبِطْ ... والبَسْ لِمَقدَمِهِ السَّعيدِ جديدا

واخلعْ قديمَك للقديمِ .. تَلُفُّه ... فيه يدٌ تَطوي الطَّرِيفَ تليدا

وانهَبْ من اللَّذاتِ قبلَ فَواتِها ... ما تَستَردُّ به الحياةَ وليدا

أرسِل لفارِهةِ الشَّبابِ لِجامَها ... فَغداً سيُعقِبُك المَشيبُ قُيودا

دعها تَرِدْ عذبَ المواردِ قبلَ أن ... تَبغِي الوُرودَ ، فلا تُطيقُ ورودا

اليومَ تمَنَحُك الحِسانُ خدودَها ... وغداً ستُصليكَ الحِسانُ صُدودا

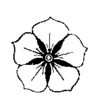
اليومَ ، زَيْنُ الصَّحبِ أنتَ ، وشُغلُهم ، ... وغداً تَدِبُّ على عصاك وحيدا

اليومَ دنيا القادرين ... فإن مَضَت ... هيهاتَ ، لو ناديتَها .. فتعودا

طِرْ في حدائِقِها ، وَمُصَّ رحيقَها ... واحمَد ورودَك إن رشَفتَ ورودا

وانصِب شِراكَكَ ، وارمِ سهمَك صائباً ... واقرَع قرِيعَك في النِّضالِ جَلودا

فاليومَ تُعطيكَ الحياةُ وَقودَها ... وغداً ستصنَعُك الحياةُ وَقودا !!





بين الكهولة والصّبا

شَقِيتُ بها بين الكُهولـةِ والصِّبـا ... مآربَ ، لَمَّـا أَقضِ منهنَّ مَأرَبـا[1]

تقاضَيْتُها عهدَ الهَوى ، وقَدِ انطوى ... وما زلتُ أرجو فَجرَها مترقِّبا

يَهيمُ خَيالي في ذَراها مُجَنَّحاً ... فَيهوِي جريحاً في ثَراها مُخَضَّبا

أرى مسرَحَ الآمالِ أصفرَ خاوِياً ... وقد كان مخضَرَّ الجوانبِ مُعشِبا

أَلُمُّ جِراحَ القلبِ فيه على الأَسَى ... مصيراً ، عَداهُ الكِبْرُ أن يَتعتّبا

يَنوءُ بها صَبري خيالاً معذَّباً ... وتَمضِي به الأَيّامُ سِرّاً مُغَيَّبا

وحتّامَ ؟ لا أدري ، ولكنّها خُطى ، ... يواصِلُها المكفوفُ ، أَذعَنَ ، أم أبى

مضى قَدَرُ السَّاعي إلى غيرِ غايةٍ ... بهِ ، وكَفَاهُ الجهلُ أن يَتَهَيّبا

نخوضُ وحولَ العَيشِ عَبر حَضيضَةٍ ... ونَحلُم بالإزهارِ نضراً على الرُّبى

خيالٌ أجادَ الوَهمُ نَسجَ خيوطِهِ ... شَقِينا بما أُزجَى إلينا وأُعقَبا

أراني شريداً ، أنكرَتهُ بِلادُهُ ... فشرَّقَ مسلوبَ القرارِ ، وغَرَّبا

وناضلَ ، يستبقِي الرَّجاءَ ، فلم يَجِدْ ... عدا اليأسِ نهجاً ، والمعاطبِ مَركبا

خبا نَجمُها الوضَّاءُ ، أحلامَ ضاربٍ ... على ظُلماتِ العيشِ ، لم يَلقَ مَذهَبا

تحامَلَ فيها ، يَخبِطُ الوعرَ سارياً ... إلى الحقِّ ، لا يُبدِي له الوَعرُ كوكبا

وكيف ؟ وما في العُمرِ للجهدِ فَضلةٌ ... أُفَجِّرُ فجراً ، أو أُزَحزِحُ غَيهَبا ؟

---

(١) المأرب : الحاجة والغرض .

صِراعٌ ، أضاعَ العمرُ فيه شبابَهُ تَكَشَّفَ عن هَوْلِ النِّهايةِ مُرعِبا

أأَنكُصُ ؟؟ لا .. حتَّى أُضرَّجَ مُمسِكاً بسيفِ اعتقادِي ، ما بَقيتُ ، وإنْ نَبا

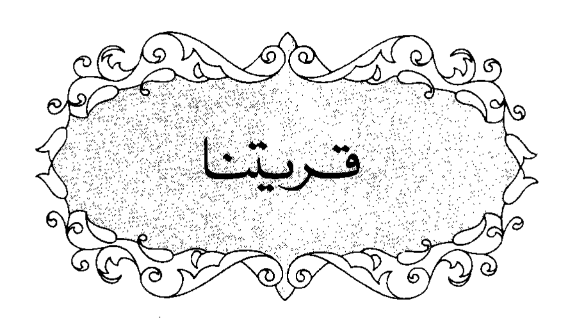
فما أَنا إلّا ما أُهيمُ بِحُبِّهِ من المُثُلِ العُليا ، جهاداً ومَطلبا

سمَوتُ بنفسي أن يهونَ حَياؤُها فَيسحرَها بَرقُ المطامعِ خُلَّبا

رضِيتُ لها ضَنكَ الحياةِ ، وَرُضتُها عليه ، فألْفَتْهُ عذاباً محَبَّبا

رفيقانِ ، قد عاشا على خيرِ صحبةٍ تُحوِّلُ جَدبَ العيشِ رَيّانَ مُخصِبا





قريتنا

قَرْيتُنا تَفِـيضُ بالسَّمــاحْ … تَغرَقُ في التَّقوى وفي الصَّلاحْ

لم تَغزُ قَطُّ رملَها الرِّيـاح … ولا انْطوَى في بحرِها مَلّاح

قد نَسِيتْ كلابُها النُّبــاح … ومَعْزُها لا يَعرِفُ النِّطاح

وليلُها الوديـعُ كالصَّبّــاح … ظِلٌّ ظليـلٌ وهَـوىً مُتــاح

يجُوبُها السَّارِي بلا سِلاح … فما لِبَـابٍ دونَها مِفتــاح

حياتُها صَبرٌ على الجِراح … وعِلْمُها يَستنكرُ الجِمــاح

تَلـوذُ فيها الشَّمسُ بالبِطاح … تَسأَلُ عن قطيعِهِ المُــرَاح

حتى تَراهُ مطلَــقَ السَّراح … كعهــدِهِ منــذُ غدا وراح

في قريـةٍ مَهــيضَةِ الجنــاح … تَمـرَحُ في أَديمِها الأشباح

محرومـةٍ حتّى من النَّــواح … لأنَّهـا لا تعرفُ الكِفــاح





قلانس

لِلّهِ كم تُخفِي المَلابس   ما في الضَّمائرِ من خَسائِس

الحَيُّ صائِدُ خُلْسَةٍ   سِيَّانِ مُفْتَرٌّ وعابِس[1]

* * *

أَفَتَدَّعِي حُبَّ الحِسا   نِ ، وَلستَ بالرَّجلِ المُؤَانِس ؟

لولا تَراؤُكَ لم تَجِدْ   لَكَ خُلَّةً بين الأَوانس[2]

إنْ عُدَّ غيرُكَ في البُغا   ثِ ، فأنتَ من سَقَط الخَنافِس[3]

* * *

أَتُرى الذي اغتالَ الفَرا   ئِسَ ، راعَهُ دَمعُ الفرائس ؟

تَعِسَ الغَنِيُّ بِمالِهِ   يَشتارُ من دَمِ أَلِفِ بائس

* * *

ما لِلَّذي استَصفَى الغَنيـ   ـمَةَ لا يَعِفُّ عن النَّفائِس ؟

لم يُبقِ من ماضي المُرو   ءَةِ غيرَ أطلالٍ دَوارِس

* * *

---

(١) الخُلْسَة : الفُرْصة .

(٢) الخُلّة : الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله : أي في باطنه .

(٣) البُغَاث : طائر مبَقّع اللون ، بطيء الطيران .

قد وَثَّقَ الـجَشِعُ الأَثيـــــــمُ عَلاقَـــةً بين الفـــوارس
قلنـــا تَضافــرَتِ القلــــوبُ ، فَهالَنا مَوْجُ الدَّسائس
وارَحمَـــــةً للناعِميـــــــنَ ، أَمَضَّهُمْ لِينُ الطَّنافِس

* * *

ماذا وراءَ الأُفْقِ يا دُنْيــا ! فإنَّ اللَّيـــلَ دامِس ؟
ذكَرُوا العَدالــةَ لاهِجيـــنَ على المنابرِ والمَجالس
أَمِـــنَ العَدالـــــةِ أن تَرَى في أَلْفِ عَارٍ نصفَ لابِس ؟

* * *

أَطلــقتُ آمـــالي فَعُـــدْنَ إليَّ بَعْـدَ وَجىً خَوانِس[1]
مالِـــي وللـــقصر المَشِيـــدِ ، يَصُدُّني سُورٌ وَحارِس ؟

* * *

قالـوا : استـــراح أبـــو فلانٍ ، قلتُ : من أُمل العَوانس
وأُجَـــــدُّ لي قُوْتُ الحرامِ قَناعـةً ، تَئِدُ الـوساوس

* * *

صاحَ البشيـــرُ : رأيتُ نُورَ الفجر يَختـرقُ الحَنـادس
فتــــواثَبَ المُتَـــرَبّصونَ ، وأُحكموا وَضْعَ القَلانِس
وأُدَرتُ من ثَوبِــي عَلَـــيَّ وقـــلتُ : إنَّ البردَ قارِس

* * *

(١) الوجى : رقة القدم من كثرة المشي . خوانس : جمع خانس ، المتخلف ، المتواري .

أَلــزَمتُ نفسي بالكَمــا.........لِ ، فكان وَهْماً ما أُمارِس

كَم راعنــي قَرنُ السِّيــا.........سَةِ للمَساجِدِ بالكنــائِس

* * *

نادَى الفَقيــهُ : أَلَــيسَ في   شَرَفِ الشَّهادَةِ من مُنافِس ؟

فأجابَــهُ رَجْــعُ الصَّدَى :   خَمَدَتْ بِرَهطِك نارُ فارِس

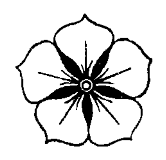
ما ثَمَّ بيــنَ بَنــي أبيـــ.........ـكَ لِشِرعَـةِ الأَجدادِ دَارِس

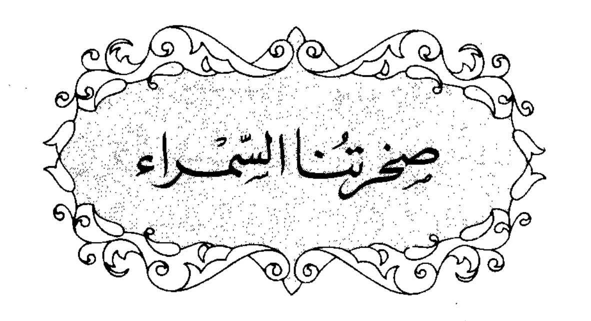
* * *

ليتَ الــذي خافَ العَــوا.........قِبَ لم يُطِع تلك الهَواجِس

ومضَى لِغايتِــــهِ على   سُنَنِ الجَـوارِحِ والأطـابس

راجــعتُ تاريــخَ الحَيــا.........ةِ ، فما قَرأتُ سِوى الفهارس





مَالِـــي أَتحامَـــلُ مكفـــوفَ الخُطـــوات

وأَرودُ بِنظـــراتي آمـــاداً

لا تَقطَعُهـــا النَّظـــرات

مالي أَتَطَلَّعُ حَولي .. في صمتٍ وَغَبـاء ؟

وأُحدِّق في قَطراتِ دمي ..

صبحـــــــــاً ومساء

أأَنا في هذا الوَعر المخضوبِ بها حَجَرٌ مُلقَى ؟

حَجَرٌ لا يَنطقُ .. لا يَصرَخُ .. لا يَنشُد حَقّا ؟

ماذا أُدرِك من أمري ؟ هل أُدرِك منه شيئا ؟

حتّـــى الذِّكـــرَى ؟

ذكرَى ماضيَّ الغـارِقِ في

مَأْساةِ مصيري سِرّا

مالي لا أَدعو اللَّيلَ ؟

رفيقَ صباي

وخِـــدْنَ شَبـــابي ؟

أتُـــراه جريحاً مِثلي ..

مُلقى .. يَلتزمُ الصَّمتَ حزيناً لِمُصابِي ؟
والعجــزُ يَصُدّ خُطَــاهُ
عن خَوضِ التّيهِ المترامـي

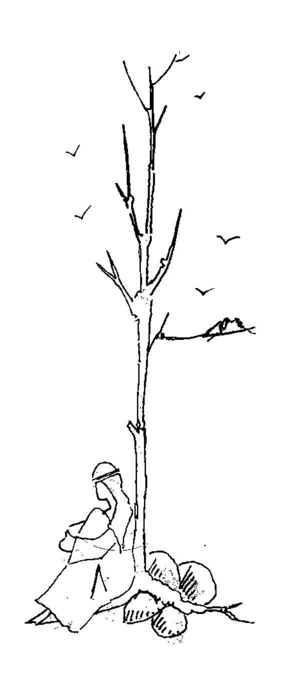
* * *

يا ليـلُ ! كلانـا في قَيـد
من واقِعِـــه الجبّـــار
عَبَثاً نَرتادُ طريقَ الصَّمت
ونَستـــجِلي الأَلغـــاز
أنخوضُ البحرَ بغيرِ شِراع ؟
أو نقطعُ هذا التِّيهَ بلا أقدام ؟
كلّا يا ليـــــــلُ !
« وكـلّا » جرحٌ آخـــر
جرحٌ أكبرُ من كلِّ جراحِك وجراحِـــي

* * *

اِزحَـفْ يا ليـلُ إلـــيّ !
فأنا أَزحفُ يا ليلُ إليك !
والموعدُ صخرَتُنا السَّمراء
حيثُ الماضي
أُلقَـــى بعصاهُ ونَــــاء

سنكـونُ هنـاكَ حيثُ الذِّكـرى لم تَبــرَحْ
ثَمَّ بَصِيصُ ضِيــــــاء
وكـلٌّ بعيــدٍ يَدنُــو ..
ما ظَلَّ الفجـرُ يُطيـفُ بصخرتِنـا السَّمـراء
وجراحِي وجراحُك يا ليلُ
ستَغـرِسُ فيها ألــفَ لِواء





التاريخ .. بلغة الأساطير

(١)

قَبـرٌ .. وقُبـور ..

قبرٌ يَتحرَّك .. يتكلَّم ..

ويقـولُ : أنـا ..

مصنَعُ دِيدان .. لا تُحصَى .. عُلْيا

قبرٌ يتألَّـم .. أحيانـا !

أَلَمَ الأحياءِ .. الدُّنيا !

فيـهِ الإحساسُ .

بغيـرِ شُعـور .

* * *

(٢)

وقبورٌ .. ساكِنَةٌ .. صامِتَة

في ظلمَتِهـا .. مَنْسِيَّـة ..

لم يَسقُطْ في عيـد ،

من أعيادِ الطُّوفان ، عليها

خيـطٌ من نور ..

من نورِ الذِّكـــــرَى

نثراً .. أو شِعـــــرا

هي ماضٍ مُخْضَلّ

بِدَمِ الإيمان .. المُنْهَــلّ

على جَنَباتِ البركانِ الخامِد

لم تَلقَ حَوالَيـهِ الديـدانُ

مجالَ بقـــــاء .

ماضٍ ناضلَ فيه الجرحُ ، طويلا

كي يبقَى جرحاً .. لا يُشفَى ..

لا يُنسى .. لا يَهـدَأُ .. أبـدا

ماضٍ .. مطـوِيٌّ . مجهـول

مذأصبحَ تاريخاً..تَجهَلُه الدِّيدان!!

يَنــــــبُضُ بالآلام

ويسبَحُ في ألغازِ الإلهام

ويَطفَحُ بالآمال..وبالأحلام

ويغرقُ في صَمتِ الإبهام ..

وفي الأشواق .. الكُبرى

الثائــرةِ .. الناريّـــة

ماضٍ خالــــد ..

في صُوَرٍ دامِيَـــــة

لم يَخفِضْ فيها الكِبْرُ العمـلاق
جبينـاً للطُّوفـان
لم يخلَع أثـوابَ حِدَادِ الـدَّار
لِيلعبَ بالقيثـار
ويرقُصَ فوقَ المسرحِ ، للجبروت
على أحجار السَّدّ ..
في أعيادٍ .. قَتَلتْ أعيادَ البركانِ .. المطمور
تلك الصُّوَرَ الوضَّاءة ..
الصُّورَ .. الآيات .. التـاريخ ..
آلـى أن يَطمِسَهـا . المارِد
لَمَّـا أعجـزَتِ الطُّوفـان
فارتـاع بها ..
بثَبـاتِ الأُطرِ المنحُوتَـة
من صخرٍ .. صُلْب ..
مقالِعُـه جَنَبـاتُ الآل ..
وحِراءٌ ، وثَبيرٌ .. وأُحُد .
وارتـاعَ بأنَّ لها
في كل بُيـوتِ الحيّ ،
ظلالاً .. صُوَراً .. أخـرى ،
أكثر مما قَدَّر .

تحفَظُها الجُدرانُ السُّود .. البُكْم .

شاراتِ حِداد .. تَنشُرُهـــا .

في أعيــادِ الطُّوفـــان

لئـلا ينسَى الأطفـــال

قبـــورَ المَوْتَـــــى ،

وجراحَ السَّدّ .. الأسطورةِ ..

المستشهِـدِ في يومِ الطُّوفَـان ..

* * *

(٣)

القبرُ .. الطِّفـلُ .. المُتَرَعْـرِع

في ظِلِّ المارد !

القبـــرُ المَصنَـــــع !

يقـــذِفُ بالدِّيـــــدان

ألوفـــاً .. لا تُحصَى

يقذِفُ .. يُنتِجُ .. لا يَخشى الموتى

أمـا الأحيـاءُ .. فلا أَقـدامَ لهم

إلا أحـــداقَ عيـــون

كانت تُبصِـــــــر ..

أعماهـا .. الدَّمـــع .

وازدحـم الحيّ .. ومـــاج ..

بِشَيْءٍ .. لا يُحْصَر ..

شيءٍ .. كغُثَاءِ السَّيـل .

* * *

(٤)

وبـــدا للمـــاردِ رَأْيٌ

في الصُّوَر .. الشَّارات .

شاراتِ حِدادِ الحَيِّ .. الحَيّ ..

عدُوٍّ الأحيـــــــاء

صديقِالأمواتِ..الشُّهداءِ..الأوغاد .

فدعـا أطفـالَ القبـرِ .. المصنَــع !

في ساحتِـــه الــكبرى .

عنـــد المنبَـــــع !

وانتصبَ .. خطيباً .. قائدَ حرب

صالَ .. وجالَ .. فأَسمَع .

ضدَّ الشاراتِ السُّود .

والصُّوَرَ المنحوتَـــةَ من صخـــــرِ

جبـــــالِ الصَّبر .

ضدَّ الأُسطــــــورة ..

ضدَّ جراح السَّدّ

ضدَّ قبورٍ ساكنة .. في ظُلمَتِها مَنسيَّة

حولَ البركانِ الخامـــد

* * *

(٥)

وانطَلقَت أولُ ذِكـرى
أحجـــاراً .. وترابـــا
وسيوفـاً خشبيَّـــة ..
وخيـولاً .. من لُعَبِ الأطفـال
ولَغْـــوَ صغـــارٍ .. وسِبابـــا
مَرْحَـى .. يا أولَ ذِكـرى ..
من قبرٍ حيٍّ .. يتحرّكُ .. يتكلم .
ويقـــولُ : أنـــا ..
لقبـورٍ ساكنَة .. صامِتَـــة .
لم يسقُـــطْ من قبـــلُ عليها
خيـــــطٌ من نور ..
من نور الذِّكـــــرى
نثراً .. أو شِعـــــرا

* * *

(٦)

وابتسم الجُـــرح ..
وظلَّ ينـــاضِل .. في صَمْت

أياماً .. أجيـــالاً أخـــرى ..

كى يصنعَ عقـــلا .

بِرَمـــادِ البركانِ .. البـــارد .

يَستَنـــبِتُ فيـــه أقدامـــــا ..

بَدَلَ الأحــــــــــداق

وكـي يبقـى جُرحـــا

جرحاً .. لا يُشفَى .

لا يُنسَى ..

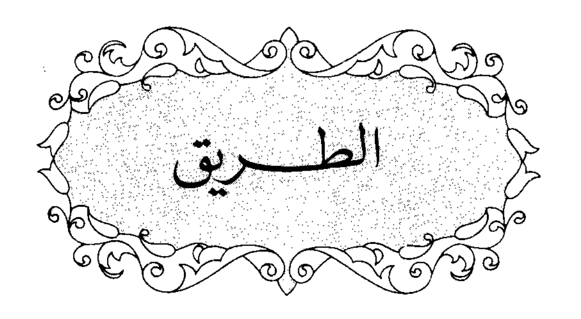
لا يَهـدَأ .. أبـــدا ..

جرحاً .. يخشاه المارِد والطُّوفان .

وتجهلُه .. الدّيدان .. الصّبيان ..

★ ★ ★

١٩٥٩/١٢/٢٥ م



الطريق

أَتَقــولُ : قد طالَ الطَّريــق ؟
نَعَــمْ : لقــد طالَ الطَّريــق
وأيُّ شيءٍ لم يَطُـــلْ
في رحلةٍ بدأتْ ، ولم تَجِدِ الخِتام ؟
الوَعرُ .. والوَعثاءُ .. والظَّلْماءُ
والأمــلُ البعيــد
والذّكرياتُ مضى بها
عَبْرَ الفضاءِ إلى الظلام
مدًى سحيــق
والأَينُ .. والعَثَراتُ
والزّمــنُ العنيــد
نَعَم .. وسخريةُ النُّجـوم بنـا
بأحــلامِ العبيــد
تَخُـوضُ معركــةَ الظَّــلام
إلى سَنَــى الفجــرِ الجديــد
قلْ يا صديــقُ

ألا تَرى في حُلْمِكَ الفجرَ الجديد ؟
أَفَــلا تُنــاضلُ يا شريـــدُ
لكـــي تَراه ؟
أفــلستَ تَزرعُ في خيــالِك
عن هَواهُ .. وعــــن رُؤاه
وفي رُبــاهُ ألــفَ عيـــد ؟
ولا تقـــلْ طالَ الطريــــق
فلـــن يقصِّـــره الكـــلام
واحمِــــلْ على قَدَمَـــيك
واقتحِمِ الهجيرَ .. وليس فيه ما يُجِير
سوى العَــــذاب
خلالَ معركةِ السَّراب . وقلْ مِعي :
طُلْ يا عذاب !
وأيُّ شيءٍ لم يَطُـــــــلْ
في رحلـةِ الآمالِ .. والأحــلام
منـــــذ حدا الشَّبـــاب
هُيامَـــه بِرُؤَى الشَّبـــاب ؟
ما لِلرَّفيـــق يَئِـــنّ .. ؟
يَزفِـــر كالغَريـــــق ؟
ويَميلُ عن نَهج الطَّريـق ... ؟

أتموتُ قِصتَّنـــا هنـــا

عنـــدَ المَضيـــق ؟

أتموتُ أيـــامُ الكفـــاح ؟

وتَضيـعُ أصداءُ الجراح ؟

والأُفْقُ بشَّر بالصَّبـــاح ؟

أَتَطِيـحُ راياتُ الجهـاد ؟

ويختفـي حُلُـمُ المَعـــاد ؟

الواحةُ الخضراءُ ، ها هِيْ والصَّباح

يُضِيءُ مثـلَ دمِ الشَّهيـد

والجثَّـةُ الملقـاةُ في دَمِهـــا

على ذاتِ الطَّريـــــق

وَإذَنْ ، فقط ، سَقَط الرَّفيق

وسمعتُ وَلْولَـــةَ الرّيـــاح

تَزِفُّ قافلـــةَ الهَـــجِير

ورأيتُ قافلـــةَ الهَـــجِير

تخوضُ معركـــةَ السَّراب

فعـــرفتُ أنَّ الواحـــــةَ الخضراء

من وَحـــي العَـــذاب

ووجدتُنِـي أرمـي الطَّريـقَ

بنظـــرتي البَلهـــاء

ماتَ على جوانِبِهـــــا سُؤال

أيــــنَ الرَّفيـــق ؟

وسمعتُ قهقهِـــةَ الطَّريـــق

تَشُقُّ أجـــوازَ الـــــفضاء

وتُهيبُ بي :

ها أنتَ وحـدَك في الطَّريـــق

وعلـــيكَ وحــــدَك أن تسير

إلى النهايـةِ مُغـــمَضَ العينيـــنِ

تَهتِـــفُ باللّـــواءِ وبالشِّعـــار

وبـــدا السُّكـــونُ

كأنَّمـــا هو قصَّةٌ أخـــرى

تَطـــولُ بلا خِتـــام

وكأنَّما هو جثَّةٌ .. سَقَطت

على ذاتِ الطَّريـــــــق

سأسيرُ وحـدِي بالطَّريـــق ..

وحـــــــدي ؟

نَعَم وحـدي .. فَهِــمتُ ..

وكان حتمـــــاً أن أسير

وأن أُجَـــدِّف للفَـــراغ

لِهُوَّةِ العُمْرِ الممزَّق .. للـمَصير

وهناك .. حيثُ الواحةُ الخضراءُ ..

والفجــرُ العتيــــد ..

سأعـــيشُ مِلْءَ رؤايَ ..

آلافَ السّنِين !!

بين المَلايين ، الذين مَضَوا

على ذاتِ الطّريــــــق

مُخَلِّـــفِين وراءَهـــم

جُثَثَ الضَّحايا .. الأصدقاء

تَذُفُّ فوقهُــمُ الرّيـــاح

الحالِمينَ بكـلِّ ما نَشدوه

من حريَّـة .. وسعـــادة

كان السلامُ لواءَها .. ونداءَها

وطريقُها .. هذا الطويـل

الأخـــرسُ .. القـــاسي

الـذي ابتلـع الرجـال ..

وفرَّقَ الأحلامَ .. والآمال

منطوياً على السرّ الرهيب ..

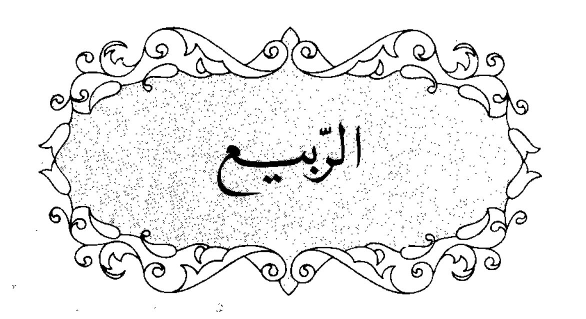
سرِّ الغدِ المنشودِ .. والأملِ الكبير

حُلمي، وحُلمِ الأصدقاءِ .. الأشقياء ..

الذاهبيـنَ على الطَّريـق ..

لايَعرِفون سِواه، منذُ تحرَّكَتْ
أهدابُهم بِسَنى الحياة .
في مَعزِل عنها .. فقد كانت هناك
على الدَّوام .. تُتابِع السعداءَ
واللّاهين عن مأساة
مَن وُلِدوا .. ومَن عاشوا
ومَن سَقطوا على ظَهر الطريق
سأسيرُ ملءَ قوايَ
مِلءَ اليأسِ .. من جَدوى التراجع .
والتوقّف .. والسّقوط ..
لا شيْءَ إلا أن أسيرَ
وأن أشدَّ على اللِّواء
يدي .. وأهتفَ للشِّعار

★ ★ ★



الرّبيع

تَنَهَّدَ الرَّبيعُ مِلْءَ صدرِهِ
وأَنَّتِ الجراح
فلفَّ بالصَّمتِ خفِيَّ سِرِّهِ
عن مُقلَةِ الصّباح
مناضلاً بروحِه عن كِبْرِه
مخضَّبَ الجَناح

* * *

الصَّبرُ يا ربيع !
شِيمةُ الكريم
والصَّمتُ يا ربيع !
شارةُ الحكيم
وأنتَ يا ربيع !
بالأسىٰ عظيم

* * *

ألا تَرى النّجوم

بسُهدِها تَرعاك ؟

والبدرَ كالمحموم

عطفاً على بَلواك ؟

والشَّمسَ في وُجوم

أسىً لِما أشجاك ؟

* * *

غداً تَلوحُ الشَّمس يا ربيع

ثَرّةَ الضِّياء

وتَسخَرُ الحقول بالصَّقيع

ساقطَ اللّواء

ويَستعيدُ أُفْقُكَ البديع

أَلَقَ الهناء

ويتلاشى الحُلُم المُريع

في فرحة اللّقاء

* * *

فارقُبْ حفيفَ الزَّهرِ في الغِيطان

إنَّه اكتشاف

بِغَدِك الواعد

وانظر رفيفَ النَّهرِ في الغُدران

إنّــه التِفَــاف

بِبـدنِكَ الصَّامـد

واسمَع عَزِيفَ الطَّيرِ في الوُديَان

إنَّــه هُتَــاف

لمجدِك الصَّاعــد

* * *

عرشُكَ في القلـوب

بِساطُــه الحَنــان

وتـاجُك الحبــيب

رابطــةُ الوُجــدان

وأنتَ يا ربيـــع

صانــعُ العــروش

ومبــدِعُ التّيجــان

خالــدةَ السّلطــان

يا خالــدَ الفتــون

في الفنـــون

مُذْ وَدَّعَ الزَّمان

والمكـــان

فترةَ السُّكـون

فانطَلَقَ البيـان

وعَبَّـر الكِيـان

بقُـدْرَة الفنّـان

* * *

يا مُلِـــــهبَ الخيـــــال

بالحَنيــــنِ للكَمــــال

وفاتِـــــحَ المَجَـــــال

للقلوبِ، كي تَهيمَ بالجَمال

وواهبَ الظِّـــــــــلال

فتنـــــــةَ الظِّـــــلال

* * *

يا مُوقِـظَ الحياةِ في الحقـــول

من سُباتِهـــــا

ومُطْلِـقَ الشُّعـورِ في النُّفــوس

تَجتَلِـي ذواتِهـــا

وبــاعثَ الــرُّؤى تَرَقْــرَق

الجمالُ في سماتِها

إليكَ من وِدادِنا

رســالـــةَ الإيمان

تَفـيضُ من أكبادِنـا

بأطهـــرِ الألحان
فأنتَ في جهادِنا
ذَخيرةُ الأمـــان

* * *

لا يُخلِفُ الرَّبيــعُ موعِــدَ الإيـــاب
ولا تُوارِي ضوءَه المأمولَ غَمرَةُ السَّحاب
ولـن تَطـولَ بالأمـاني وَحشةُ الغِيـــاب





أنـا حُـرٌّ .. أنـا حُـرٌّ

أنـا حُـرٌّ حقّـا ..

في بلدٍ حُرٍّ ، اِنتزعَ الحريَّة

بدَمِ الشُّهـداء ..

ونضالِ الأحياءِ الأنضاء ..

بقايا المعركةِ الكبرى ..

تحت الأعلامِ .. الخضراء ..

وتحت الأعلامِ .. الحمراء ..

وتحت مَزيجٍ حُلْوٍ من ألوانٍ أُخـرى

تَبقـى .. أو تتغَيَّـر .. وَفـقَ عزيمةِ

قُوَّادِي الأبطالِ .. الثُّوار .. الأُمناء ..

هي أعلامٌ .. آمنتُ بها إيماني .. بِوُجودي

وهتفتُ لها بِدَمي .. وبـأَعصابي ..

وبِفَـوْرةِ أشواقي .. وبـإيماني ..

وبكـلِّ كِيـاني ...

ووقفتُ أُدافِعُ عنها بشقائي في المَيدان ..

وبسُهدِي في الخنــدق ..

تحت النِّـــــــيران ..

بزَهـرةِ عُمـرِي .. بأمانـيِّ شبابـي ..

وبمن ماتوا .. من أهـلي .. وصِحَابي ..

قتلَى .. حَـولِي .. وأَمـامِـي ..

وبمن ماتـوا منهم .. تحت الأنقـاض ..

وفي أُطبـاقِ السِّجنِ .. على مَرِّ الأيـام

أعــلامٌ آمــنتُ بهــا ..

وهتــفتُ أُدافـــع عنها ..

في مطلَعِ أيَّامـي الأولـى ..

قبـل المعركـةِ الكــبرى ..

ضِدَّ الطُّغيـــــــان ..

بعِثارِي في تيَّارِ الظُّلمة .. والإرهاب ..

بقلمـــــــي .. بلساني ..

بسلاحِ الكِلْمةِ .. بالمبـدأِ .. بالأحــرار

حتَّى شَقَّ الجُهـدُ طريـقَ الفَجـر ..

وحتَّى شَقَّ الجُهـدُ طريـقَ النَّصـر ..

وحتَّى عُدتُ من المَيدانِ فخوراً بجراحي ..

وبأنّـــــــــي حُرٌّ ....

حُــرٌّ حَقّاً ... حقّــا ..

حتّى من ماضيَّ الضَّائعِ .. أحلاماً وشبابا ..

حتّـــى من بيتـــــي ..

فقد استُشهِد .. يوم استُشهِدَ أهلـي ..

خَـرَّ .. وخَـرُّوا تحتَ الأنقــاض ..

وصاروا منهـــــــــــا

وكذاك قبـورُ الشُّهـــداء ..

ذِكرى .. خالـدةٌ .. أكبرُ من كلِّ إطـار ..

ومضَيتُ أسابقُ أحــلامي ..

وأُعيــدُ نشيـدَ المَيــدان ..

* * *

ومضت أيَّامُ العيدِ .. سِراعاً .. كَسِنِيِّ حياتي ..

وتحرَّك في نفسي شيءٌ يسألـنــــــي ..

مـــــاذا بعــــــدُ .. ؟؟

وسمعتُ صَدَى صـوتِي .. مبحوحـا ..

يلــهَثُ .. يتقطَّـــــع ..

أنـا حُـرٌّ .. أنـا حُـرٌّ حقّـا ..

أَتثاءَبُ .. أَتَسَــكَّــــع ..

أَمشـــــي .. أَنظُــــــر ..

أَضحــكُ .. أَبصُــــق ..

حيــث أَشَـــــــاء ..

وأنـامُ .. ولكـن .. أيـنَ أنــام .. ؟؟؟

لا مَأوى .. غيرُ ظلالِ بيوتٍ لم تتهدَّم ..

يومَ تهـــدَّم بيتـــي ..

لكـنْ مالِـي والبيت .. ؟؟

فهـا أنا حُـرٌّ .. حتَّى منه ..

ومـــن أهلـــي ..

حُـرٌّ .. حتَّى من عملي ..

من لقمــةِ عَيشـــي ..

إنْ عَزَّ .. وقـــد عَزّ ..

طعامـــــــي ..

وإذا كلمــاتُ نشيــدِ المَيــدان ..

نشيـــدِ الحريَّـــة ..

تتحوَّلُ ألفاظاً أُخرى .. مُبهمَةَ المعنى ..؟

مثـــلَ وجـــودي ....

وإذا الأعـلامُ الخضــراء ..

وإذا الأعـلامُ الحمـــراء ..

تبـدو في الأفـقِ أمامـــي ..

خِرَقاً .. باليـةً .. باهتـة ..

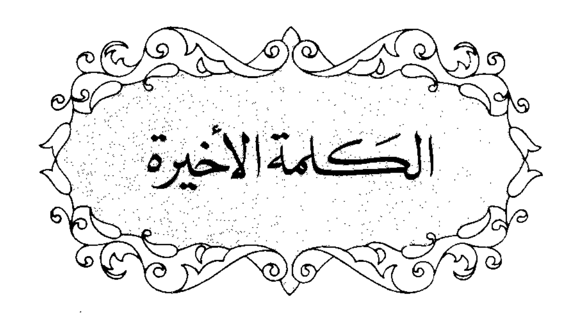
كنشيــــــدي ....

لا أدري .. لا أفهـــم ..

لا أشعـــــــر ..

كيـف أنــا حُـــرّ .. ؟؟

ما دمتُ بلا عمل .. وبلا مأوى ..
وبغيرِ طعام ... ؟؟
وهَمَستُ بهذا داخلَ نفسي ..
ثم قذفتُ به .. كبُصاقِ المسلول
فتأذّى النّاسُ لأنّي
شَوَّهتُ جَمال الحُرِّيَّة ..
بخيالي المتسكّعِ .. مِثلي ..
ورأيتُ عيونَ النّاس ..
تقولُ .. اسكتْ ..
وتشيرُ إلى جنديٍّ يتقدمُ منّا ..
جنديٍّ من حَرَس القانون ..
حرس الحريَّة .. مَنْ خاضوها ..
بالسَّمعِ .. وخاضوها بالطَّاعة ..
بعدَ المعركةِ الكبرى ..
معركةِ الخندق .. والمَيدان ..
معركةِ الحرّية ..
معركةِ شبابي .. وحياتي ..
معركةِ المأوى واللُّقمة ..
والخندقِ والظُّلمة ..
ونشيدُ المَيدان ..
معركةُ الألوان ....



الكَلمة الأخيرة

كانتُ آمـــالي فيكِ

قيوداً تُثقِلُنــي .. وتَعـوقُ خُطــاي

وتَربِطُني بظَلامٍ ، لا أَعرفُ فيه مَسارِي

كانت مجهولاً أبديّا .. يَحفِلُ بالألغـاز

وتَخَلَّى عنِّي إدراكي .. لحقيقةِ شيءٍ منها

فَمضيتُ أَسير .. أَسيرُ إلى غيـرِ نهايـة

وأسائِــلُ نفسي . والحَيْــرةُ تغمُرُهـــا

وتُغَطّـــي بالعَثَـــراتِ طريقــــي :

أهنــالِكَ غايـــة ؟

وبــدا بيــنَ الظُّلمـــات .. خيــالُكِ

يَخْفَى ويَلُوح .. كشارةِ ضوءٍ تُخفِيها

أمـــواجُ البحــرِ ، يُحرّكُهـــا التيّـــار

لا شيءَ .. لا شيءَ سوى . الحَيْرةِ والسَّير

وراءَ المجهولِ الأبديّ ..

لماذا كان الصَّمت

نصيبَ المتطلِّع للكِلْمة .. للتَّفسير ؟!

قد طالتْ مرحلةُ الإبهام
وكرهتُ الصَّمت ..
واشتَـقتُ إلى كَسرِ قيـودي
لا أحلُمُ بالحريَّة .. فهي رداءٌ برّاق
لا يَصلح للتُّعساء
لكنّي أَنشُد أن أُلقيَ أعبائي
أعباءَشعوري بالغُربةِ، في دنيا تقذِفُ كالبركان
حُمَماً تتلظَّى وتَفُور ..
وتطوي في غيرِ مبالاةٍ .. أشواقاً عاش بها
ولها قلبُ الإنسان
يا سيّدتِي !
قد كان فُضولاً منّي
أن أحملَ قلبي بين يَدَيّ
لِيسكبَ في أُذنيكِ حكايتَه
في صُوَر يَنقصُها الزُّخرف ..
لا يشفَع فيها غيرُ هَواه
بفاتنةٍ لا قلبَ لها
كلا يا سيّدتي .. لن تَجِديني بالباب ..
أُعيدُ الطَّرْقَة .
لأشكُو منكِ إليك .

قد ودَّعتُكِ .. ومَضَيتُ

على دربي المعهـــــود

أحـدِّثُ دَوْحَ الغـــاب

وأعـــاتبُ أحلامـــي

وككلٍّ غريبٍ في دنياه

أطالـعُ مأساةَ حيـــاتي

بثبـــاتِ اليـــائسِ

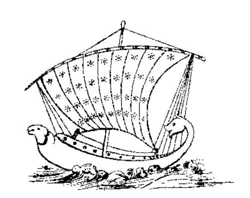
من جَدوى أيِّ نضال

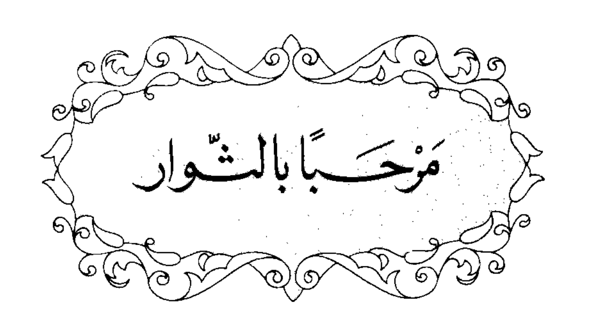
قد كانت لحظةَ وَهْـــمٍ مَرَّت بحيـــاتي

ومَـــــــــرَرتُ بها

وخَـــبَت ، وانطَفَـــأت ، وتـــلاشَت

لم تترك .. أثراً .. حتّى أثراً للذِّكرى !!





الماضِي .. صوتٌ يَهتِــــفُ بي

قَدِّمْ قُرْبـــــــانَكْ

والحاضِرُ سجنٌ يَصرَخُ في وجهي

انبِــــذْ سجَّـــانَكْ

والمستقبلُ نورٌ مطمور

في أفْــقٍ مسجـــور

يَخفَـــى ويَلُـــوح

كما تَطفــو وتَغُــوص

رُؤى المسحــــور

وأنـا في القيــدِ أسير

جريحاً خَلــفَ السُّور

الظُّلمـةُ حولِـي مُطبِقَـةٌ

والبــيتُ رتـــيب

الجُــرحُ بها يَدعـــو

والجُــرحُ يُجـــيب

لكنّــــــــي أسمع

ماذا أسمع ؟

إنّ الصّوتَ قريب

هَمهَمَــةُ رجـــال

وصدَى طَرْقاتِ مَعَاوِل

وُخطَا أَقدامٍ عارِيَــةٍ

تَزحَــفُ وتنــاضل

ها هِيْ تَدنُـــو

تَعلـــو

عَجَبـــاً !

إنَّ فناءَ السِّجنِ يُضنِينِي

بلـــونٍ أحمر

تَنسابُ .. خيوطٌ منه

إلى قَيْـــدي

أتُـــراهُ البحـــرُ !

ولكـنْ .. كيـــف ؟

فضَوءُ الفجـــرِ بَعيـــد

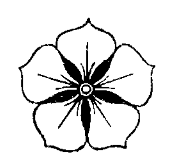
أفذاكَ شُعـاعُ جِراحي

يعكِسُ لونَ دَمِـــي ؟

كـــلا

فهنـــاكَ .. مشاعـــل

وهنـــالِك طَرْقٌ متـــواصِل
الأبـــوابُ تَطيـــح
على جُثَثِ الحرَّاس
والسَّجَّـــانُ الأكبر
لفظَ الرُّوحَ بِضربةِ فاس
وتوَالَى الطَّرْقُ على بابي
فتَدَاعـــى البـــاب
وأشرَقَ نورُ الشَّمس
يُرحِّبُ بالثُّـــوَّار ..





يا رياح

اصفِقي يا رياحُ ! دُونَكِ بابي   واقذفي في ثُقوبِهِ بالتُّرابِ

وَاسْرِ كالنَّارِ في هَشيمِ حُقولي   تَتَعالَى بينَ الثَّرى والسَّحابِ

وارقُصِي حولَ موقدي رقصة الرُّعْـ   ـبِ ، وطُوفِي بالهَولِ والإرهابِ

واطمْسي الدَّربَ حولَ كوخِيَ ، لا يَخْـ   ـلُصْ إليهِ الضِّياءُ عَبْرَ الضَّبابِ

وأَطِيفِي بالجُوعِ ، بالعُري ، بِالمَوْ   تِ ، بِدَامي الجِراحِ ، مِلءَ إهابِي

واصنعِي لي من المواجعِ والحِرْ   مَانِ سِجناً ، وَأَمعِني في عذابِي

لن تَرَيني مُستَسلِماً لِمَصيري   في جهادٍ أَبليتُ فيه شبابي

إنَّهُ مَوقِفي ، نِضالاً وإصرا   راً ، وَهُزءاً بصَولةِ الأربابِ



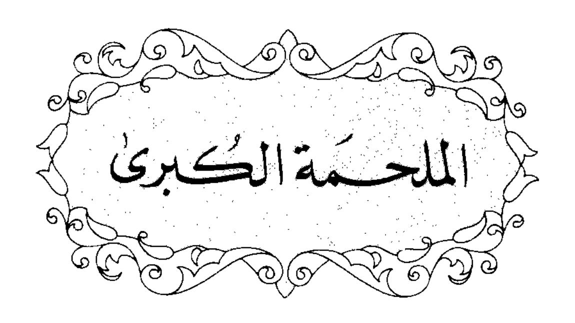


مَاذا أقول ؟

ماذا أَقـــولُ ؟ وكم أَقـــولُ ؟ والقـــولُ من مِثْلِــــي فُضولُ
المالُ سَحَّـــارُ النّفــــو.........سِ ، وفي يَدِي منــه قليــــل
والنّـــاسُ ، للدِّينـــارِ ، أَتـــ.........بـــاعٌ ، وأَتباعـــي فُلـــول
والحقُّ - وَيْح الحَقِّ - لِلـــ.........ـرّاجيـــهِ عاقبـــةٌ تَهُـــول
والـــرَّأيُ في الإصلاحِ صَعْــ.........ـبٌ ، والــفسادُ هوَ الذَّلـــول
والنَّـــفسُ للشَّهَـــواتِ أطْـــ.........ـوَعُ ، والتُّقـــى جُهـــدٌ ثَقيـــل
أنـا شمعـــةٌ ، سَخِـــرَ الظَّـــلا.........مُ بِهـــا ، وحَـــفَّ بها الذُّبـــول
ماذا يُطيـــقُ ومـــا يُنيـــ.........ـرُ ؟ وقـد وَهَـى ، ضَوْءٌ ضئيـل
يا ناظريـــنَ إلى الـــوَرا.........ءِ ! أَمامَكُـــم ذُلٌّ طويـــل
مَأواكُمُـــو ، عَصَفَ الهَـــوا.........نُ بِهِ ، وأَغرَقَـــه الدَّخيـــل



الملاحم



الملحمة الكبرى

« الملحَمة الكُبرى هي المناظرةُ الشِّعريَّة بين الشاعِرَينِ الرَّاحلَينِ محمد حسن عَوَّاد وحمزة شحاتَه .

اتَّخذَ كلٌّ من الرَّجلَينِ رمزاً لنفسه . فكان عوادٌ هو « أبولون »[1] ، وكان شحاته هو « الليل » . وتطور الصِّراع بين الشاعِرَينِ في صورةِ صراعٍ بين العناصر (التّراب ، والهواء ، والماء ، والنّار) .

وكانت جريدة « صوت الحجاز » سنتي ١٣٥٥ و ١٣٥٦ هجرية مسرح هذا الصّراع الشّعري الذي كان كَسباً للأدب والشعر ، ثم استحال – بكلّ أسف – إلى هجاء مُقذِع بين الشاعِرَين ، لم تَنشرهُ « صوت الحجاز » ، وإنّما نُشِرَ بعد نَسخِهِ باليد .

وحين تجاوز الأمرُ حدَّهُ ، خَشِيَ الشّاعران مَغَبَّة الأمر ، فأَقصَرا .

وقد اخترنا أن نفرد لِمَا نظمه الشّاعر في هذه المناظرة باباً خاصاً في هذا الديوان تحت عنوان « الملحمة الكبرى » ورتبناها كما بدأت ، على قَدْرِ ما تسمح به الذّاكرة ، ثم ألحَقنا بها ما ظَنَنَّا أنّه يتّصل بها لسببٍ من الأسباب ».

---

(١) أبولون : اسم إغريقي ، أُطلِق على ما زعموا على إلّه الموسيقى ، والشعر ، والطب ، والجمال الرجولي . وقد ورد ذكره في الأساطير « الميثولوجيا » اليونانية ، والرومانية كثيراً . ولمحمد حسن عواد كتاب بعنوان « رؤى أبولون » وكان – على ما يبدو – يعني بأبولون نفسه .



إلى أبولون

يزعمون أنَّ للشِّعرِ والشَّمس إلَهاً اسمه (أبولّون) ، نحنُ أوّلُ الكافرين به ، وقد تخيَّلناه كائناً كالأحياء الهزيلة ، وَسَخاً من هذه الأوساخ الآدميّة التي هي زُورٌ على الإنسانيّة ، كما كان أبولّون وِزراً على الألوهيّة ، فَرِكِبناه بالسُّخر والهجاء ، وأعملنا فيه مِعولَ الهدم والتَّنكيل ، زُلفَى إلى الله الواحِد ، الأحَدِ ، الذي لا نعْبُدُ إلّا إيّاه ، مخلِصِينَ له الدِّين .

هاكَهـا من سحائبـي وَطْفـاءَ   صَيِّبـاً صيَّـرَ السَّيـلَ غُثـاءَ [1]

وتطامَـنْ لها ، وتِيرةَ لَيثٍ   زَأْرُهُ صيَّـر الرُّعـودَ زُقـاءَ [2]

يا أبولّـونُ ! يا إلَـهَ المجانيـنِ ، على غابـرِ اللّيـالي ، عزاءَ

لستَ إلّا خيـالَ فكـرٍ مريضٍ   عُلّقَتهُ أخنَـى القلـوبِ ، غَبـاءَ

وتشهَّتْ به على النَّـفس ما أغـنَى نفـوساً ، وانصَبَّ فيها هُذاءَ [3]

هذه نكبـةٌ ، ذَرَتْكَ رمـاداً   بعـد ما كنتَ كائنـاً يَتـراءى

ولئِـن عِشتَ في اعتقـادِ الشَّعاريـرِ إلَهـاً ، فقـد غدَوتَ هَبـاءَ [4]

أيّهـا الخامـلُ الـذي ملأ الجَـوّمُواءً طَوْراً ، وطَـوْراً عُواءَ [5]

---

(١) الصيِّب : المطر الجَوْد . الغُثاء : ما يحمله السَّيل من رغوة وأشياء أخرى . الوطفاء : السحابة الممطرة .

(٢) الزُّقاء : صياح الديك .

(٣) الهُذاء : الهذر بكلام غير مفهوم .

(٤) الشعارير : جمع شُعرور وهو غير النابه من الشعراء ، وهو فوق المتشاعر ودون الشويعر .

(٥) المواء : صوت القطة . والعواء : صوت الكلب والذئب وابن آوى .

قَدْ لَعَمرِي أفنيتَ في طلبِ المَجــــدِ ، سنيناً بالمخزيـــاتِ .. رُواءَ [1]
كلَّمـــا خِلتَ للظهـــورِ مجالاً زادَك الحقُّ في العيـــون خَفـــاءَ
ما مَجـــالُ الحيـــاةِ بالهَيِّـــنِ السَّائِغِ ، أَنْ رامَـــه الحقيـــرُ ابتغـــاءِ ؟

* * *

يا أَبولّـونُ ! خدعَـةٌ أنتَ ، تَستَهـــوي خَشاشَ الأحياءِ ، والبلهـــاءَ [2]
هم صَعاليــكُكَ الأُلَى عَبَـدُوا زورَكَ ، فاهنَـأْ بهم لِعُـــودٍ لِحـــاءَ [3]
أنتَ عَوَّاؤُهـم ، وهـم نَابِحُـو اللَّيـــلِ ، حوالَـــيْكَ ، ردّدوا الأصداءَ [4]

* * *

يا أبولّـون ! لستَ للفاضِلِ الحُرِّ كِفـــاءً ، ولستَ إلّا لَغـــاءَ [5]
أنتَ ضَعـفٌ ، وحِطَّـةٌ ، واستِفـالٌ إستحـــالت بَذاءَةً وهُـــراء [6]
أيُّ فنٍّ ؟ هذا الـــذي تدَّعِيـــه كلّمـــا ازددتَ لَوثَـــةً والتِـــواءَ؟ [7]
أهْو فنُّ الحِقدِ الـذي شبَّ في صَدرِكَ ، ناراً ، وكان داءً عَيـــاءَ ؟
أم هوَ الـذُّلُّ والضَّراعـةُ في عينيـــكَ ، قد أَخفيا الجَوى والشَّقـاءَ ؟
وَاهِـمٌ أنتَ ، يا أبولّـونُ ! لا تَبْـــلُغُ مَجـــداً ، ولا تنـــالُ ثَراءَ

* * *

(١) الرواء : الرّي من الشرب .
(٢) الخَشاش : حشرات الأرض .
(٣) اللحاء : القشر .
(٤) العوّاء : مبالغة اسم الفاعل العاوي ، وهو الكلب النابح .
(٥) اللَّغاء : سَقَط المتاع ، أو ما لا يُعتدُّ به .
(٦) الهراء : الكلام التافه الفاسد .
(٧) اللوثة : الحمق ، أو الحبسة في اللسان .

كم تَحــدَّاكَ في مَغــاوِرِ أحـــلا ......مِكَ ضِدٌّ ؟ فما أُطــقتَ اللّقــاءَ ؟
وتهادَى إلــيكَ ، منتزِعــاً منـــ ......ـكَ أزاهيــرَك الــرِّواءَ الــوِضاءَ ؟
فتخــاذَلْتَ دونَــه ، ترسلُ العَبْــ ......ـرَة ، حَرَّى ، وقد فَقَدتَ الرَّجاءَ
مُستفِــزّاً من عابــديك عليـــه يا أُبولّـــونُ ، رُزَّحـــاً أَنضاءَ [1]
كان هذا مقامَ سَعيِكَ ، يا مُقـــ ......ـعَـدُ ، لو أنَّ في الفــؤادِ ذَمــاءَ [2]
عاجزٌ أنتَ ، يا أبولّـونُ ! لا تَحــ ......ـمي ذِمــاراً ، ولا تَرُدُّ اعتــداءَ [3]

* * *

يا أبولّون ! أنت خُنثَى ، ولـن تلـ ......ـحقَ شأْوَ الفحولِ ، إلّا ادِّعــاءَ [4]
وحسودٌ ، قد أرَّثَ الــفشَلُ الــدَّا ......ئِمُ ، في غَوْرِ صَدرِك ، البُرَحـــاءَ [5]
وَيْكَ ! هلّا جرى بك الحظُّ مجرا ......هُ ، ومــرَّت بك الحيــاة رُخــاءَ ؟
هُزْأَةً عِشْتَ ، يا أبولّــونُ ، للنــا ......سِ ، وأُفكوهَـــةً ، تُساقُ ازدراءَ
أُخمـولٌ ، وحاجــةٌ ، وانفــرادٌ ؟ تَبَّ عَيْشاً ! بل تَبَّ هذا فِنــاءَ !! [6]
لن ينــالَ الحيـــاةَ إلا كَفافـــاً مَن قُصاراهُ أن يعـــيشَ رِيـــاءَ

* * *

مُدَّعٍ أنتَ ، يا أبولّـــونُ لا تَغْــ ......ـلِبُ ضِدّاً ، ولا تُجــــيبُ نِداءَ !
أَتحــدَّاكَ هازئـــاً ، لا أباليـــ ......ـكَ ، وإن كنتَ لا تَبُلُّ طَحــاءَ [7]

---

(١) الرزّح : جمع رازح وهو الهزيل الملتصق بالأرض من الضعف . الأنضاء : المهازيل .
(٢) الذَّماء : بقية الروح في المذبوح .
(٣) الذمار : ما ينبغي الدفاع عنه كالوطن والشرف .
(٤) الخنثى : المخلوق المكوّن من أمشاج الذكر وأمشاج الأنثى . – ويريد الشاعر بها هنا التحقير – .
(٥) البُرَحاء : الشدة كشدة الحمىَّ .
(٦) تَبَّ : خسِر وهلك . الفِناء : ساحة الدار أو ما أحاط بها .
(٧) الطَّحاء : المنبسط من الأرض .

لستُ مِمَّـــن إذا تَحَيَّفَهـــم با.........غ ، تراخَـوْا عنه ، وشَدُّوا بِطــاءَ !
أنـا مَن أرغَـمَ الخصومَ ، وأسقـا.........هُمْ كؤوساً ، من الهَــوانِ ، مِلاءَ !
غيـرَ أنّــي أُرى خصومَـة أمثـا.........لِكَ ، للنُّبـلِ والسُّمُـوِّ اجتِـواء [1]
أتُـــراني إذا تحدَّيتُ مطعُـــو.........ناً ، يُمرِّض فيه الحيـا والإبــاءَ ؟
اِنطلـــقْ سالماً ، فأنتَ هزيـــلٌ   مُسْتَخـيسٌ ، لا تُمسك الحِربـاءَ !
لستَ نِدّي ، إذا المفاخــرُ عُدَّت ،   وإذا مَجَّــد الكــرامُ الوفـــاءَ !
أنـا أغلى دَمـاً ، وأضحى جبيناً ،   إن دَجَت ظُلمــةٌ ، وأعلى بنـــاءَ !
أنـا مَن أسهَرَ العيـونَ ، ومَـن ردَّ.........قلـوبَ الحسُّاد عنــه ، ظِمــاءَ !
لستُ بالكاذبِ المُسِفِّ ، وَمَن أُصـ.........ـدَقُ منّــي ، مَوَدَّةً ، وعِـــداءَ ؟
أنـــا مَن يَفتـدِي المودّاتِ بالـرُّو.........ح ، ومَـن يَسحَقُ العــدوَّ مَضاءَ !
أنـا هَولٌ !! من الحقيقةِ ، يرميـــ.........ـكِ ، بنـارٍ ، تُزيلُ عنك الطِّـلاءَ !
والعَداواتُ ، يا أبولّـــونُ ، لا تر.........حَمُ ، إن مَسَّ جَمرُهـا الضّعفــاءَ

* * *

جاحـدٌ أنتَ ، لستَ تَغفُلُ عنّــي   لكريـــمٍ ولا تعـــــدُّ جَزاءَ !
كَم أظلَّتك ، من سحـــائبِ جَدوا.........يَ ، هَوَامٍ ، أَصبتَ فيها الشَّقــاءَ؟ [2]
فتناسيتَهـــا ، صنيـــعَك في كلّ   جميـــلٍ ، يُسدِي إلـيكَ البقـــاءَ

* * *

(١) الاجتواء : الشيء الكريه إلى النفس .
(٢) الهَوَام : حيوانات ليلية تافهة ، جمع هامة .

صَنَمٌ أنتَ ، حَطَّمَتْه يدُ اللّـ...ـهِ ، وأَصْمَتْ عبادَهُ السُّخفاءَ !
وإذا أنتَ للعيونِ قَذاها جَلَّ مَن شانَ هذه السَّحناءَ !
نَبذَتكَ الحياةُ ، والناسُ ، والحـ...ـظُّ ، وأنعِمْ به ، عقاباً سَواءَ !
حيث تَنسَلُّ ، أسخطَ النّاسَ مرآ...كَ ، فأصلَوكَ نَظرةً شَزراءَ !
لا تُرى غيرَ قابعٍ ، مُنغِضِ الرَّأ...سِ ، تُعاني من الهوان عَفاءَ !
يا أبولّون ! إنّ فُقّاعةَ الشِّعـ...ـرِ خليقٌ أن يَحملَ الأعباءَ !
عش مريضاً ، أو مُت بغيضاً ، وَهل أشْـ...ـبَهَ ، مَن عاشَ مِثلَك ، الأحياءَ ؟
هذه شارةُ النَّوابغِ مِن قبـ...ـلِك ، فافخرْ بها وَتِهْ خُيَلاءَ
إنّ مَن يَجهلُ التهكُّمَ والسُّخـ...ـرَ ، غَباءً ، يَدْعوهما ، إطراءَ

* * *

يا أبولّونُ ! عاصفٌ أنا ، لا يَعْـ...ـبَأُ فلّاً ، ولا يخافُ سَراءَ
أنا ليلٌ ، يغشاك بالهولِ والظلـ...ـمَةِ ، واللّيلُ يُفزِع الجُبناءَ
أنا للجارِمينَ موتٌ ، ولا غَرْ...وَ ، فَقِدماً أُوطَأْتُكَ الرَّمضاءَ
أنا من زيَّفَ الأباطيلَ تزْييـ...ـفَ قَديرٍ ، يَرمي السِّهامَ غِلاءَ
أنا واللّيلُ ، منذ كنتُ ، شبيها...نِ ، جَلالاً ، وقوةً ، وحياءَ
نَتساق الإلهامَ ، والشِّعرَ ، والحكـ...ـمَةَ ، والفَنَّ ، والهوى ، والسَّناءَ
في سكونٍ أضفَى الضّمورُ عليه أَلَقاً من نقائِهِ وصَفاءَ
لا كَمَن حاولوا الحياةَ نقيقاً واستقلّوا سبيلَها ضوضاءَ
فجهادُ المبرّزينَ فِعالٌ تتحدَّى بصمتها البلغاءَ
ينطِقُ الدَّهرُ ، دونَها ، ويَذود الـ...ـنّقصَ عنها ، ويُرخِصُ الفحشاءَ

وسجايـــا الكـــرام غُرٌّ بَواقٍ   تتهدَّى بها النفـــوسُ ضيـــاءَ

وهجائِـيك ، يا أبولّـونُ ، أبقـا......كَ ، ولكـــن مبعثَــراً أشلاءَ [1]

فتعهَّــدْه بالتّـــلاوةِ والـــدَّر......سِ ، ونـافسْ برزقك اللُّوَمــاءَ

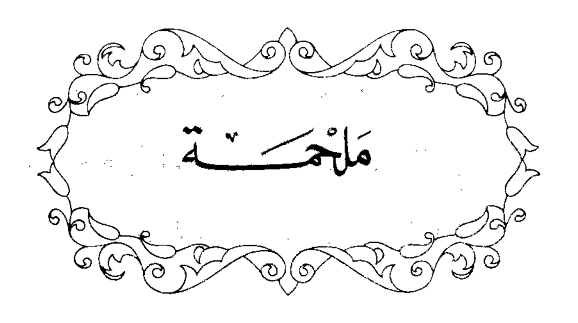
فهـو خُلـدٌ حَبَاكَــهُ حظُّك العــا......ثِرُ ، شِعـراً ، يؤجّــج البــغضاءَ

١٩ ذي الحجة ١٣٥٥ هـ

٢ مارس ١٩٣٧ م



(١) وهجائيك : وهجائي إياك .



مَلْحَمَــــة

الحياة ملحَمة كبرى في شتّى مظاهرها المعنويّة والماديّة ، وهل الحياةُ حياةٌ إلا بهذا الصّراع بين الموجودات ، منظورةً ومُدْركَة ؟

فهذه القصيدة تمثّل في ثوب القصَّة .. ملحمةً تخيُّليَّة بين عناصر الكون (التراب والهواء والماء والنّار) تتمّ فيها الغلبة للعاصف رمزِ الهواءِ ، على البحرِ رمزِ الماء .

والاتّجاه الفنّي في هذه القصيدة مستمَدّ من وقائع الحياة وصميمها ، فمن ينكر أن كلَّ شيء في الوجود مسلَّط على كل شيء فيه ؟ الحياة والموت ، الشّباب والهرم ، الصّحة والمرض ، القوة والضّعف ، أليس الصراع بينهما ملحمةً تكرّ بها الأيام واللّيالي ؛ لا يخاف أيّهما اللّباب والجوهر ، إن اختلفت القشور والأعراض ؟ أليس كلّ ذلك مَظهراً للقانون الإلّهي الأسمَى في صور هذه الحياة ؟؟ (الناظم)

حدَّثَ اللَّيـلُ ، والحديث شُجونٌ ، وحـديثُ العظيـمِ لَهْـوٌ وَجِـدُّ
تتلهّــى به نفــوسُ الخَلِيّــــــــيـنَ ، ويُعنَـى بِلبِّــهِ المستبِـدُّ
قال : كانت عناصرُ الكون كالأحـ ـياءِ قِدْمـاً ، تَروح فيــه وتَغــدو
لم يُقيَّــدْ كلٌّ بقانونــــه الصَّا ......رِمِ ، والقيـدُ حاكـمٌ مستبِــدُّ
فتلاحتْ يومـاً ، وجَـدَّ بها الشَّر ......وللشّــرّ .. ثورةٌ ما تُحَـدُّ

* * *

وادَّعَـى كلُّ عنصرٍ قصبَ السَّبـــ......ـقِ وأَدلى بحُجَّـــة المتحـــدِّي
قالتِ النّـار : إنّنـي عنصرُ الفَتـــ......ـكِ ، إذا أُورتِ المطامـعُ زَنـدِي
أُتلقَّـى الحديـدَ بالجاحِـم المُـو......دِي ، وأُردِي الصِّلابَ إن جَدَّ جِدّي
ويُعيـدُ الأصنـامَ حَرَّى رمـاداً ويُنيـرُ السّبيـلَ ضوئي ويَهـدي
أنـا لِلكـونِ بَدْءُ تاريخِـه النَّـا......بِضِ ، مذ قلتُ : يا حياةُ ، استعِدّي !

* * *

فأجـابَ التّـرابُ : هل كان للكـوْ......نِ وجـودٌ ، لو لم أكـن فيـه أَصلا ؟
كنت سِرَّ البنـاءِ فيـه ، فمـا قا......مَ بنـاءٌ ، لولايَ ، أو مَدَّ ظلّا
وأنـا ناثرُ الحقـولِ ، وَمَـن أطـ......ـلَقَ فيها الحياةَ ، حقـلاً فحقـلا
صِيغَ منّي الإنسانُ والـوحشُ والنَّبـ......ـتُ ، وعـادَت إليَّ وصلاً وفصلا
أُتلقَّـى أمانـةَ اللهِ بالصَّو......نِ ، ومـا زلتُ للأمانـةِ ثِقـلا

* * *

وَزَهـا البحـرَ أَيْـدُهُ ، فرمـى القـو......لَ جُزافـاً ، شأنَ السَّفيـهِ الغضوبِ
قال : ماذا ؟ ألستُ من يطفِئُ النّا......رَ ، إذا آذنَت بِوَشكِ شُبُـوبِ ؟
الـذي تسكُـنُ العنـاصرُ ، إن ثا......رَ ، وتَعنـو من خيفـةٍ ووَجـيبِ ؟
والـذي أُغـرَقَ الشَّواطِـئَ ، لو شا......ءَ ، وجـازَ الأمـداءَ غيـرَ هَيـوبِ ؟
وطغَى ! .. فانطـوَت شواطـئُ فيـ......ـهِ ، وقـد هَمَّ مُقعَدٌ بِوثُـوبِ !!

* * *

حدَّثَ اللّيلُ ، قال : واندفـعَ البحـ......ـرُ ، يظـنُّ الشُّطـآنَ كلَّ الوجـودِ
فإذا اجتازَهـا فقـد بلَـغَ الفَـوْ......زَ ، وأَربَـى ، والفـوزُ جِدُّ بعيـدِ

مَن له بالجبـــالِ تَلقــاهُ بالهُـــزِ.........ءِ ، صنيــعَ القــوِيِّ بالمكـــــدودِ ؟
شامخاتٍ ، إذا تطامـــــــــن بحرٌ أو تَنَــــزَّى به عُرام الحَقـــــود
راسياتٍ ، لا مِن وَنـىً أو لُغـوبٍ ، ساكنـاتٍ ، لا مِن عَنـىً أو جُمـودِ

* * *

مَن له بالنّجـومِ ، بالبـدرِ ، بالشَّمـ.........ـسِ ، ألـيست بصيرةً وهْـو أعمـى ؟
مَن له بالطّيـــور تسبَـــح في الجوّ.........خِفافـاً مَعنًّـى ، ورُوحـاً ، وجسمـا ؟
مَن له بالـنَّسيم ، بالـرِّيح ، بالعـــا.........صِفِ ، تَغـزو الحيـاةَ حربـاً وسِلمـا ؟
حدَّثَ اللّيلُ ، قال : واستقبـلَ العـا.........صفُ ، هذا الطّاغِي الجهـولَ وَهَمّـا
هَمَّ ، فارتَدَّ ، فارتَمَى ، فطوى الدّنـ.........ـيا ، حيـاةً ، ومسرَحـاً ، وخِضَمّـا

* * *

ثار بالبحـــــرِ ثورةً ردَّدَ الكَـــــو.........نُ صَداهـــا ، وردَّدتْـــه السّمـــاءُ
جابتِ الأرضَ ، كَرَّةَ الطَّرف ، وارتَدَّ.........تْ ، نَفـــاذاً ، كما يُحَـــمُّ الـــقضاءُ
أخـرَستْ كلَّ ناطـقٍ ، ودَهَتْ كلَّ.........عَتِـــيٍّ ، فَنَــــاءَ منها الــــفضاءُ
ألبراكيـــنُ ثائـــراتٌ ، أم الشُّهـــ.........ـبُ تهاوتْ ، أم قد أطـافَ الفنـــاءُ ؟
أم تُراه صَدى الجحيم ، وقـد جُنَّـــ.........ـت ، به ، فيـــه ، ساعـــةٌ عَسراءُ !

* * *

لفـظ البحـرُ كلَّ ما اشتمـل البحـــ.........ـرُ ، ولاذَت شطآنُـــهُ بالسُّكـــونِ
وغـدا راجفـــاً ، يَميـــدُ به الهَـــوْ.........لُ ، فيَهْـــوِي إلى قرار مَهيـــنِ
وأعاصيــرُ ذلك العـــاصِفِ العـــا.........صِفِ ، تُلــوِى بمائــه والسَّفيـــنِ

أيبيـــع الحيـــاةَ ؟ كلّا ، ولا عا.........شَ شُجاعٌ بالعمر غيــرُ ضنيّــنِ
فلْيُسالِمْ ، ولْيُعلِـنِ العجزَ ، ما عــ.........ـضَّ ، على عَجْـزِه ، بنـانُ الغَبيــنِ

* * *

حدَّثَ اللّيلُ ، قال : واستنجدَ البحـ.........ـرُ فلانــاً ، أو قال طَوداً أَشَمّــا
معلِنــاً ضعفَــه ، وقــد آنسَ المو.........تَ ، عِياناً ، يدعو الضَّراعـةَ حَزمـا
وترامــى إليــه ، يلتـمِسُ العَــو.........نَ ، وألقــى قيــادَه ، واستَذَمّــا
قال : هيهاتَ ! أن يُجيرَ من العــا.........صف طَودٌ ، يَرى غرورَك جُرمــا
بَيــدَ أنّــي محاوِلٌ لك ، ما رُمـــ.........ـتَ ، ومُلقٍ على سجايايَ غُرمــا

* * *

ومشَى الطَّــودُ ، والمروءةُ تَحــدُو.........هُ ، إلى العاصِفِ المُشيح .. ونَادَى
هِيهِ يا صاحبي !! ومثلُك مَن لَبَّـــ.........ـى ندائي ، لقــد بلـــغتَ المرادا
عادَ رَهواً ، ما كان من قبلُ رَهـواً فعنَـا المدَّعــي ، وعــافَ الجهــادا
حَسبُهُ منك ، ما بلغتَ به الغــا.........يةَ فيــه فمــا أطــاقَ الزّيــادا
ما تَراه قد استكـانَ ، فمــا فِعْـــ.........ـلُك ، فيمن أُلقـى إليكَ القِيــادا ؟

* * *

حدَّثَ اللَّيلُ ، قال : ما أَكرمَ العا.........صفَ ، ما أكـرمَ القـوِيَّ الرَّحيمــا
آثَـرَ العفــوَ ، والكريــمُ صَفـوحٌ إن تولَّـــى عدوُّه مهزومــــا
وسعى البحرُ ، صاغراً ، يُقصِرُ الخَطـ.........ـوَ ، ويُغضِي ضراعــةً وسُهومــا
قال،بل هَمَّ أن يقـول ، فلـم يَقـــ.........ـوَ ، وهــل يُسعِـد المقــالُ عَديما ؟

إنَّها سَقطةٌ ، فهل ينهضُ العفـ......ـوُ ، بأمثالِها ، قويّاً سليما ؟

* * *

ورنا العاصفُ الحَطومُ إلى البحـ......ـرِ ، فألفاه مُطرِقا إذعانا

ورأى الضّعفَ عارياً ، يَنشُدُ الرحـ......ـمَةَ ، هوناً ، ويستعيدُ الأمانا

فاستحَثَّتْ قلبَ العظيم دواعيـ......ـه ، فلبّى الضميرَ والإيمانا

قال : أهلاً بالسِّلمِ ، والوُدِّ ، والعِشْـ......ـرةِ ، صَفواً ، وبالوفاء ضمانا

لك عندي ، ما يَطلبُ الخُلُق السَّمْـ......ـحُ ، مَغيباً ، أُصفِيكَهُ ، وعَيَانا

* * *

حدَّثَ اللَّيلُ ، قال : وانفتَلَ العا......صفُ ، يَعتامُ في الطَّبيعةِ مَسرى

ومضَى البحرُ ، يَرمُقُ الأفقَ غَصّا......نَ ، فتلهو به الكواكبُ سُخرا

راسفاً ، قيَّدَتْ خطاهُ قوانـ......ـينُ السَّوافي والضوءِ ، مدّاً وجَزْرا

فإذا وَصوَصَت عيونُ الدَّرارِي ... أو هَفَت نسمةٌ تلفَّتَ ذُعرا

ذلَّ مَن خاف ، فالحياةُ غِلابٌ فازَ فيه الأحَدُّ ناباً وظُفرا

* * *

وغفا الكونُ ، بعدَ مَلحمةِ الأمـ......ـسِ ، وكانت على الطَّبيعة شَرّا

وأفاقَ الصَّباحُ ، من حُلْمِه البا......سِمِ ، يَندَى هوًى ويَرفَضُّ سِحرا

وتمشَّت أنفاسُه في حواشِي الكو......نِ ، فاستيقظَت روابيهِ سَكْرَى

حدَّث اللَّيلُ قال : وانطلَق الضَّو......ءُ منيراً دنياهُ سَهلاً ووعرا

فاستفاضَ الحديثُ عن أمسِ يُزجيـ......ـهِ فُضولُ الحياةِ سِرّاً وجَهرا

* * *

وحديثُ الفُضولِ يَستضحكُ اللّا ـــهيْ ، ويَضوَى بِوَخزِهِ المَوتورُ

فهْو - إن شئتَه - مُجونٌ مثيرٌ وإذا رُمتَه - شَماتٌ مَريرُ

حدَّث اللّيلُ ، قال : واحتمَل البحـ ـرُ مُجونَ الحياة ، وهْو عَسيرُ

مستشيطاً على الإسار فما يَفـ ـتأُ يَنزو في قيده ، ويَمورُ

فإذا أقبلَ الظَّلامُ تولّا ـهُ قطوبٌ ، لِشَجوِهِ - وفتورُ

* * *

هل يطيقُ النُّهوضَ ؟ هل يملك السَّعـ ـيَ جناحٌ واهٍ ، ورُوحٌ أَسيرُ ؟

القوانينُ للعناصرِ ، يا بَحـ ـرُ ! نظامٌ عن قصدِه ما يَجورُ

والأمانيُّ ، للكُسالى ، تَعِلّا ـتُ عَزاءٍ ، والعيشُ وَهمٌ وزُورُ

وحُدودُ الحياةِ تفسَحُ للأَقـ ـوَى مجالاً ، لكنّها لا تُجيرُ

إن مَلِلتَ الظَّلامَ فالتَمِسِ النُّو رَ ، وهل يَهتدي إليه ضَريرُ ؟

* * *

حدَّث اللَّيلُ ، قال : وانفرد البحـ ـرُ ، يُواسيه شاطِىءٌ مهجورُ

أدبَرَتْ عنهما الحياةُ وأَهلُو ها ، فذَا ضاحِلٌ وذا مَنزورُ[1]

قَنِعا - صاغِرَينِ - بالواقع البَخْـ ـسِ ، ويَرضَى بعيشه المكثورُ[2]

ومضى الدَّهرُ ، لا يُثقِلُ رِجلاً تستوي عنده صَباً ودَبُورُ[3]

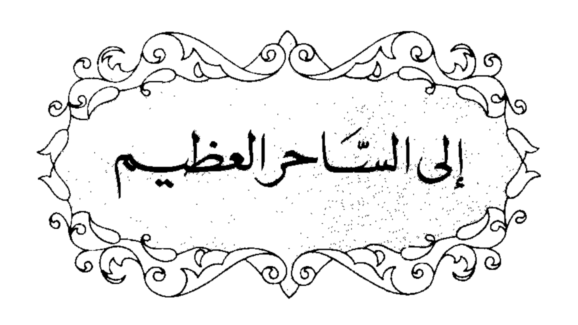
هازئاً بالغُرور والضَّعف والبا طِلِ ، والدَّهرُ بالحياةِ بصَيرُ

---

(١) الضاحل : القليل الماء . المنزور : القليل التافه .

(٢) المكثور : المغلوب بالكثرة .

(٣) الصَّبا : الريح التي تهب من المشرق ، والدَّبور : الريح التي تهب من المغرب .



إلى الساحر العظيم

رَدّدِي يا ريــاحُ ! سخريَــةَ الها.........زل ، يَلهُو بِها الوجـودُ نشيــدا
واركبي البحرَ بالمُجون ، وبالسُّخـ..........ـرِ ، صُدوراً – إذا وَنَى – ووُرودا
وأدِيــري عليــــهِ مِن جامِكِ المرِّ.........كؤوساً ، تَشوي المرائــرَ ، سُودا
فإذا ضاقَ بالحِـراكِ ، وقـد ضَا.........ق ، فلا تَنفُسِي عليـه الرُّكـودا [1]
يقنَــع الخائــرُ العــزيمةِ بالهُــو.........نِ ، ويأبى الطَّمـوحُ إلّا مَزيـدا

* * *

واعبَثِي ، يا رياحُ ! بالبحرِ ، إن ثا.........رَ ، وما ثورةُ الكسيح الحَنيــقِ ؟
واذهبي فوقَ موجه ، مذهبَ الظَّا.........فِرِ ، يَلهــو بضدِّهِ المَعــروقِ
واسخَري ، يا قيودُ ! منهُ ، إذا هَمَّ.........جِرانــاً على الإسارِ ، وضِيقــي [2]
فَهْو ما ثارَ ، أو تَطامَــنَ ، نِكْسٌ يتلظَّــى بحسرةِ المَسبــوقِ [3]
وسبيلُ المغلــوبِ في زحمة الدُّنــ.........ـيا ، على يأسِهِ ، سبيلُ الغريــقِ

* * *

فإذا صاحَ أو تخبَّــطَ ، لم يَدْ.........عُ غِلاباً ، صريخُــه واضطرابُــهْ

---

(١) نَفَسه : ينفُسُه : أصابه بعين حاسدة .
(٢) الجِران : وقوف الدابة حين يطلب منها الجري مع رجوعها القهقرى .
(٣) النّكس : الرذل المقصر عن غاية النجدة والكرم .

فاحترابُ الأمواجِ ، حرَّكها العاصفُ ، فِعْلٌ لِلفاعليه انتسابُهْ
وَهْو - إنْ خِيلَ مَظهرَ البأسِ للبحرِ - كِذابٌ ، إنِ ادَّعاهُ عُبابُهْ
فَمتى عُدَّ سابحاً راكبُ اليمِّ ، وقد أسلم الحياةَ إهابُهْ ؟
ولقد تَدفعُ الرِّياحُ جماداً أَفيُدنِيهِ من حياةٍ وِثابُهْ ؟

* * *

إنَّما تُنسَب الفِعالُ إلى الفاعلِ ، والبحرُ للرِّياح مَقُودُ
تَتَوَّلاهُ ، كلَّما شاقَها السُّخرُ بعَصِفٍ ، تذوب فيه الرُّعودُ
ولَسُخرُ الرِّياح ، ويلٌ على البحرِ ، ثقيلٌ ، قديمُهُ والجديدُ
كم يُعاني منه ، ويا بِئسَ ما عانَى من الهَول ، مُستَضامٌ مَسودُ
شَدَّ ما آدَهُ وطامَنَ منه أن تُجيدَ الرِّياحُ ما لا يُجيدُ

* * *

آدهُ أن يُعانقَ الأرضَ . والرِّيحُ عليه رُواقُها ممدودُ
ملَكَتْ دونَه المسالكَ والجوَّ لَها ، لا لَهُ - العُلا والبُنودُ
ساحباتٍ أَذيالَها فوقَ هاماتِ أَواذِيِّهِ ، وهنَّ هُمودُ
وحقيقٌ بالذُّلِّ في موقف الجِدِّ وغاياتِه ، الضَّعيفُ الحسودُ
والأعاصيرُ للطَّلاقة والفَوزِ ، ولِلبحرِ ذُلُّهُ والحدودُ

* * *

إن قَسَتْ طَبَّقَتْ - ثقالاً - مدى الأُفْقِ ، وفاضَت على الزَّمان ثُبورا [1]
أو حَنَت ، ردَّتِ الحياةَ نَعيماً والجَديدَينِ شَعْرَها المنثورا

(١) الثُبور : الهلاك .

كامنـــاتٌ فيها قُوًى هَدَتِ العِلـــــ.........ـمَ ، وألــقَت على المساتيـــرِ نورا
زاخـراتٌ بالمعجـزات ، فمـا يفـــ.........ـتَــأ قانـــونها الـــرَّوِيَّ الغزيـــرا
كَم نضَا العلـــمُ من ستـــورٍ عليها   فأُجِـــدَّت أعقابُهـــن سُتـــورا

* * *

أَلِغَيــرِ الهواءِ هذا الثَّـــراءُ الجَـــ.........ـمُّ ، في ذلك الجلالِ الكبيـــــرِ ؟
ولِمـا قد طوَى الأثيــرُ ، وناهِيـــ.........ـكَ بما فِي مُغيَّبـــاتِ الأثيـــرِ ؟
أَلِمـا كان ، يا خُضارةُ من جهـــ.........ـلِكَ تَرمِـــي أسرارَهُ بالنُّـــزورِ؟ (١)
أمْ لِمـا فيـه من أعاجــيبَ للخـــا.........لق ، تُزْرِي بالعَيلَـم المسحـــورِ ؟
قد تمَشَّت بهنَّ آياتُـــه الـــلُّـــ.........ـنُ ، على مارِنِ الجَهول الكَفـــورِ (٢)

* * *

الرِّياحُ ! الرِّياحُ ! مُذْ كُنَّ - للغَيـــ.........ـثِ ، وللبحـرِ ، والنبـاتِ لواقـــحْ
وَهْي فيمـا رأيتَ من قبـلُ ، يا بحـــ.........ـرُ ! غوادٍ على حَشاك ، رَوائـــحْ
سانحاتٍ طَوراً ، تُطـارِحُك اللِّيـــ.........ـنَ ، وطَوراً - وإن كرهتَ - بوارحْ (٣)
ولـدَيها من الألاعيـبِ شتَّـى ، أنـــ.........ـتَ منها عَيْـرٌ ، يُقـــاس بسابـــحْ (٤)
بَيـدَ أنَّ العظيـــمَ يُولَـــعُ بالسُّخـــ.........ـرِ ، وكم راضَتِ الهَنـاتُ القرائـحْ (٥)

* * *

حُجَّـةُ العـــاصِفِ المُـــدَوِّمِ يا بحـــ.........ـرُ ! فِعـالٌ ، تخافُهـا - ومَلاحِـــمْ (٦)

---

(١) خُضارة : (بدون أل) اسم من أسماء البحر ، سمّي بذلك لخضرة مائه .
(٢) المارن : الجزء الليّن من الأنف .
(٣) السانح : الطائر المار من اليمين (وهو المتفاءل به) . البارح : الطائر المار من اليسار (وهو المتشاءم به) .
(٤) العَيْر : الحمار .
(٥) الهنات : جمع هَنَة وهي الشرور والقبائح .
(٦) المدوّم : المحلّق عالياً .

كلما زدتَها لَجاجاً أذاقَتْـــك نَكالاً ، يَشفِي السَّخيمةَ ، جاجِمْ
سيرةٌ ما تزال تلقاكَ بالويـــل ، غَضوباً ، وبالهوان ، مُسالِمْ
صيَّرَتْ ظهرَكَ العَصِيَّ ذَلــولاً ، وتولَّتْك بالبُرَى والشَّكائم [1]
اِنتَصِفْ إن أُطقتَ ، أو فاخفِضِ الرَّأ ســَ على ذِلَّـةٍ ، وأنفُك راغِـمْ

* * *

ما أَرى جُهدَك الجَهيــدَ على هـــذا التَّسامِي إلّا فُضولَ جَهالـهْ
وبماذا تَروم مَطلبَك الصَّعـــبَ ، وقد زادك الطِّماحُ ضَآلـهْ ؟
قد عَداكَ النَّجاحُ في المُمكنِ الدَّانِي ، فمَسعاكَ للمُحالِ ضَلالـهْ
وإذا ضاق دونك المَسلكُ الرَّحـبُ ، فهل يَفسَحُ المَضيقُ مَجالَهْ ؟
ما غَناءُ الأحلامِ ، وَهْيَ أمانيٌّ ، إذا كانتِ النُّفُوس كَلالَـه [2]

* * *

لستَ يا بحرُ ! في الحقيقـةِ إلا قَطـرةً في محيـط هذا الهواءِ
أنتَ للنَّقصِ بين جَزرٍ ومَــدٍّ وهْو - رغمَ الأنوف - للإرباءِ
ولَكَم سامَك الهوانَ ، فأغضَيــتَ ، مريضَ الحشا ، على الأقـذاءِ
تتـأسَّى ذلّاً بشطآنكَ السّوءِ ، تأسِّيْ الضَّعيفِ بالضّعفـاءِ
تشتري العيشَ بالضّراعـةِ يا بحـرُ ! وبِئسَتْ مِن خُلّـةٍ نكـراءِ

* * *

(١) الشكائم : جمع شكيمة ، حديدة لجام الحيوان . البُرى : جمع بُرَة ، حلقة تجعل في لحم أنف الحيوان .
(٢) الكلالة : من كان عبئاً على سواه ، أو الميت الذي لا والد ولا ولد له يرثه ، بل يرثه ذو قرابته .

إنَّ نفسَ الحقيـــرِ تأنسُ بالعَـــو.........نِ ، وشأنُ العــظيم أن يتفـــرَّدْ
وإبـــاءُ الأبـــيِّ يُركِبُـــه الوعْـــــ.........ـرَ ، فيلقَى الأخطـارَ غيـــرَ مُزوَّدْ
والجبانُ الهلـــوعُ يحتمـــلُ الضَّيـــ.........ـمَ ، ويَـــرضاه للسَّلامـــة مَقعـــدْ
وسبيلُ القـويِّ أن يفـرَعَ الصّعـــــ.........ـبَ ، ولـو كانت اللَّهـازمُ مَصعَـدْ [1]
رُبَّ مَوجٍ يُريكَ ظاهـــرُه البَـــأ.........سَ ، إذا هبَّ عاصفٌ يتبـــــدَّدْ

* * *

والأباطيـلُ ، يا خُضارةُ ! لا تَبـــ.........ـقى طويلاً ، إن أصبح الهزلُ جِدّا
أتُـــرَى مُرسِلَ الحقائـــقِ بيضاً مثلَ من يَقحَـم الأكاذيبَ رُبـدا ؟
والأباطيـــلُ شأنُ مثـــلِكَ ، يا بحـ.........ـرُ ! ومـا أوخَـمَ الأباطيـــلَ وِردا
والـذي يألَـف السّراديبَ لا يَرضـ.........ـى ، ولو سُمتَه ، الطريـقَ الأَسَدّا
مَنْ عَذيرى مِن كاذبٍ ، يدّعي الصّد.........قَ ، ووغـدٍ يرى المَسبَّةَ حَمـدا؟ [2]

* * *

وضعيفٍ يَنـزو ، إذا آنسَ الرَّحـــ.........ـمةَ ، لكـنْ إذا تخيَّـفَ ، أكـدى [3]
وطبـاعُ اللئيـمِ تُصلِحهـا الــقَسـ.........ـوةُ ، والعنـفُ بالنَّذالـة أجـــدى
ومتـــى ضِقتَ بالجهالـــة ذَرعـــاً فسبيـــلُ الــرّشاد أن تَستبـــدّا
رُبَّ ذي عنجهيَّـــةٍ إن رأى اللّيـــ.........ـنَ تعـــالى ، وإن أُهيـــنَ تردَّى
وإذا اعتـــلّتِ النّفـــوسُ غروراً خالتِ الأعيـــنُ الغِوايـــةَ رشدا

* * *

---

(١) فرع : طال واستعلى ، غلب . اللهازم : جمع لهزمة ، عظم ناتئ في اللَّحْي تحت الحنك .
(٢) مَن عذيري : من ينصرني ويعذرني .
(٣) نزا : ينزو : وثب ، تحرك . تخيّف : خُوّف ، وأُرعب . أكدى : تصاغر وذل .

إن أَلظَّتْكَ بالمواجع دنياكَ ، فغَوِّثْ بأنَّةِ المحرومِ
ما حمتكَ الأمواجُ ، والصَّخَب الواهنُ ، لكنْ مروءةٌ من كريمِ
وقديماً ، حماك مَهلكةَ الجُوع ، فلاقيتَه بفعلِ لئيمِ
ليتَه إذْ أَسَا جراحَك لم يُمْنَ بشرٍّ ، من طبعِك المسموم
أجِنَتْ نفسُك الخبيثةُ ، يا بحرُ ! فباحت بِنَتْنِكَ المكتومِ ؟

* * *

الهواءُ الجبَّار ، أرجوحة الموتِ ، فجرّبْ ، يا بحُر ، فيها كِفَاءَكْ [1]
وهي أخراكَ ، إن تعجَّلتَ ، أو كنتَ بطيئاً ، فما تَزُودُ فِناءَكْ
سئِمَتْ هذه النّفوس أضاليلَكَ مذ آثر الزّمانُ انطواءَكْ
وغداً ، يَشهدُ الزَّمانُ تَردِّيكَ ، وتَطوِي ذُؤابتاه حِواءَكْ
وتديرُ الشُّطآنُ بعدَك ذكراكَ ، وتجترُّ في لُغوبٍ رثاءَكْ

* * *

شِخْتَ ، يا بحُر ، والجهالةُ تَحدوكَ ، فهل أنت للجهالة نِدُّ ؟
رُبَّ شادٍ يَزهو بمَخبرِه العقلُ ، وشيخٍ لم يَبلغِ الرّشدَ بَعدُ
والحِجى ، والحفولُ ، والعمقُ ، والقوّةُ ، والصّدق ، والمَدى الممتدُّ
تائهاتٌ بمن أذلّك ، يا بحرُ ، كما تاه بالصِّقال الفِرنْدُ
ولك الجهلُ ، والضُّحولة ، والإسفاف ، والكِذْب ، والضَّنى ، والوَهْدُ [2]

* * *

(١) الكِفاء : المثل ، النظير .
(٢) الوَهد : المنخفض من الأرض .

الجديدُ ، الصّحيح ، لا كلُّ ما أَز.........جاهُ قَرضٌ ، أو جال فيه خيـــالُ
ولَسِرُّ الحيـاةِ أخفـى على العقـــ.........ـل ، ولِلعقــــلِ دون ذاك مجالُ
ووراءَ العِيان ، ما أعجـزَ العلـــ.........ـمَ ، فألْوَى بالزّاعميـهِ الكــلالُ
إنَّ في كلِّ ذرَّةٍ عالَمـــاً حيّـــ.........ـاً ، خَفيـــلاً بسِرِّه يختــــالُ
وستَمضي العقولُ طولاً وعـرضاً وتَكُــرُّ الأيّــام والأجيــالُ

* * *

ومَــدى هذه الحيــاةِ ، ومعنـــ.........ـاها ، خفيّـانِ ، والمزاعــمُ وَهْــمُ
والــذي أودعَ العنـــاصرَ ما شا.........ءَ ، له وحــدَه ، الهدى والعِلـمُ
هي مبنى الوجـود ، والرّوحُ معنـا.........هُ ، ولا ريبَ ، والمقاديـرُ نظـمُ
فإذا أضحت العنـــــاصرُ آلا.........فاً ، فما يَدفـعُ الأهـمَّ المُهِـمُّ
إنّ كَونـاً يَعـجّ بالنّــاس ، قد كا.........نَ له والــــدٌ وحيـــدٌ وأمُّ

* * *

وثَـــراءُ الهواءِ تعرفُـــه النّــــ.........ـارُ ، ويَعنــــو له الثَّـــرى والماءُ
وهما دونَــــــه جمادانِ ، هذي عُنصرٌ هامــــدٌ ، وذاك خَواءُ
وَهْـو في الماء نبضُه الدّائمُ السَّيْــ.........ـرِ ، فإن غاب فالبحــار لَغــاء [1]
وَهْــو مُزجِــي عُبابِهـا حيثما شا.........ءت تصاريفُــه ، وشاء الــقضاءُ
خاضعاتٍ له – على كُرهِها الأيـ.........ـنَ ، وهل تأنفُ الخضوعَ الإماءُ ؟

* * *

(١) لَغَاء : ما لا يعتدّ به .

إنَّ بَدْءَ الوجـود ، والخالـقُ اللّـــ...........ـهُ ، هواءٌ مُدَوِّم ، وظــــــلامُ
مُدلِجٌ فيهما المَدى ، حائرَ الخَطـ..........ـوِ ، ومـن حوله السَّديـــمُ ركامُ [1]
حين لا بَحـــرَ ، والأديـــمُ هَبـاءٌ لا ، ولا ضوءَ ، والجِـواءُ جَهــامُ
فسَلِ البحرَ ، أيـن كان ؟ ومـا كا..........ن ؟ تُحِبْك الفـروضُ والأوهـــامُ
من غريرٍ يَرى الجَسامـــةَ فخـــراً وهْيَ - إنْ تُخْطِئِ الرَّجاحةَ - ذامُ

* * *

صَغُرَ البحرُ ، ما الذي كانـهُ البحـ..........ـر ، إذِ الكـــونُ جمرةٌ تتلـــهبْ ؟
أطفـــأتها الميـــاهُ ، وهْـــي بخارٌ حوَّلتْـه عواصفُ الـرِّيح هَيْـدَبْ [2]
وتجاويفُـهُ ؟ وهـل هي ، لولا الــ..........ـمـــاءُ ، إلّا حفائـــرٌ في سَبسَبْ
أفكـانت تكـونُ لو تُمسِكُ الريــ..........ـحُ شآبيبَهـــا الغنيَّـــةَ مركَبْ ؟
وبماذا يعتَـــدُّ من عافتِ الأنـــ..........ـفس غِشيانَه ، اصطحاباً ومَشربْ ؟

* * *

ذاك ، يا بحرُ ! مبدأُ البحر في الكَو..........نِ ، جماداً ، وغَيهبـــاً ، وأثيرا
كان جزءاً صُلباً من الأرض ، يُصليـ..........ـهِ سعيـرُ الـنّيران فيها النّـكيرا
فإذا ذاب أبـــردَ الماءُ جنبيـ..........ـهِ ، أهـلَّتْ به الرّيـاح غزيـرا
فأصابتْه بالرَّخـاوة ، والرِّخـوُ ضعيـ..........ـفٌ ، وإن تعاظــــم زُورا
فَهْو - مادام - مركبٌ ليِّنُ الظَّهـ..........ـرِ ، وإن ظنَّـه الضّعيـفُ عسيرا

* * *

(١) المدلج : السائر من أول الليل ، السَّديم : الضباب .
(٢) الهيدَب : خمْل الثوب .

إن حسِبتَ التيّارَ من صنعة المو ج ، تحدّاك صمتُه والرّكودُ
هو للرّيح خادراً ومُضِيرا ولأمواجك الوَنَى والجمودُ
أو زعمتَ الشّطآنَ موئلَك العا صمَ ، أقذاك ركنُها المهدودُ
ذاكراً ما لقيتَ فيها وقد أسْ خنَ عينيكَ ، يومُها المشهودُ
ولأحيائِك الهزيلةِ ، يا بحـ ـرُ ، بروقٌ ، زعمتَها ، ورعودُ

* * *

فتحدَّثْ عمّا وراءَك منها فَهْي ديدانُك الكبارُ الصِّغارُ
ألصَقَتْها بالقاع ملحمةُ الأمـ ـسِ ، وألْوى بلونها الإعصارُ
فإذا رنَّمتْ فذاك أنينٌ يتعالى عن خنقِهِ الجبّارُ
كم ضعيفٍ أقاله ضَعفُهُ المو تَ ، وَدُونٍ تعافُهُ الأوطارُ ؟
كنْ لها مخبَأً وقبراً ، فما تقـ ـوى على العيشِ ، هذه الأعثارُ

* * *

ضاق ذَرعاً بكَ التَّشكُّلُ يا بحـ ـرُ ! وهذا دليل ضَعف ثباتِكْ
كنتَ شمساً لولا الظّلامُ ، فبدراً ، يتمشّى الحنوُّ بين سِماتِكْ
ثمَّ بحراً ، والبحر ملعبةُ العا صِف ، أوهَى بِهَوْلِه عزَماتِكْ
ثم ماذا ؟ يا ساحرَ الحبلِ والعُقـ ـدَةِ ! خَبْخِبْ بمعجزاتِ عَصاتِكْ [1]
أخُواءٌ بعد الثَّقافة ، يا قَزْ مَلُ ، تُرجي به ختامَ حياتِكْ ؟

* * *

(١) خبخَبَ : استرخى ، اضطرب .

نحنُ في دولـةِ الحقائـقِ والفكـــــــرِ ، فما تُخطىءُ العيون الحِبالا
أَلقِهـا ناشراً ضعيـفَ ألاعيـــــــبِكَ ، تُضحِكْ بِسخفها الأطفالا
كلما صِحتَ يا ثعابينُ ! أو دَمــــــدَمْتَ زيفاً خَفّوا إليك عِجـالا
وأجالوا في قُفَّة السّاحــر القَــزْمِ عيونـاً ترى المَحـال مُحـالا [(١)]
قد تولّى الزّمانُ ، يا سِلْخُ بالسّحـــــرِ ، وأَلــوَى به الجديـــدُ فزالا

* * *

وطوت صرخةُ الشّبّـاب أمانيـــــــك ، وما يُعجز القويَّ الضعيفُ
دع مجال الجيـادِ للنّفــر السُّبّـــــقِ ، وازحَف فقد عداك الوحيفُ [(٢)]
فوق ما تستطيعُ من سحرِك الأعــــــرجِ ، سُخْرٌ تغزوك منه صنوفُ
أنتَ منها ، كما يكـونُ من الطَّـوْ ـــد المُنيفِ الذُّرى ، الهزيلُ الخفيفُ
بهلوانيةُ الحِجى غَرضُ الحَمـــــقَى ، ويَروي ظَما المُقِلِّ الطَّفيفُ

* * *

ليس إلا الحبالُ ، يا ساحرَ العُمـــــي ! فأعــــدِدْ مُغارَهـا للبرازِ [(٣)]
وتخيَّــرْ طُوالَهــا ، تدفَــع التُّهـــــمَةَ ، عنها وعــنكَ ، بالإعــوازِ
فعساها تُعَدّ ، إن أفلسَ السِّحـــــرُ ، دليلَ الخُفــولِ والإعجــازِ
لن ينالَ الثّرثـارُ ، بالطُّول والإطــــنـابِ ، شأْوَ البليـــغ بالإيجازِ
إنَّ بعضَ الإسراف يُشعِـر بالعُـــدمِ ، وبعضَ الكـلام مثلُ النُّحـازِ [(٤)]

* * *

(١) المَحال : (بفتح الميم) ، جمع المحالة : الحيلة ، لابدَّ منه . والمِحال (بكسر الميم) الكيد . والمُحال : (بضم الميم) ، المستحيل .
(٢) الوحيف : مكان بمكة كانت ترمى به الجِيف .
(٣) المُغار : الحبل المفتول فتلاً شديداً .
(٤) النُّحاز : داء يصيب الدابة بالسعال الشديد .

والقليلُ الفيَّاضُ بالحُسن والرَّوعةِ ، يَغنو له الكثيرُ الحقيرُ
إنَّما توزَن الجواهر بالمِثقالِ ، والمعدِنُ الخسيس وفيرُ
وتَزينُ الكلامَ مقدرةُ القائلِ ، يَزهو به الحِجى والشّعورُ
ولقد يؤثَرُ الصّموتُ على القولِ ، ولا يَبلغُ القليلَ الكثيرُ
ويكونُ الكثيرُ دَحضاً إذا أُرسَلَ آياتِه المِفَنُّ البصيرُ [١]

* * *

أثَرُ الفنّ في النّفوس نداءٌ لمعانيه لا تدقّ الطّبولُ
والأُجاجُ المَرير ، وَهْو غزيرٌ ، دونَ ماءِ الغَمام ، وَهْو قليلُ
وصنيعُ الفنَّان في الصّورة الصُّغرَى كبيرٌ ، رغمَ الحدود ، مَهولُ
وعسى نبرةٌ يِنِدُّ بها الصَّوتُ ، وقد دَقَّ دونَها التّهليلُ
وعسى جملةٌ من اللّفظ ما يَبْلُغ تأثيرَها ، الكلامُ الطّويلُ

* * *

أيُّها الساحرُ المدمدِم بالشعرِ ، هزيلاً ، وَهو القَمِيءُ الهزيلُ
مُدَّعو السِّحرِ والقريض كثيرٌ غيرَ أنّ المصدّقين قليلُ
ولَبعضُ الكلام والسِّحر ، يا بحرُ حُواءٌ ، وبعضُه تضليلُ
والمعاني على الجميل شُهودٌ وعلى قُدرة القدير دليلُ
رُبَّ سيفٍ يرتَدُّ في كفِّ ذي الجُبْن كَهاماً ، وهْو الجُرازُ الصَّقيلُ [٢]

* * *

(١) المِفَنّ : كثير التفنن .
(٢) الجراز : السيف القاطع . الكَهام : السيف الكليل غير القاطع .

أنتَ من سحرِكَ الملفَّقِ في دنـــ.........ـيا خداعٍ ، وهـــل يَرى المخدوعُ ؟
وعلى عرشِكَ الخيالـــيِّ ، مذْ أذَّ.........نَ داعـــيك ، هُزْأَةٌ مخلـــوعُ [1]
وحوالَيك ، من خَشاشِ الأنـــاسِـ.........ـيِّ ، أصولٌ كرهتَها ، وفـــروعُ
ذاك سُورٌ مهـــدَّم ، أنت فيـــ.........ـه ، كلَّ يومٍ ، مُرزَّأٌ مفجـــوعُ
كلّمـــا قلتَ : قام جانِبُـــه ، ما.........ل ، وخَرَّتْ على قفـــاك الصُّدوعُ

* * *

كلُّ دعوى سَبْقٍ يكـــذِّبها الـــوا.........قعُ ، يومَ الرِّهان ، دعوى الكسيحِ
وكـذا تَسخـــر الحيـــاةُ ، وتلقـــا.........ك ، إذا رُمتَها ، بوجه المُشيحِ
قد كفَتْه الكفـــاحَ خيبـــةُ آمـــا.........لكَ ، فيها ، وآهـــةُ المقـــروحِ
أيُّ غايـــاتِك المقيتـــةِ لم تَبـــ.........ـكِ عليها بعَبرة المكبـــــوحِ ؟
قَسَماً ما تُصيب من عيشِك المُـــ.........ـرِّ سوى ما تُصيب كفُّ الطَّليـــحِ !

* * *

تُرَّهاتُ الأوهـام ، يا ساحرَ القُفَّـ.........ـةِ ! تغـــدو فضيحـــةً لِذويها
وفنونُ الجنون كُثرٌ فهـــلّا اعْـــ.........ـتَـــمْتَ منها أدقَّهـــا تمويها [2]
قَدُمَت هذه الألاعيبُ ، مذ شِخـــ.........ـتَ ، فجـــدِّدْ طِلاءَهـــا لِتَـــقيها
وتفتَّـــقْ عن لعبـــةٍ ، تخدَعُ النّـــا.........سَ ، تكنْ بعدَهـا السَّرِيَّ - النَّبيها
وتنكَّبْ مصارعَ الجِـدِّ ، فالجِـــ.........ـدُّ زَبـــونٌ ، يَطـــيش رأسُك فيها [3]

* * *

(١) الهُزأة : الرجل يُهزأ منه .
(٢) اعتمت : من العتمة وهي الظلام .
(٣) الزبون : الشديدة الصدام .

إنَّ دون الــــذي تحاولُ ، يا لفّـــا.........قُ ، بالزَّيــفِ والعـــزائم ، صِلّا [1]
يَلقَفُ الزَّيفَ ، والرّعونـةَ ، والبا.........طلَ ، والسّحرَ ، مكثِراً ، ومقِلّا
بين فكّيــــه مصرعٌ فاغــــرٌ فا.........هُ ، تلاقِي فيه الرّغـائبُ ثُكــلا
ينتهي السّحر عنده ظاهرَ الضّعــ.........ـفِ ، وتجثـــو بهِ الخوارقُ عُزلا
ينفُض الساحرون باطلَهــم فيــ.........ـه ، ولو خُيِّروا لصانوه بُخــلا

* * *

لم يضِق بالـــنّضال ماضيـــه والحا.........ضرُ ، أو أفقُه البعيـدُ الرحـيبُ
شَغَلَ الناسَ صيتُه البـارزُ النّـا.........صعُ ، حبّاً ، وسَطوُه المرهـوبُ
وأفاعيلُـه بمثــلِكَ ، لا السّحْـــ.........ـرُ اتّقاها ، ولا ثَناهـا اللّهـيبُ
يَرجُف الموجُ دونَها مُرعَدَ العمـ.........ـقِ ، ويَقذَى بها الفضاءُ الرّغيبُ
تلك آثــارهُ تحدّى بها الـــعُصْــ.........ـمَ ، وإن كابرَ الخِصمُّ الكذوبُ [2]

* * *

صاغَها معجِزاً ، ورتّلهـا شِعــ.........ـراً ، تغـنّتْ بسحـره الأيـــامُ
وأصاب الجَمـــالُ فيها أمانيْـ.........ـه ، رُواءً ، والفـــنُّ ، والإلهامُ
مِن ينابيعهــا تدفّـقتِ الفتــ.........ـنةُ ، سُكْراً ، ما تدّعيه المُـدامُ
تَتغــذّى به النّفــوسُ ، وتستهـ.........ـدي سَناه ، القلـوبُ والأقـلامُ
كُتِبَتْ في صحائِف الخُلد ، والخلـ.........ـدُ لأشباهِهـا – وقُـلتُ – تُوامُ

* * *

---

(١) الصِّلّ : أخبث الحيات .
(٢) العُصْم : جمع عِصْم وهو المتمكن ، المعتصم بالمكان أو بغيره .

كاثَرَتْ بالقليلِ أَغنَى المجدّيـ........نَ ، فما يفعل القَمِيءُ المقِلُّ
اَلَّذي يزعُم الإطالةَ في القو........لِ ثراءً ، وشأنُه منه ضَحلُ
مَطَلَته الذّرى أمانيه ، فأقـ........ـعَى ينوءُ طَوراً ويغلو
قلِقاً ، ما يَقِرُّ ، كالموثَق المجـ........ـهودِ ، أَلْوى به قويٌّ مذِلُّ
بِمَ يحتال للحياة ؟ وهل يَلـ........ـقى مَجالا بين الغضافِرِ وَعلُ ؟[1]

* * *

مسرَحُ الأسدِ ، يا وعولُ ! على البعـ........ـدِ ، خيالٌ عذبٌ ، وحُلمٌ جميلُ
أقبلي ، أدبِري ، حوالَيه ، لا يثـ........ـنيكِ عن وِرده الرَّوِيِّ ، نُكولُ
وأُزيحي السّتارَ عنه، فما تر........هَبُ ، ما يَحجب السّتارُ ، الوعولُ !
فإذا أيقظَتْكِ رائحةُ الأسـ........ـدِ تَناءَى بكِ السَّبيلُ الطَّويلُ
والمَدى بينها وبينكِ وعدٌ شهِدَ الجبنُ أنّه ممطولُ

* * *

فاصنَعي بالخيالِ ، ما يجعلُ الوا........قعَ كِذْباً ، وخِدعةً أو هُراءَ
أتكونُ الحياةُ وَعليَّةَ الطّعـ........ـمِ ، إذا الحقُّ ، في دجاها ، أضاءَ ؟
ولذا كانت الوعولُ على الأسـ........ـدِ قياماً ، وما تقول افتراءَ
أفما ترسلُ النَّبيبَ طويلاً ؟ فهْي أقوى من الضَّواري أداءَ[2]
ذاك من منطقِ الوعول ، وهل تبـ........ـلُغُ منه الليوثُ إلّا مِراءَ ؟

* * *

---

(١) الغضافر : جمع غضنفر وهو الأسد الكاسر .
(٢) النّبيب : صياح التيوس .

فإذا قلتَ : إن في زأرة اللَّيـ ... ـثِ لهيباً ، يذوب فيه النَّبيبُ
ودبيباً يمشي له الشَّيْبُ في الأنـ ... ـفسِ ، لو كانت النّفوسُ تَشيبُ
ومعانٍ من الصَّلافة ، والقوَّ ... ةِ ، والهَول ، دونَهنَّ الخطوبُ
أنكرتْ قولَك الوعولُ ، وأدْلَت ... بِهُراء يَحار فيه اللّبيبُ
واستجاشَت صغارَها ، ومَضَت تُمـ ... ـعِنُ في تيهِ جهلِها ، وتَلوبُ

* * *

وتعاوَت ، يصيحُ هذا فيتلو ... هُ مُسِفٌّ ، أو أُرعَنٌ مستخفُّ
وأجالَت أذنابَها في مجالِ الـ ... أمنِ ، والأمنُ للمهازِيل سِجفُ
أتَراها تجولُ في مَربَض الآ ... سادِ ، حيث النّفوسُ تَهوي ، وتطفو ؟
لا ! ولكنَّ في النبيبِ عَزاءً ... فليكنْ نبعَها الذي لا يَجفُّ
هي في حُرمةٍ من الضَّعف والعَجـ ... ـزِ ، وليثُ الشَّرى قويٌّ يَعِفّ

* * *

وهْي في مخبأٍ ، تُجانبُه الأُسـ ... ـدُ ، حياءً ، أو سَمِّه : إبقاءَ
أفما تَفْرَقُ الوعولُ إذا لا ... ح خيالُ الشَّرى ، فما تَتراءى ؟
فلها أن تصولَ بالقَرن والظِّلـ ... ـفِ ، وأن تملأَ الحياةَ هُراءَ
ولكلٍّ مدًى ، وقد عرفَ النّا ... سُ مَداها ، حقيقةً وادّعاءَ
ولِمَن أثخنَتْ صروفُ الليالي ... فيهِ أن يُشبِع الصُّروفَ عِداءَ

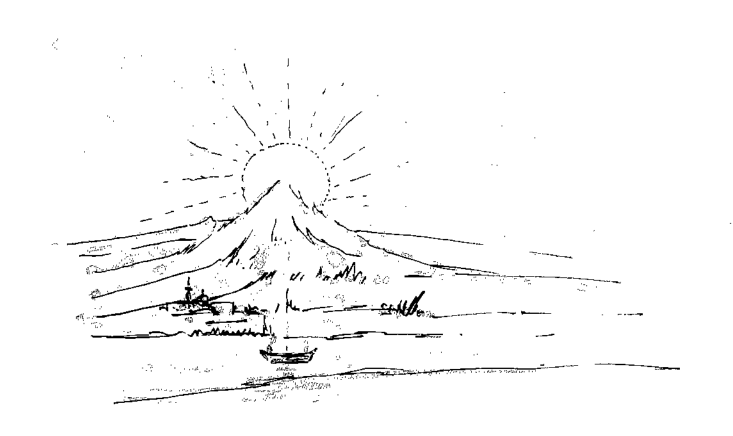
* * *

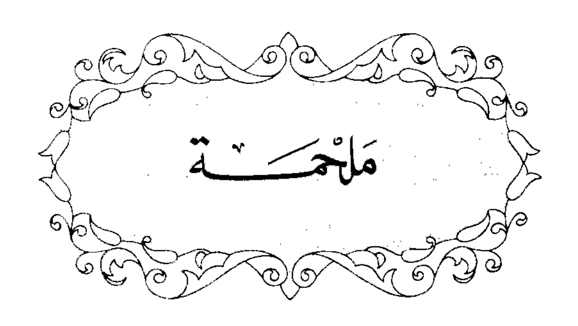
ولقد تَصمُتُ السِّباعُ ، وفي الصَّمـ ... ـتِ أداةٌ من بأسِها وقُواها

ولقـــد تصرَخُ الوعـــولُ ، وفي ذا.........ك معـــانٍ من خوفهـــا وجَواهـــا
فإذا ما تكشَّفتْ ساعـــــــــةُ الهو.........ل حَمَت وثبةُ السِّبـــاع شَراهـــا
وطوَت مسرحَ الوعـولِ ، ودكَّتـــ..........ـهُ ، فأمسى بقاؤُهـــا كفَناهـــا

* * *

وانـــزوَت تُشبِـــعُ الظَّـــلامَ عُواءً   أو أنينـــاً ، فمـــا تُطيـــقُ العُـــواءَ
ولقـــــــــد يَعصِفُ الهواء بمأوا.........ها ، فيغـــــدو به الهواءُ هَبـــاءَ
فإذا أقبـــلَ النَّهـــارُ اطمـــأنّتْ   وأقـــامت عواصِفـــاً هَوْجـــاءَ
زاعمـــاتٍ قرونَهـــا أَسَلَ الطَّعـــــ..........ـنِ ، وآيـــاتِ نصرِهـــا الغُلَـــواءَ





مَلْحَمَة

خير ما يُتقرَّب به إلى الله ، هدمُ الضَّلالات . وشرّ الضّلالات ما اتّصل ببواطن النفوس المطمئنة ، فمسَّ موضعَ الإيمان منها ، أو اصطاد العقائد الثابتة ، فوخز قُدْسَ الثّقةِ فيها ، متلبّساً بلباس السَّلاح والتّقوى .

وبعد ، فهذه كلمة نَذود بها عن الحقّ والدِّين ، وما نطيق أن نسكتَ على أن يزعم زاعم أنّ القرآن نشيدٌ يضاهي أناشيدَ المخاليق ، وتُتلمَّس الصِّلة بينه وبين موسيقى (بتهوفن) وغناء (مَعْبَد) .

ونستمدّ العونَ من الله ، وحدَه ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .

(الناظم)

قلْ لِضاوٍ ، خافَ الصِّيال ، فعَرَّدْ   لِمَ ؟ والعهدُ بالسَّبيل ممهَّدْ ؟[1]

تتوارى خلفَ الكناياتِ والرَّمـ   ـز ، كما يَرسُف السَّجينُ المصفَّد ؟

ما مديحُ النَّبيِّ تُقْيَةُ مَن مُسَّ   فَحَامَى ، أو استشاط ، فعَربَد

هو قدسٌ ، لا يَنتحيه الصَّعاليـ   ـك ، وطودٌ لا يَستجيب لِمُقْعَد

والجهادُ الصَّريح شأنُ القديريـ   ـنَ ، فهلّا ! وموقفُ الجِدّ يَشهد !

* * *

(١) الضّاوى : الشديد الهزال . الصيال : المبارزة . عرَّدَ : هرب .

يا مُسمِّي آيَ الكتـــابِ نشيـــداً ومُضاهِيـــــهِ بالنَّظيــــــمِ المقصَّدْ
أيُّ أعمـــى بصيرةٍ قال ما قلـــــتَ، وأجرَى (بتهوفن) فيهِ و (مَعبَد)؟[1]
أفكـــان القـــرآنُ تطـــريبَ شادٍ يَتغنَّـــــى به لسانُ (محمَّـــــد) ؟
إنّهـا عَثْـرَةُ الضَّلالـةِ ، والحقُّ لأمثالِهـا ، وشُهْبٌ ، بمَـرصَد
لا لَعاً ، والدفاعُ عن شِرعة الدِّيـن جهادٌ ، إن حَقَّ لا نتردَّدْ[2]
واختَرَطْنـــا له براعــــةَ جبّـــاريـن ، خُمْسٍ ، من حاسِرٍ ومُسرَّد[3]
وهُدى الدّينِ قائدُ الفِطَرِ السَّمْـحُ ، ومَن يُخطِئِ الهدايةَ - يَجحد

* * *

أنكرَتكَ الأفهـامُ ، يا مرسِلَ الشّعـــرِ ، مَتاعاً ، لا كان مُزجيه ، مُكسَد
ورأى النّـاسُ كيـف يَركب بالنّكـــتةِ طبعٌ ، ظنَّ اللّـواءَ (تَمَـدُّد) !
و (الكوى !) ما تكون من جُهد أبطالٍ ، أهــــابت به قيـــادَةُ أحمد
لم يكـن في صِحـاب أحمَدَ رِعديــــدٌ ، دعـاهُ داعـي الجهـادِ فَعَـرَّد

---

(١) بتهوفن : (١٧٧٠ - ١٨٢٧ م) مؤلف موسيقي ألماني ، من أبرز عباقرة الموسيقى في جميع العصور ، وضع تسع سيمفونيات ، أصيب في أواخر عمره بالصمم شبه الكامل ، ولكن ذلك لم يعقه عن مواصلة الانتاج ، بل أبدع بعد عاهته أروع أثاره وبخاصة « السمفونية التاسعة » المعروفة بـ « الكورال » .

معبد : (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م) مغن عربي ، كان مولى لبني مخزوم ، نشأ بالمدينة يرعى الغنم ، ثم ارتحل إلى الشام . لمع نجمه في عهد بني أمية . وضع ألحاناً عرفت بـ « مدائن معبد » ، لما أفرغ فيها من الصنعة والتجديد ، فكأن كلاً منها مدينة من المدن .

(٢) لعاً : صوت فيه معنىً الدعاء لمن تعثر قدمه و (لالعا) دعاء عليه .

(٣) اخترط : (السيفَ) استلّه . الحاسر : من لا درع له ، أو لا شيء على رأسه ، وعكسه : المسرّد : وهو لابس السّرد أي درع الحديد .

(يا كوى !) – والكوى خيال الصّعاليـ ....ـكِ ، أهـذا وَشْيُ البيـانِ المُجَـوَّد ؟

(الكوى !) هِيهِ (والتمدّد !) والرّا ....يةُ ، يا صاحبَ القـــريض المجدَّد !

ليتَ مَن أَوْهَمَتْهُمُ ، فيكَ ، دَعْوا ....كَ ، يَرون المكسُوَّ كيف تَجرَّد !

وبـــدا عارِيَ القـــريحةِ والسَّوْ ....ءَةِ يَلقَـى شمساً بمقلـة أَرمَـــد !

غَصَّ بالسَّابـــقين ، قصَّر عن شأْ ....وِ ، وأراغُـوه ، فالتظـى وتلـــدَّد [1]

ومَشَى في غبارِهـم ، ساقِطَ النَّفـــ ....ـسِ ، لُغوبــاً ، بأَخبثَيْـــهِ مُزوَّد [2]

* * *

وَيْكَ ! مازِلتَ أخرقَ الرّأيِ والخُطَّـ ....ـةِ ، ذا شيبـةٍ ، وكهـلاً ، وأَمـرَد !

أنا مَن لا تَعِبْهُ إن دعا الجـ ....ـدّ ، قوافيه في مَغيب ومَشهَد [3]

مصغياتٌ لها المحافلُ ، ما تا ....هَ ، بِمَرْوِيِّها ، الحديثُ المردَّد

وأنـا المرسِلُ الكـلامَ شَآبيـــ ....ـبَ لَهيبٍ ، تَشقَى لهنَّ وتَسهَد !

والــذى عوَّدَتْــه همَّتُــه الطّعـــ ....ـنَ ، بِداراً ، ونِعـمَ شأنُ المعـــوَّد [4]

وأنـــا السّاحـــر المعيـــدُ العماليـــ ....ـقَ ، قِمـاءً ، والزّيـفَ وَهماً مبـدَّد !

أنـــا هذا ، فدع نشيـــداً تلقّتـــ ....ـه قلوبٌ ظمـأى ، فغـارَ وأنجَـــد !

وأَلِـحْ لي بصفحـــةٍ ، ضَرب الـــذ ....ـلّ عليها شِعـــارَه وتأبّـــد !!

وإذا شاقك الخِطـــار ، فلا كا ....نَ يَراعٌ دعـا الخِطـارُ ، فبلَّـــد !

* * *

(١) تَلَدَّدَ : تلفت تحيّراً ، تبلّد .

(٢) الأخبثان : البول والغائط ، اللّغوب : التعب ، الإعياء ، الكذب للإفساد .

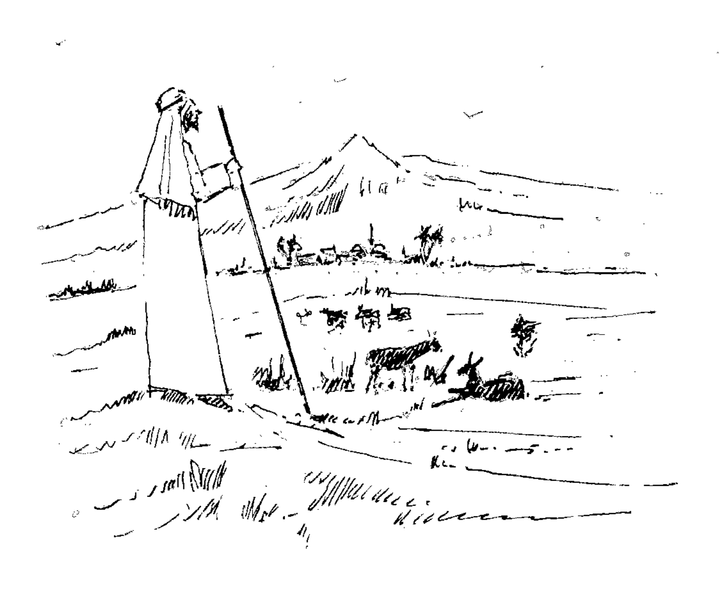
(٣) تعبه : تستطيع وصمه بالعيب أو التقصير .

(٤) بِداراً : مسرعاً ، مبادراً .

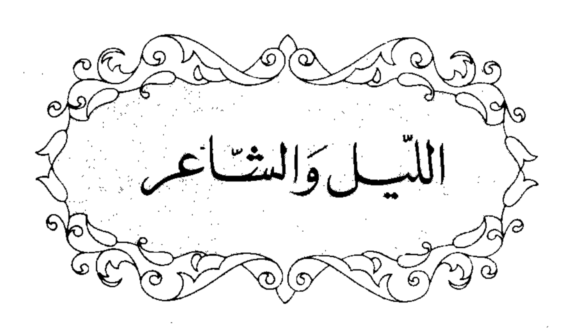
أيّها النّاظم الـذي يَشرَقُ القـو.......لُ بفيه ، من الكلال ، فيخمَـد !
البيـانُ المضيءُ ما أشرقَت فيـ.........ـه معانيـه بالفِرِنْـدِ المنضَّد
والنّظيمُ الأخّاذُ ما أطلَق الفِتـ.......ـنَةَ فيه ، عفوَ السّجيّة ، مفرَد
كلُّ لفـظٍ منـه هَزارٌ ، إذا نا.......غاه حُسْنُ المعنى ، أجاب فغرَّد
وثَراءُ الأفكـارِ بالـمُشرِق النّـا.......صع ، تَسمو به الغُيوم وتَصعَد
والخيالُ الممتدُّ ، في أُفُق الفكـ........ـرِ ، خِضَمٌّ أَمـداؤُه ما تُحـدَّد
تَتسامـى به رُؤى العبقريّـ..........ـن ، جَمالاً طَلقاً ، وسِحراً مجرَّد
لا لُهاثـاً ، تردَّدَتْ فيـه أنفـا........سُ ضعيفٍ ، تَغيب فيه وترتَـدّ
وذُرى الفن ، للبصيريـن بالفـنّ......، مَقـامٌ على الزّمـان مخلَّـد
تتلقّى سفوحُهـا نَهْلَـةَ الـخِصـ.........ـب ، فتربو ، فَوّاحـةً ، وتَـوَرَّد
والجديد الكـابي جَديبٌ ، وإن فا.......ض به الغَيثُ ، ساكباً ، وتـردَّد
رُبَّ نامٍ زَكا على بسمـة الغيـ.........ـثِ ، وذاوٍ إن يَبلغِ الرِّيَّ يَكمَد
وسبيلُ الحياة ، في الخِصب والجَدْ........ب ، يَراه الجهولُ لُغـزاً معقَّـد
إنّ سرّاً يخبو به الهَرِم الشا.......ئهُ سِرٌّ في ناشئٍ يتوقَّـد
وحياةُ الزَّمْنَـى فنـاءٌ ، وإنْ ظنَّ.......وجـوداً ، أو ادّعـى ، وتكبَّـد [1]
وصراعُ الحيـاة قانونُـه القـوّ.......ةُ ، لا الضّعفُ ، إن وهَى أو تجلَّد
وسلاحُ النفوس ، في زحمة الكـو.......ن ، سجايا ، تَشقى بهنَّ وتَسعَد
وطريقُ القـويّ ، في هذه الدّنـ.........ـيا ، سواءٌ عسيـرُه والمعبَّـد
وطِماحُ القلوب يخترقُ الوعـ.........ـرَ ، وُثوباً ، بعَزْمَةٍ منه أصلَد

(١) الزَّمنى : جمع زَمن ، الضعيف المتراخي من توالي مرضه المزمن .

والضّعيفُ الكليلُ ينفُثُ شكـوا.........ه ، دموعاً حَرَّى ، ويأساً مصعَّد
كلّما هَبَّ خانه هَرَمُ النّفـ..........س ، فأقعى واهيْ العزيمة ، مُجهَد
واشتكى « شجوَه » إلى « أنجم الأفـ.........ق » ، وأرغى على « الفَرُوق » ، وأزبَد [1]
داعياً « حظّه » دعاءَ المهازيـ.........ل ، فلا اعتَدَّ النّبال ، وسدّد
حافزاً « قلبَه » الرَّثيثَ ، وهل لبّـ.........ى فؤادُ المشفِي نِداً فأسعد
الكفافَ ! الكفافَ ! يا « مُشبِهَ الزَّهـ.........ر » « بروزاً ! » والعيش مرّاً منكّد
والخجولُ المجفوُّ ! والسّخرُ ! والقلّـ.........ـةُ ! فاطمَعْ ، إذا رجَوتَ ، أوِ ازهَد
فالعماليقُ - أيّها القَـزمُ للسّبـ.........ق ، إذا ذلَّ ساخط ، أو تمرَّد
وأبَـرُّ الجهاد هَدمُ الضّلالا.........تِ ، فهل يَسنَحُ الجهادُ ، ونَزهَد ؟



(١) الفَروق : الشديد الفزع .



الليل والشاعر

مبدأُ النّزاع بين الخيرِ والشّرّ قديم دائم ، ما تَهدأُ ناره ، والنّفس الإنسانية مَيدانُه المزدَحِم بالضّحايا .

وهذه خواطرُ ونظراتٌ شتّى في اللّيل ، تمثّل صورةً من صوَر الصّراع بين حقائق النّفس ، وحقائق الدُّنيا – كما هي – أو بين الواقع والواجب ، فإذا أوشكَ العقل أن يَزِلَّ ، قادته بَصيرةُ الدِّين الثّاقبةُ إلى الطُّمأنينة والاستقرار .

(الناظم)

يا شاعرَ الكَونِ ، وفنّانَه وعبقريّاً ، صاغ ألحانَه !

وعاشِقاً ، أوطأَه قلبُه مَخاطرَ الحبِّ ونيرانَه !

جافَى الهوى ، لا خائباً عندَه وإنّما أُنكَرَ ميزانَه

لم يَسأمِ الحُسنَ ، ولا وَحيَه ولا اجتَوى الحبَّ وأشجانَه

لكنّه ، والطُّهرُ مأمولُهُ عافَ دَناياهُ وأدرانَه

* * *

يا صامِتاً ، يَشكو إلى نفسِه آلامَ بَلْواه ، وأحزانَه !

يَرى ويُصغي مُطرقاً واعياً لا تخطئُ الهَمسةَ أُرْغانُه[1]

سهرانُ – والعالَمُ في حِضْنه غافٍ – يَعقُّ النّومُ أجفانَه[2]

---

(١) أُرْغانه : محوَّرة عن « أُرْغُن » الآلة الموسيقية الوترية المعروفة .

(٢) يعق : يعصي .

هل غابَ آسيهِ ؟ وما خَطبُه ؟ وهــل أضَلَّ الأَينُ نُدمانَــه ؟

* * *

يا لَيلُ ، يا رمزَ الغِنَى والجَوى يا ظامئاً ، جانَب غُدرانَــه !
مَورِدُك الحافلُ يُطفِي الظَّمــا يَغبِـــطُ وُرَّادُك جيرانَـــه
وأنتَ تأباه ؟ فيــا لِلْغِنـــى يختــارُ من دُنيــاه قِنعانَــه !

* * *

يا فيلسوفاً ، أصغَـرَتْ نفسُه مناعِــمَ العــيشِ وألوانَــه !
قد سايَــرَ الماضِيْ وأحداثَــه فكَـــرِهَ الآتِيْ وبُهتانَـــه
ورافَــقَ النّــاسَ وأهواءَهــم فعادَ وارِي القــلبِ غَصّانَــه
أنكَرَ ، ما أنكرَ مِن شأنِه ؟ حتَّى جَفا الدُّنيــا وخُلّانَــه ؟
هل خَبُثُوا ؟ فالطّيـنُ أصلٌ لهم نعـرِفُ في الأفعــالِ بُرهانَــه

* * *

يا آسيــاً ، ضاقَ بأوجاعِــهِ ومُسعِــداً آثَــرَ حِرمانَــه !
كم ساخــطٍ زايَلَــه رشدُه مُستَيئِساً أسكَـنْتَ بُحرانَــه[1]
ومُوجَــعٍ مُتَّقِــدٍ قلبُـــه مَضاضَةً ، أطفـأتَ بركانَــه
وبــائسٍ ، ناداكَ ، لبَّيتَــه والصَّبرُ – وَيْحَ الصَّبرِ – قد خانَه[2]
لا بِنعيمِ العيشِ ، بل بالرِّضى .. بل بالـرِّضى حقَّـق غُنيانَــه[3]

(١) البحران : التغير في وضع المحموم فجأة ، فيعرق ، وتهبط حرارته ، وهو من اضطراب الحمّى .
(٢) ويح : كلمة ترحم وتوجع . وقيل هي بمعنى : ويل .
(٣) الغُنيان : الحاجة ، يقال : ماله عنه غنيان ، أي : ماله عنه بُدّ .

وعـــاشِقٍ يخفِـــــقُ في صدرِه ... قلبٌ يهُـــدُّ الوَجــدُ أركانَــــه

بادرتَـــه بالهاجـــر المرتَجَـــى ... في أمـــلٍ آنَسَ وُجدانــــه

وأمِّ طفـلٍ - أنَّ في حِجرِهـــا ... تُحِسُّ كالأسهُــــمِ إرنانَـــــه[1]

تَرأمُـهُ .. تَلحَـــظُ أنفـــاسَه .. ... مذعـــورةً .. تَرهَبُ فِقدانَــــه[2]

أهديتَـــه النَّـــومَ رفيقــــاً به ... فقَـرَّ ساجي الطَّرفِ وَسنانَـه

* * *

يا ليلُ ، يا ليلَ الهَوى والرُّؤَى ... يا مُلتَقى الفـــنِّ وديوانَـــه !

ويـا شعـاعَ السِّحرِ ، يا نبعَه ... ومِشعَـــلَ الفكـــرِ ورُبّانَـــه !

يا نافثَ الفِتنــــــةِ رفّافَـــــةً ... وعَبقَـــرَ الشِّعـــر ودِهْقانَـــه ![3]

تُلَقِّـــنُ المُطـــرِبَ ألحانَـــــه ... وتُلهِـــمُ الشّاعـــرَ أوزانَـــــه

وِشاحُك الأسودُ مُلْقٍ على الدُّ.........نيـــا رؤى الــحُسنِ وأفنانَــــه

* * *

سامَرتَ (أُوتيربَ) على عُودِها ... تَسكبُ في أُذنَـيكَ تَحنانَـــــه[4]

أَلـقَت (أَراتـوسُ) على وَقعِه ... من شِعرِهـــا البـــارع فَتّانَـــــه[5]

يَنسى (كيوبيـــــدُ) له قوسَه ... ويزدَري (فويبوسُ) شيطانَـه[6]

كأنَّـــــــــه بين يدَيها ، إذا ... تَداوَل (المِضرابُ) (دُوزانَه)[7]

---

(١) الإرنان : الصوت .

(٢) ترأمه : تحبه وتعطف عليه وتلزمه .

(٣) الدّهقان : السيد الرئيس والخبير .

(٤) أوتيرب : رمز الموسيقى في الأساطير اليونانية .

(٥) أراتوس : رمز الشعر في الأساطير اليونانية .

(٦) كيوبيد : رمز الحب في الأساطير اليونانية . فويبوس : رمز العبقرية في الأساطير ..

(٧) المضراب : آلة الضرب مثل العود وما أشبه . الدوزان : ضبط النغم .

فانطلَقَت أوتارُه ، نافِثاً		من شَجوِه ما مَلَّ كِتمانَه
مزمارُ داود ، وقد رجَّعَتْ		مواطنُ الإحساسِ إحسانَه

* * *

يا ليلُ ، يا قائدَ جيشِ الدُّجى		يا بطلاً ، خلَّدَ فُرسانَه !
ومعجِزاً ، يَنهضُ ، ما حاولَت		أفهامُ حسّادِك نُكرانَه !
وآيةً للهِ ، فيها يَدٌ		بيضاءُ ، جلَّ اللهُ سُبحانَه !
ويا حليماً جاعِلاً سيفَه		أخلاقَه الغُرَّ وإيمانَه !
يا فاتِكاً مَلَّ ، على قُوَّةٍ ،		ضَراوةَ الفتكِ ونِشدانَه !
وراعياً أَضنَكَهُ جَهدُه		فناءَ ما يَحفِل قُطعانَه !
في صمتِك الموهوبِ ، في سطوِهِ		ما أخجلَ البحرَ ! .. وشُطآنه !
خالَكَ معنَى الشَّرِ أو رمزَه		(ماني) ، فاستنفرَ أعوانَه[1]
وثار يُزجي حِقدَهُ ضَعفُه		وتُعلِنُ الغَيْرةُ عِصيانَه
وأنتَ لم تَعبأ له مُقبِلاً		أو مُدبِراً ، مُحتَقِراً شانَه
حتّى إذا مَدَّ له جهلُه		مطامعَ الوهمِ وأرسانَه
أَعلنتَ من سِرِّكَ ما هالَه		فارتدَّ ما كابَر إمكانَه
تسخَرُ ممّا نالَه نفسُه		به ، فتستضحكُ أقرانَه
قسوتَ ، يا ليلُ ، على مُثخَنٍ		أُدبَر ، خابِي العَزمِ ، وَهْنانَه[2]

(١) ماني : صاحب عقيدة مزعومة ، تقوم على مبدأ الثنوية ، قوامها الصراع بين الخير والشر ، أو النور والظلام ، موطنها بلاد فارس – قديماً –

(٢) الأدبر : الهارب لفساد . خابي العزم : خائر القوى . الوهنان : الشديد الضعف .

يَقبَــعُ في عُزلَتِـــه مُعـــوِلاً أو لاغبـاً ، يَجتَــرُّ أُضغانَـــه[1]
ردَّدَ في أُذنَيـه هَمسَ الدُّجـــى والخوفُ قد زعــزَع جُثمانَـــه
اللَّيـلُ .. إنَّ اللَّيـلَ مُرُّ السَّطـا يَحمِـي رهـيبُ الهَـولِ مَيْدانَـه[2]

* * *

يا ليلُ ، يا ناسِكَ هذا الدُّجى وزاهـــداً ودَّع أوطانَـــــه !
معتـــزِلاً دُنيـــــاه في وَحشَةٍ عُمْــرُكَ ، ما قضَّيت رَيعانَـــه
وتَسأمُ العـيشَ ؟ فيـا لِلأسى ! نَقــراً في صَمــتِكَ عنوانَـــه

* * *

يا ليلُ ، هذا سرمَدٌ ، ما يَني ، يُغِــذُّ ، ما يُمهِــلُ رُكبانَـــه
الأبدُ المُمعِـــنُ في سَيــــرِه متــى تُرى يَقطَــعُ أشطانَـــه ؟
والفــلَكُ الــدوّار مستيقظــاً هل سَئمَتْ عينـــاه شُهبانَـــه ؟
ونحن أسرى عالَــــمٍ دائِبٍ نائمُــــه أشبَـــــهَ يَقظانَــــــه
فمَـن تُرى يَمطلُـــه دَينَـــه ؟؟ أو مَن تُرى يَخلَــع سُلطانَـــه ؟
فانْــهَض بأعبـــائِك ذا قوَّةٍ ودَعْ لِنجـوى الضَّعـف رُهبانَـه
ولْتكـنِ الدّنيـا على قُبحِهـــا ، حُسنـاً يوارِي العقـلُ نُقصانَـه
فرُبَّ نَقصٍ في جَمــــالٍ غدا نَشــيـــدُهُ الحبّ ولُقيانَــــــه
فاضَ به الحُسنُ ، وطابَ الهوى وأيَّـــدَتْ نَجـــواه إعلانَــــه
والنَّـقصُ في الكَـونِ كَمـالٌ له يَحـــدو إلى الغايـــة أظعانَـــه

* * *

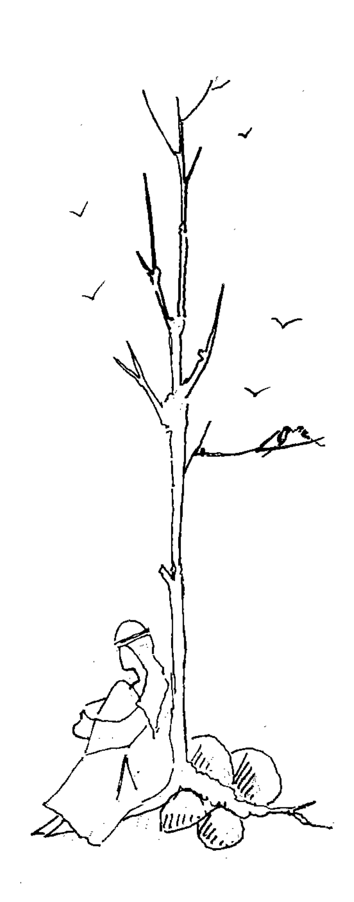
(١) يقبع الرجل : يدخل رأسه في ثوبه . الأضغان : جمع ضغن ، الحقد .
(٢) السّطا : لعله يقصد السّطو ، بمعنى القهر والبطش والغلبة ، على أن مصدر سطا : سطو ، وسطوة .

يا ليلُ ، هل يغفلُ عنك الورى نكرانَك العيشَ وهِجرانَه ؟
كلّا ! فهذا عالَمٌ جاحِدٌ مَدِينُه يَمطُلُ دَيّانَه[1]
يا ليلُ ، هذا عالَمٌ ثائرٌ واثبَ فيه إنسُه جانَه !
يا ليلُ ، هذا عالَمٌ أهوَجٌ بَيدَقُه طاوَلَ فِرزانَه[2]
يا ليلُ ، هذا عالَمٌ سادِرٌ رَشيدُه صاحبَ غَيّانَه !
ضعيفُه مفترِسٌ جهرَةً حاكَت يدُ الطُّغيانِ أكفانَه
يا ليلُ ، ما غِشيانُنا عالَماً كاسيهِ لا يرحَمُ عُريانَه ؟
عالَمنا - يا ليلُ - ذو قَسوَةٍ راويهِ ما يَعبَأُ ظَمآنَه !
يا ليلُ ، لن نأمنَ في عالَمٍ شَبعانُه سَخَّر جَوْعانَه !
إن طَلَبَ الحقَّ به فاضِلٌ هدَّ عُرامُ الظُّلمِ بُنيانَه
أو طامَنَ الحُرُّ به نفسَه أباحَ للطّاغين إهوانَه
والأعزلُ المدلِجُ نَهبُ القَنا فيه ، وإنْ سالَمَ عُقبانَه
يا ليلُ ، دنياكَ سِمامُ الحِجى أضلَّ فيه الرّوحُ سُلوانَه !
الفَتكُ فيها سنَّةٌ تُقتَفى والفَوزُ للمُقحِم عُدوانَه
فاسبِقْ إلى الفتكِ بمن خِفتَه تَرُدَّ على الظّالم طغيانَه
واحمِل على الآمنِ في سِربه إن لم يكن لاقِيْكَ .. أوكانَه
فالعيشُ حرب ، سادَ فيها الهَوى وأسلَمَ النّاظرُ إنسانَه

* * *

(١) المدين : من كان عليه دَيْن . وعكسه : الدَّيان .
(٢) البيدق والفِرزان : من أدوات اللعب في الشطرنج .

يا ليلُ .. لا ، فالدِّينُ فوق الحِجى | فَليُعلِـــنِ الثّائـــرُ إذعانَـــــه !
بَصيرةُ الدِّين ، وهل غَيرُها | رَدٌّ على الحائِـــــرِ إيقانَــــــه ؟
تقودُنـــا للخيـــرِ في حِكمـــةٍ | تَروِي لهيفَ القــلبِ حَرّانَـــه
جَلَّ عُلا اللهِ ، وقَـــرَّت به | ضمائـــرٌ تُلهِـــم عِرفانَـــــه
فتُؤثِــــرُ الخيـــرَ على ضدِّه | وتستميـــحُ الله غُفرانَـــــه





إلى الصَّنم الخَاوي وَعُصْبَتِهِ

لِمَ يُعنِّي بنَقدِهِ وهجائِهِ ... شاعرٌ ، لا يَراه من نُظَرائِهِ

قال هذا المقالَ بعضُ مُريديهِ ، ورأسُ الماشينَ تحت لوائِهِ

فأصاخُوا إليه ، واعتَدَّ عَوّادُ ، فَخوراً ، بما رأى من ذكائِهِ

تلك أُمنيَّةٌ يُصوِّرها الجهلُ ، رآها خَليقةً بِعزائِهِ

قال : حَسْبي ذُيوع صيتي ، وقد يَنْبُهُ صيتُ الأديبِ بعدَ خفائِهِ

وأحاطَت به الخَفافيشُ تُوليهِ مديحاً ، يَزيد في خُيلائِهِ

مَنطِقٌ صانَهُ التَّكتُّمُ حِيناً ... ثمّ لَجَّ الغَباءُ في إفشائِهِ

ودَليلٌ ، تُقِيمُه غفلَةُ الجهلِ ، وتَعمَى عن زَيفه والتِوائِهِ

إيهِ ! يا زُمرةَ التَّقهقُرِ والعَجزِ ، ويا عُصبةَ (الخَنا) واشتِهائِه !

ما عَدَدنا زعيمَ أمرِكِ كُفْئاً ... لا ، ولا راعَنا بَغيضُ عُوائِهِ

غَيرَ أنّا نَرى التَّنادُرَ فَرضاً ... بأديبٍ ، مُسَخَّفِ العقلِ ، تائِه

فنشَرنا تاريخَه بين عَينَيهِ ، ولمَّا نَجِدَّ في استقصائِهِ

هُو درسٌ ، تعجَّلَتْه يَدُ الفنّ أَليمٌ بصدقِه وجَلائِهِ

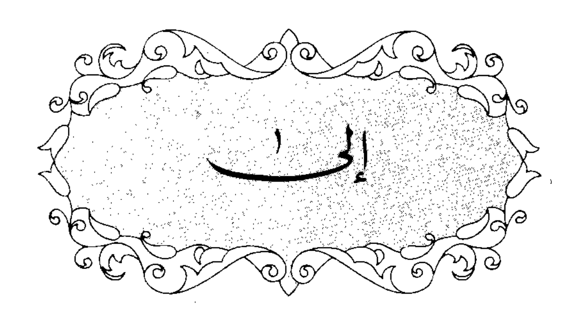
فاحفظِيهِ ، وردِّدِيه ، فقد أظهَرَ عَوّادَ بعدَ طول انزوائِهِ

وحَباهُ فَضيحةً خلَّدَتهُ ... ومشى خِزيهُا إلى خُلَطائِهِ

دفعوه ، وشجَّعوه ، وآلَوْا ... بأباطيلِ وُدِّهِم وإخائِهِ

أنَّــه الشّاعــرُ المُبــرِّزُ ، واستشـــهَــدَ فَذْمٌ منهم ببــعض هُرائِـــه
فتَصَدّى بنظمــه الفِـــجُّ للدَّغـــــكَـــةِ ، طارت بِرُشدِه ومَضائِـــه
وإذا بالسّلاح يَنبُـــو ، وبـــالشّاعر يَكبو ، والسَّهــمُ في أحشائِـه
فترامـــى بعينِــه ، يطــلبُ النَّجـــدة ، واليأسُ ماثـــلٌ في رَجائِـــه
فرآهــم قد أسلَمــوه ، وولَّــوا ، أذهــلَتهم نَجاتُهــم عن ندائِـــه
أفهــذا ، يا زمــرةَ الأدب الميّـــتِ ، ما يَرتجيـــه من أوليائِـــه ؟
زُمرةٌ أنتُمو ، ومُصلِيكُمُـــو النَّـــارَ وحَيــدٌ في هَدمــه وبنائِـــه
يتحدّاكُـــــمُ بكــــلّ ازدراءِ ومن العــار جُبنُكُـم عن لقائِــه
إيهِ ! يا عُصبةَ الغَثاثــة والــمَسْـخ ، ويــا سارقي نِتــاج البَدائِـه !
قد رأيتم نهايــــةَ الصَّنــم الخاوي ، رمــاه الغــرُور من عَليائِـه
وشَهدتُم آمالَكــم يَعصِفُ الفَـــنّبها ماضيــــاً على غُلَوائِـــه
وسمعتم مقالــةَ النّــاسِ في عَجـــز أبي قاسم ، وفي أصفيائِـــه
ورأيتم إفــلاسَه ، وتلاشيـــــه ، ومـــا كان من أليم انكِفائِــه
فأقيلــوه غمــرةَ القَــدَر العـــاتي ، استكَــنّ الفَنــاءُ في أطوائِـــه

* * *



إلى

إلى طَلَــلٍ ، جَرَّ العَفــاءُ ذيولَــه … عليه ، وعقَّته الرِّيــاح السَّواخــرُ

فأصبح مَجفُوّاً ، يَجول به الـبِلى … كأنْ لم تكن فيه حيــاةٌ وسامــرُ

إلى الصَّنم الهاوي ، وقد ثُلَّ عرشَه … زمـــانٌ على هَدم الضَّلالاتِ قادرُ

يَطوف به هَزلَى رَزاحٍ ، تهافتــوا … عليــه ، تُمــنّيهم نفــوسٌ فَواتِــرُ[1]

أناطُــوا بِهِ آمالَهــم ، فتعثَّــرَت ، … وعاجَلَهـم من مُتَّقِــى الهولِ فاغِــرُ

إلى الباطـلِ المَهـزومِ بعد افتضاحِـه … وقــد سئمَتْــه أنــفسٌ وضمائــرُ

أراحَ مجالاً للظُّهــور ، فرامَـــه ، … وهـا هُو ، قد دارت عليه الدّوائرُ

إلى العيشِ جَشْباً ، ما يُبَلُّ به ظَما … ويَقـذَى ببلـواه النُّهـــى والنَّواظــرُ[2]

تُجافِيــه أسبــابُ الحيــاة تَرفُّعــاً … ويُسْلِمُــه للــذّلّ ماضٍ وحـــاضرُ

ويَجتـازُه خَطــوُ الزّمــان وأهلُــه … كما اجتـازَ مرتـادَ النَّجـاسة طاهــرُ

إلى كبريـاءٍ ، حَطَّـم الحقُّ ركنَهـــا … وعاجَلَهـــا بالموت رامٍ مُحــــاذِرُ

تَكَشَّفَ عنها باطـــنٌ مُتَجَهِّـــمٌ … يُسانِدُه من سَكـرَة الطّيش ظاهــرُ

فصالَت ، وهل تَرضى الصِّيالَ هزيلةٌ … يقـودُ خُطاهـا أخرقُ الــرّأي سادرُ ؟

فألْزَمهـــا غارَ الجمـــود مظفَّـــرٌ … ونِغْـــمَ مجالُ المُدبريــن المَغــاورُ

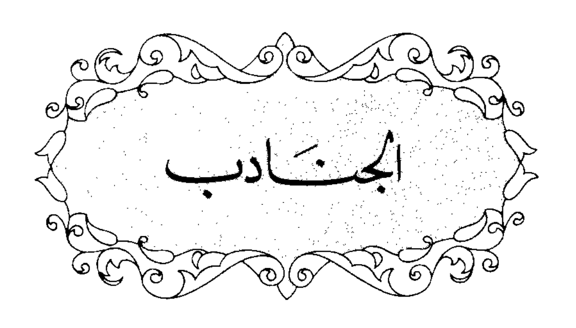
---

(١) الرّزاح : الهزال الشديد حتى لا يقوى صاحبها على النهوض . فواتر : جمع فاتر ، الضعيف المتراخي .

(٢) العيش الجشب : الطعام الذي لا إدام فيه ولا غذاء .

إلى الزَّيف مَدحوراً ، ومُزجيه عارياً   أهاضَ جناحَيه الكسيرَيـنِ قاهـرُ
تَطول أمانيـه ، ويَـقصرُ سَعيُـه   فهِمَّتُـه في مأزِق الجِـدِّ عاقـرُ
لَئِن كان وَهماً ، شيّدَ الجهلُ صرحَه   فقـد كان وَهماً بدَّدتـه الصَّراصرُ
إلى عِظَـة الدّنيـا بمن قاده الهوى   فأرداه ، ما تَنـدَى عليـه المحاجـرُ
يُردِّدهـا التّاريـخُ ذِكـرى كَليلـةً   وتَلعنُهـا أشباهُهـا والنَّظائـرُ
إلى العُمُر الممتدِّ ، لم يَجنِ طولُه   وقـاراً ، ولم يَكبَح زِمامَيه زاجـرُ
تولَّت غَوايـات الصِّغـار قيـادَه   وهـل فاز مَن قادت هواه الصَّغائرُ ؟
إلى المهجة الحَـرَّى أسىً وغضاضةً   تَداوَلَهـا حَرُّ الظَّمـا والهواجـرُ
إلى النَّظرة الحَيرى تَلَمَّسُ مُنقِـذاً   يَهيم بها ليـلٌ من اليـأس حائـرُ
إلى الأمل الذّاوي ، إلى حُلْم عُصبة   تَزايَـلَ عنـه المدَّعـي والمكابـرُ
إلى جيفةٍ ألقى بها اليَـمُّ جانقـاً   فشاهَت بها شُطآنُـه والكـواسرُ
إلى بومـةٍ ملَّ الخرابُ نَعيقَهـا   يَضيق بها مُغـفٍ ، ويُبلِسُ ساهـرُ[1]
إلى شاعـرٍ رِخـوِ البيـانِ أذاقَـه   من الويـل ألـوانَ المهانـة شاعـرُ
وعَـرّاه من أسمالِـه فتنـادَرت   بِسَوْءَتِـهِ أريافُنـا ، والحواضرُ
وسارت بِبَلـواه الأحـاديثُ ثَرَّةً   مشَت بصَداهـا المستفيضِ النّـوادرُ
سهامُ هجاءٍ راشَهـا كفُّ ماهـرٍ   يؤيِّدُه من عزمـه الصَّلـدِ باتـرُ[2]

(١) مغف : اسم فاعل من أغفى ، إذا نام . أبلس : سكت بعد انقطاع حجته .
(٢) راش السَّهمَ : ركب فيه الريش .



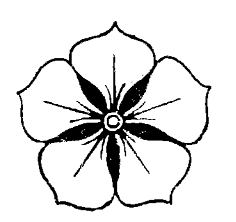
الجنادب

طُيوفُ مَعانٍ ما تَبينُ لِرائي ... ونَجوى دَفينٌ أغرِمَت ببقاءِ
حَداها الذي يَحدو الجَنادِبَ في الدُّجى ... إلى الجُهد ، في دنيا عَمىً وخَفاءِ
فإنْ قيل : كانت ثَورةَ اليائِسِ آنثنى ... صَداها بها ، معنَى بُكا ورثاءِ
فكمْ من خَشاشٍ في الحياة نَصيبُه ... من الكَدح أُدنى مَرقَدٍ وغذاءِ
وما عَيشُه فيها بمُعطيه منزلاً ... سِوى منزِلِ الأشباه والنُّظَراءِ
ومَن ضاقَت الدّنيا به فعَزاؤه ... مُتاحٌ ، وإن لم يتَّصِل بِرَجاءِ
وما مَنَع العانِي أنيناً فَحسْبُه ... به ، إن أطاف الدَّهرُ بالبُرَحاءِ
فرُبَّ شَكاةٍ أطفأت وَقدَةَ الجَوى ... وأرخت زمامَ العيشِ للبُلَهاءِ
ورُبَّ جَبانٍ يَدَّعِي البأسَ مدبِراً ... ولا يَستَحي من شِيمة الجبناءِ
وفي النّاس أمثالُ الجنادِبِ بَأسُهُم ... صَريرُ هَوانٍ أو خُفوتُ عَناءِ
فإنْ سَكَتوا ، رانَ الخُمولُ عليهِمُ ... وإن نَأموا ، لم يرجِعوا بجَزاءِ

* * *

ومُضطَعِنٍ ضاقت مذاهبُ عَيشِه ... فعرَّض بالعَوراء للكُرَماءِ
وما هو عند البأس إلا ذُبابةٌ ... ولو جَهَدتْ - ليست بِذاتِ غَناءِ
تذَرَّعَ بالزُّلفَى لِنَيل طِلابِه ... غَريرٌ ، وما الزُّلفَى دليلُ إباءِ

ورامَ المُنى من حظِّه ، لا غِلابَه   وما الحظُّ إلا طِلْبَةُ الضُّعفاءِ
إذا الحظُّ لم يُبلِغْكَ صَرحاً أقامَه   لكَ الحَسَبُ الوَضّاحُ ، دون رِياءِ
فما القَول مَسموحٌ ، ولا الجُهدُ نافِذٌ   لكلِّ وَضيعِ الخَلَّتَينِ مُرائي
ولِي من ظُنون السّوءِ ما يَستَحِقُّه   سِوايَ ، من الأَوْشابِ والبُلَداءِ
يَدُسّ زُعافَ السُّمِّ في عَذْبِ حُبِّه   ويُخفي الجَوى في شيمَةِ الخُلَصاءِ
ويرتجِلُ الدَّعوى تقمَّصَها الهَوى   من الزُّورِ ، لا عن خيفَةٍ وحَياءِ
وإنّي لَدارِيها ، ولكنْ من النُّهى   صراعُ الأفاعي في دَدٍ وإناءِ[1]
رَجاءٌ ، ولا دَعوى ، وحقٌّ ، ولا هَوى   ورُبَّ رجاءٍ شَفَّ عن بُرَحاءِ
ورُبَّ مُنًى في الحقِّ أيقَظها الهَوى   إلى لَهَفٍ بالحقِّ ، لَهَفَ رجاءِ

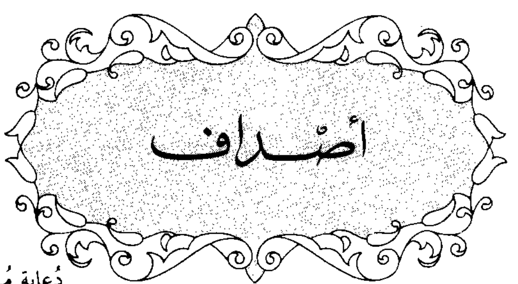


(١) الدَّد : اللهو ، اللعب . الأناء : التمهل ، عدم التسرع .



المنوعات





أصداف

دُعابة مُهداة إلى الشّاعر الصّديق
حسين سرحان .. تحيةً له

أَفبعدَ ماسنحَ الخيــالُ ووافَـــى — ودَّعْـنَ سَرْحَكَ وانطلَقْنَ خِفافا ؟
وعَـدَتْ سَوابقُ ودِّهِنَّ ذواهِبـــاً — بالبُـرءِ ، ليس وراءَهــنَّ مُعــافى
من كلِّ نافِرةِ الهَوى لم تَقضِهـا — حقّـاً ، فكيـف تُميلُهـا استِعطافا ؟
سمِعَتْكَ تَهضِبُ بالقريضِ فشاقهـا — الإيطـاءُ ، حين تخيَّلَتْــه زِحافــا[1]
فمضَت بما ظنَّتْه فيكَ مَشوقـــةً — ومضيتَ تُضمرُ للمُرادِ خِلافـــا
أفـذاكَ همُّكَ بالحِسان زعمتَـــه — جَنَفـاً طلبتَ لِدفعِــه الإنصافـا ؟
فإليكَهُـــنَّ نوافــراً .. دَعّـــاءةً — نظراتُهـــن .. تطـرَّحَتْ إلحافـا[2]
وإليكَهُــــــنَّ هوًى تجسَّد صورةً — فيمـــا بدا منهنَّ .. لا أوصافـــا
ما دونَهنَّ سِوى السُّتورِ ، وقد وهَتْ — وتعلَّــقَتْ بالعابريـــن هُتافـــا
فاعزِم على مَيسُورِ أمرِكَ واعتـصِر — ممّـا حبَتكَ كُرومُهـــنّ سُلافــا[3]
فالعيشُ عَيشُ العازمينَ ، وما أرى — لكَ ، ما أَمِنتَ العجزَ ، أن تتجافى

---

(١) هَضَب بالشعر : سحّ به سحّاً ، الإيطاء : عيب من عيوب القافية ، وهو إعادة ذكر كلمة الرّويّ بلفظها ومعناها مرة ثانية في القصيدة ، من غير أن يفصل بين الكلمتين المذكورتين سبعة أبيات . الزحاف : تغيير يعتري الحرف الثاني من السبب الخفيف أو الثقيل (وتفصيله في كتب العروض) . (والإيطاء والزحاف – هنا – على غير مرادهما اللغويّ) .

(٢) الإلحاف : الإلحاح .

(٣) السّلاف : أفضل الخمر وأخلصها .

رَوَّى الحَيا عهداً عرَفنا أهلَــه   أحمَى على غَمزِ الهَوى آنافـا
وغــدا برحمة ربِّــه مُتطــلِّبٌ   وَصْلَ الحِسانِ ، رأى الحِسانَ فخافا

* * *

يا أنتِ ! إنَّ فتـاكِ أُهيَـةُ حالم   هاب العِيانَ ، فصاول الأطيافـا
فتقبَّليـه على الجُنـــوح كريمةً   رَضِيَتْ بما حصَد القريضُ كَفافا
فلقـد تبلِّـغُكِ القناعـةُ غايـةً   فاضَ الخيالُ بمِثلِهـا استخفافـا
والصَّبرُ أعوَنُ مَنهجَيْكِ على السُّرى   وأرقُّ في عَميائـه أسدافـا

* * *

يا أنتِ ! لا يَحزُنْكِ أنَّكِ زورقٌ   لم يَلقَ في عُرضِ المحيط مَطافـا
مَلّاحُه أشفـى لِدفّتـه ، هوَت   فطوى الشِّراعَ ، وأسلمَ المجدافا
هي تلك أسبابُ الهوى وشِباكُه   شِعرٌ أطـافَ بقائليـه فطافـا
ولَربَّما أجدى الكلامُ ، وإن تكنْ   مِنـحُ الحيـاةِ مطالبـاً تتكافـا
فزِني بِميزانِ العَروض رُؤى الهَوى   ومصيـرَهُ ، وعُبابَـهُ الرَّجّافـا
وهَبِي بما تُعطِيـنَ قَصداً يُرتَضَى   ويُطاقُ ، لا بُخلاً ولا إسرافـا

* * *

يا أنتِ ! ما كلُّ الغيومِ تحمَّلَتْ   مطراً ، فَشيمي العارضَ الوَكّافا
فعَسَيتِ لاقيةً سوانـحَ فيضِهـا   إن لم تُصبْكِ أدَرُّهـا أخلافـا
صِرنا إلى زمنٍ يُنـازع قاعـدٌ   فيه الفَخـارَ الرّاحـلَ الطوّافـا
ليت الذي خلق المطامعَ كالَهـا   للحالِميـنَ - كما تُراد - جُزافـا

أو ليتَ ملتـــمِسَ السَّلامـــةِ نالها   عَرَضاً ، كما تُجنَى الزّهـور قِطافا

* * *

يا لَلْعقـولِ من السِّنين ، تَساوقت   سُوداً ، مثقَّلةَ الظّهـــور عِجافــا
حُسنُ الحسانِ بهنَّ وعدٌ يُرتَجى   بخلائـــقٍ ، تتعجَّـــل الإخلافـــا
الدّاعيـاتِ إلى الحِفـاظِ ، وليتَـــه   منهنَّ كان وفـــاً لنـــا وعَفافـــا
الشّائبـاتِ وِصالَهـــنَّ لِمـــن وَفى   وحَمـى ، وشدَّ بِناءَهـن زُعافـــا
الذّارفـاتِ الدمـــعَ حيث أَردنَـــه   سِحـــراً يردُّ الأقويـــاءَ ضِعافـــا
المولَعـــاتِ بكـــلِّ لحظٍ جارمٍ   لم ينتَـــفضنَ لِوَقعـــه استنكافـــا
التّـاركاتِ حِمـى الكرامةِ نُهبَـــةً   للشَّكِّ زلـزلَ صرحَـــه إرجافـــا
واهـاً لأفئـــدةٍ هنـــاك خضيبـــةٍ   عاشت لهنّ على الأسى أهدافـــا

* * *

قل للـذي امتـلأت رُؤاه لاكِثـــاً   ألـقَت عليـــه شعاعَهـــا الرفّافـــا[1]
صارعتُ أعماقَ البحار فلم أجـد   – ورؤاكَ – إلّا هذه الأصدافـــا
وذهـبتُ أفتقـدُ العيـونَ فلا أرى   فيهنَّ ذاك العالَـــم الشّفافـــا

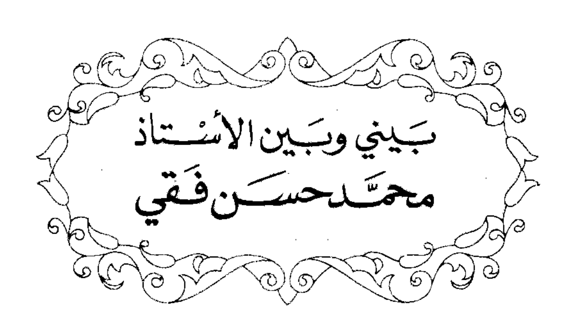
* * *

إنّي لأَستعـدِي الزَّمـانَ على الهوى   فأراه أضيـــقَ بالمُنـــى أكنافـــا

★ ★ ★

---

(١) اللاكث : الضارب بيديه ، أو من التصق بالقذى والشوائب .



بيني وبين الأستاذ محمد حسن فقي

صَوتُ المودَّةِ لا جَرَمْ والسَّبْــقُ من دَأْبِ الكـــرمْ

أهــلاً بِداعيـــةِ الإخــــاءِ ، جَلا مفاتنَهــا القلــمْ

فأتَت بمأثـــورِ الوفــــاءِ ، جرى بمَروِيِّ النَّغــمْ

تَسرِي به بِدَعُ العـــــروض ، على السَّجيَّة من أمَمْ

بَينـــاه يمرَحُ في السُّفـــوح ، إذا به فرَعَ القِمــــمْ[1]

فَوضى الطَّبيعـةِ ، لا نِظــامَ ، فلا ضيـاءَ ، ولا عَتَمْ

لكنّـــــه فنُّ البليــــــغ ، على قوالبها انسجـــمْ

وسجيَّــةُ الطَّبــع القَــوِيِّ إذا ترفَّـــقَ واحتــــدمْ

ولكَــــمْ يؤلِّـــفُ قادرٌ بين الــــمَسَرَّة والألـــمْ

ما الـــــحُسنُ أعضاءٌ تُوائمُها القَرابــةُ في الــــقِسَمْ

فلقــد يكـــونُ على تآلُــــفِ هذه روحــــــاً يُذَمّ

وعلى تنافُرهـــــا جَمــــالاً ، لا يُحَسُّ له سَأَمْ

ولَمِثــلُ شأْوِكَ لا يُنــــالُ ، إذا تناظَـرت القِيَــمْ

ماذا تركتَ لمُقتفِيـــــــكَ ، ودون همَّتِك الهِمـمْ ؟

ماذا يُريــــغُ وراءَ أقــــرَنَ ، في ضرابِهمـا أَجَــمْ ؟

---

(١) فَرَع القمة : بلغها واعتلاها .

أنـــــا ذلك المبهورُ ، دو.........نكَ ، إن تطـاولت اللِّمَـــمْ
لَظلمتَنِـي ، والظُّلــمُ أقـــ.........ـتَلُ ، إنْ أصابكَ من حَكَمْ

* * *

يا صاحبي ، وخَــلاك ذَمّ.........لا كنتَ فِيَّ المتَّهَــــــمْ
مَن أرسل العُتبـــــى تؤُجُّ.........كما فعـلتَ ، فقــد ظَلــمْ
أتُـراك تَعــبثُ ، أم تَجِــدُّ.........وقــد تخيَّــرتَ التُّهــمْ ؟
أم تلك نازيـــةُ الجَمـــا.........ل ، إذا تعسَّفَ فانتقـــمْ؟[1]
أثخَــنتَ قَلبــي بالجِــرا.........ح ، وجُرحُ دَلِّكَ ما التَـأَمْ
أوَّاهُ ! من جَنَــفِ الجَمــا.........ل ، إذا تعــتَّب واحتكــمْ !
أفضاعَ عنــدك ما ادَّخــر.........تُ ، ومـا بنيتُ قد انهَـدمْ ؟
فلقيتَنـــي بعــــد الصُّدو.........ف بما قذَفتَ من الحُمــمْ
لَقضَتْ علينـــا بالهَــــوا.........ن قيودُ حُسنِكَ والشِّيَــمْ
أنـا من عفـا حتَّـى استـــرا.........ب ، ومَن وَفى حتّى انحطمْ
أقـــــــذى المودَّةِ ما أرا.........ب ، وشرُّ عَتبِك ما وَصمْ

* * *

أتَـــرى المودَّةَ كالحيـــا.........ة ، على غرائبِهـــا ، قِسَمْ ؟
هي تلك فَلسفــةُ الحيـــا.........ة على الطّفولــــة والهرمْ
ما في الحيــاة إذا سَعيــــ.........ــتَ ، بغير حظّ ، مقتحَــمْ
الحظُّ يعلــــو بالقُــــرو.........د على غضافِـــرة الأَجَمْ[2]

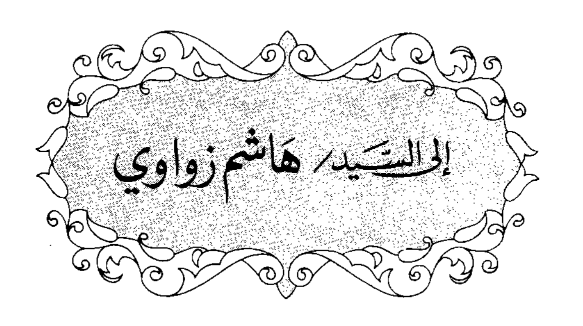
---

(١) نازية الجمال : بادِرَته وحدته .
(٢) الغضافر : جمع غضنفر ، الأسد . الأجم : جمع أجمة ، الغابة ، الشجر الكثيف الممتد .

ويُطيـــحُ بالسّادات معـــــــــتسِفاً ، ويصطنِعُ الخَدمْ
أتُـــرى مقاديـــرُ الرجـــــــل على يديه ، سوى زُلَمْ؟[1]
ويقـــال بعـــدُ - ألا يقـــــــلُ ؟ : لكلِّ ساعٍ ما اعتَزَمْ ؟
بِمَ نالَها الوغـــدُ الكسيـــــــحُ ، وفاتَتِ البطلَ الحُطَمْ؟[2]
ما سعْيُ مرهوبِ الخُطى   من سَعي مكفوفِ القَدَمْ ؟
ما سَعيُ مرتـــقِبِ السَّنــــا   من سَعْي مرتقِبِ الظّلَــمْ ؟
لو كان بالسَّعـــي النَّجـــــــحُ ، لما تشامَـــخَتِ الأَكَمْ
لكنّهـــــا دنيـــــا الشّذو.........ذ ، فلا مَلامَ ، ولا نَدمْ
رُحنـــا بوَعثـــاءِ الطِّـــــــلابِ ، وراح قومٌ بالنّعــــمْ



(١) الزّلم : السهام .
(٢) الحُطَم : القاسي الشديد .



إلى السيد/ هاشم زواوي

متى يَعودُ الموعِدُ الهاربُ فيستريحَ العاشقُ اللّاغِبُ ؟

أم أنتَ عن أمريَ في غفلةٍ قد نام عنها رشدُك العازبُ ؟

ما لِلّذي يَروَى به غيرُنا مأملُنا في وَصلِه ناضبُ ؟

أوّاه ! ما كانت سِوى حيلةٍ أَجرّها للصَّاحبِ ، الصَّاحبُ

أين لَيالٍ مدَّ فيها الهوى شباكَه ، فاقتنَص السَّاربُ ؟

حِذرتُها حيناً ، ولكنَّما لا يَتفادى حَينَه الهاربُ

وأين قولٌ ، أكَّدَتْ صدقَه عيناك ، والقَبضةُ ، والحاجبُ

هيهاتَ ! لا يعطفُ ذو نعمةٍ على شَقِيٍّ ، عيشُه شاحبُ

هشَّمتَ آمالي ، فكن هاشِماً لليأس ، يَسعَدْ قلبيَ الواجبُ

مَن لك مثلي ، إن بدا عارضٌ وُقيتَ شرّاً .. أو دعا واجبُ ؟

أنا الذي تعرِف خطْواتِه في الجدّ ، وَهْو اللّاعب الصاخبُ

لو كنتَ فيما قلتَه صادقاً لم يَتجنَّب بيتَنا الغائبُ [1]

ولا مضى يُمعِن في بُعدِه يَتبعُه مأملُنا الخائبُ

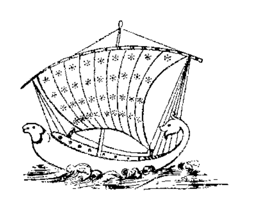
ولا مشى عصراً ، يَحُثُّ الخُطا كأنّه المستعجِل الرّاكبُ

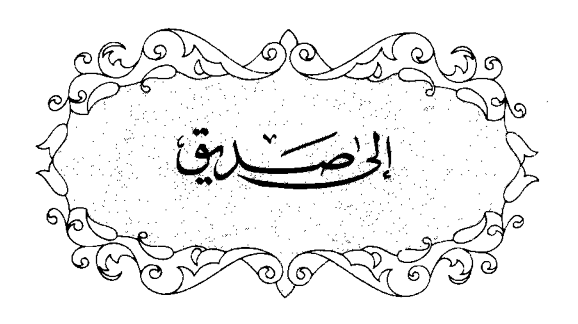
لم يبتسم ، لم يَرْنُ ، لم يَتَّئِدْ كما يكون المحنَقُ النّاضبُ

---

(١) في البيت إشارة إلى أحداث تاريخية ، فرقت الأسرة ، وجعلت فريقاً منها يقيم بعيداً .

أكان كِبراً منه ، أم جفوةً ؟ أم ارتوى من وِرْدِه الرّاغبُ ؟
أم كان ثأراً غُصِبَتْ مهجتي فيـه ، كما شاء لها الغـاصبُ ؟
أم انتقاماً ، سُلِبَتْ راحتـي فيه ، ليرضِي حقدَه السالبُ ؟
ليلي ، ألا تسألُ عنه ؟ جَوىً شأنِيَ فيه الوَصَب الـواصبُ
تَشغَله الذّكرى ، فيُلـوي به فَرْطُ الجَوى ، والأملُ الذّائبُ
ما لُمتُ ، واللَّومُ على لَذعه ضرورةٌ – لكنّنــــي عاتبُ





إلى الصديق

مِن ذاكِرِ العهدِ ، إلى ذاكِرِ — تحيَّةَ الشاعِر ، للشاعِرِ
فيها الهوى الماضي بآثاره — مكتومِها ! المطويِّ ، والظّاهرِ
والودُّ ، والصِّدقُ ، وذِكرى المُنى — في يومنا ، أو أمسِنا الغابرِ
والفجرُ قَيْدَ اثنينِ ضاقا به — صبراً بنفسِ العاجز القادرِ
والعقلُ مغلوباً على أمره — مرتطِماً بالواقع القاهرِ
والقلبُ مسلوباً عُلالاتِه — من سالبٍ قاسٍ ، ومن زاجرِ
والعيشُ حرباً شَنَّها دارعٌ — مستكمِلٌ ، خَتْلاً ، على حاسرِ
تحيَّةَ المُدلِجِ مَلَّ السُّرى — وناءَ تحت الفَلَكِ الدّائرِ
ظمآنَ ، والرِّيُّ مُباحٌ له — يُجيل فيه نِظرةَ النّاكرِ
طاوٍ على وَفرة مَطعومه — تَحفِزُه إعراضَةُ السّاخرِ

* * *

تحيَّةَ الباكي على ما مضى — والهازِئِ الكافرِ بالحاضرِ
تَؤودُه أعباءُ إحساسه — بما يَرى في كونه السّادرِ
من صُوَر العيش وأسرارِه — أُعيَتْ على القائف ، والزّاجرِ
مكرورةً في أبدٍ آبِدٍ — مَطوِيةً في لُجّه الزّاخرِ
من أين ؟ لا تدري ، وحتى متى ؟ — وأين مُرْسى فُلكِها الحائرِ ؟

ما هِيَ ؟ ما الغايةُ من قَذْفِها | على متون الثَّبجِ الثائر ؟
في ظلمةٍ مفزعةٍ أطبَقَت | موصولةَ الأوَّلِ بالآخرِ
معركةُ العقلِ تَساوى بها | الظّافرُ المحسودُ بالخاسرِ

* * *

تحيَّةَ الحيِّ جَنى حظَّه | من عيشِكَ الكالح والنّاضرِ
جَنَى عُجولَ الغَيْظِ عاشت على | ماءٍ وعشبٍ ، في المَدَى العابرِ
وأُثقِلَت بالنِّيرِ أعناقُها | جاهدةً في قبضةِ الآسرِ
تَحرُث لا تملِك من شأنِها | غيرَ عناءِ الكادح الصَّابرِ
فإنْ وَنَتْ عاجَلَها بالعصا | حَتْماً، هَوَى مُطعِمِها الجائرِ

* * *

تحيَّةَ المفجوع في قلبه | وفكرِه ، وحظِّهِ العاثرِ
عاف الهوى والحُسنَ ، مذ جافيا | إيمانَه بالخُلُق الطّاهرِ
وجانبَ النّاسَ لِمَا هالَه | من شَبَهِ الفاضل بالفاجرِ
وطلبَ الحقَّ هُياماً به | فقد رآه لعبةَ السّاخرِ
وحجَّةَ الكاذب ، والمعتدِي | والعفِّ ، والصَّادِق ، والدَّاعرِ

* * *

تحيَّةَ الخابطِ في ظُلمةٍ | من يأسه أو عَزمه الخائرِ
أثخنَه الأينُ وألقى به | في لَهَوات المنتهى الفاغرِ

* * *

تحيَّــةَ الشّاكِــي إلى مثلــــه   والسَّاهرِ المكــدود للسّاهــــرِ

عاشا على ضَنْكٍ سواءً فمـــا   هانــا لمُسْتَغْــلٍ ولا هاجــرِ

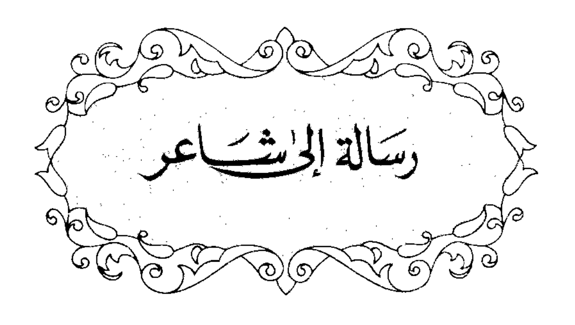
حالاهما حالٌ على سُوئِهــــا   خَليقــةٌ بالفخــرِ من فاخِــرِ

وحلّقــا في الجوّ لم يعبَــــآ   بجارح ينـــــقَضُّ أو كاسِرِ

* * *

تحيَّــةَ المشتــاقِ تدنــــو به   على النَّــوى نوازعُ الخاطــرِ





رسالة إلى شاعر

ماذا وقوفُكَ بالأطـلالِ والدِّمَـنِ ... مُوَزَّعَ النَّفسِ بين الشِّعر والشَّجَنِ

يَرمي بكَ الوَجدُ في صحراءَ مجدِبةٍ ... طَوَت حياتَك طَيَّ البحر للسُّفُنِ

تَهيم فيها شَريـداً لا قرارَ له ... وتُـرسلُ الدمـعَ مدراراً بلا ثمن

مزّقتَ عُمْرَكَ لا الأحبابُ منكَ دَنَوْا ... ولا بلغتَ مكاناً في ذَوِي الفِطَن

الكاسبينَ ملاييناً ، وما كدَحوا ... وأنتَ في قفَصٍ من عقلِك الزَّمِنِ [1]

تَمَرْجَلوا واستغلّوا كلَّ سانحةٍ ... من المصالح في سِرٍّ وفي عَلَنِ [2]

وقُدْتَ أنتَ رعيلَ الفنِّ متّكئاً ... على مبادئِ سقـراطٍ وأَهْرِمَنِ [3]

ورُحتَ فيها مقايـيساً وأخيلـةً ... لم تَحْـمِ قَدرَك في مِسْلاتَـةِ الإِخَنِ [4]

وكان درسُك فيها لو فَطِـنْتَ له ... درساً تُفيـقُ به من سَكْـرَة الوَسَنِ

إذْ قام يَصرَخُ والمِلقـاطُ في يَده ... كالسَّيفِ يَهتزُّ في كف ابنِ ذي يَزَنِ

وجاء من « كَرَكُونِ » الرَّيْعِ ضابطُهُ ... على الزعيق وحشدٌ من ذوَي حَسَنِ [5]

---

(١) الزَّمِن : الضعيف الواهي المريض .

(٢) تمرجلوا : ادعوا الرّجولة .

(٣) سقراط : فيلسوف يوناني كان زعيم مدرسة المشائين (٤٧٠ – ٣٩٩ ق.م) . أهْرِمَنْ : الشيطان ، أو روح الشر في الديانة الزرادشتية ، ويقابله « أهورا مَزْدا » وهو روح الخير .

(٤) مسلاتة الإخن : موقد الضغائن .

(٥) كركون : كلمة تركية معناها « مخفر الشرطة » . ذوي حسن : أي بني حسن ، وهي أسرة كبيرة مشهورة بمكة المكرمة .

وكان يومـاً تشاطَرْنــاه بَهْدَلَــةً وكنتُ وحدِيَ فيه دافعَ الثَّمـنِ

كيـومٍ وقعَتِنـا بعـد الغَـدَاءِ على قِرشَينِ لم يُدفَعا في « مطعم البُيَن » [١]

خرجتَ فيه بلوحِ الكِتْفِ منخلعاً ورُحتُ خلفَك فيـه وارِمَ الأذنِ

تجاربٌ وَحْشَةٌ خُضنـا معاركَهـا وكان شِعرُكَ فيه مصدرَ المِحَنِ

أما لنا غيرَ قَرض الشِّعر مَشغَلةٌ نَقضِي بها فَضْلَ عُمرَيْنا على سَنَنِ

ألا وظيفةَ نرجوها ولو صَغُرَت نقضي بها دَينَ راعي العيش واللَّبن [٢]

ونستـردّ بها في النّـاس سُمعَتَنـا بعد الضّياع - بلا شِعر - ولا سُفُنِ [٣]

وحَسْبُنـا ما لقينـا من بَهادِلِهـا وأنّهـا مِهنَـةٌ من أخسرِ المِهـنِ

تقضي العـداة ولا تُقضَى لها عِدَةٌ بلقمةِ العيشِ ، في ثوبٍ من السَّتَن

وَهَبْك أصدرتَ ديوانَيْ « مَهىً ورُؤىً » فطـار صيـتُك من نجدٍ إلى عَدَنِ

فهل تَرى بهما ما نال من مِنَـحٍ ذُوو السَّوابقِ في إغفـاءَةِ الزَّمـنِ [٤]

فتلك في لَمَحات الغيبِ خاطفةٌ من البروق تَحدَّت ظلمةَ الزَّمَـنِ

مضَت بمأثور جَدواها فما صَدَحت إلّا بذكـراه ورقـاءٌ على فَنَـنِ

فالشِّعر شمسٌ ، هداك الله ، قد أَفَلَتْ فعِشْ إذا شئتَ منه سالمَ البَـدنِ

واهرب بجلدِك من أهلِيـه مبتهلاً كيلا تُلَـزَّ مع الشيطـان في قَرَنِ [٥]

فما وراءَك إلّا النّحسُ ملتطِمَ الـ......أمواجِ ، دَهْمَلَ أرطالاً ودَهْمَلَني [٦]

---

(١) مطعم البُيَن : مطعم جاوي في منطقة « أجياد » بمكة المكرمة .

(٢) راعي العيش : أي مالك الخبز وصاحبه ، وكلمة « راعي » تعني « مالِك » .

(٣) سفن : لعله يقصد المعنى البعيد العامي لكلمة (السفينة) وقد تكون بمعنى (الورقة) .

(٤) ذوو السوابق : أصحاب الجرائم السابقة من قتلة ومجرمين وحكم عليهم بالسجن والعقوبات .

(٥) القَرَن : الحبل الذي يربط به البعيران .

(٦) دهمل : أضرَّ ، وترادف بالعامية « بَهْدَلَ » .

(وايهْ لُزوم كلامي مَنْتَ عارفُه) مُذ ضاع عمـــرُك بين الشَّام واليمن ؟[1]

ودابَ ظهـــرُك بين الآخذيــــنَ به رَقْعاً تمثَّلتَ فيـــه لعبـــة الإنِــــنِ [2]

قد شِدتَها من صميم الفنِّ أبنيـــةً فهل بَنيتَ بها حَوْشاً من اللَّبِــــنِ ؟[3]

بل نِمتَ في دكَّةِ الزَّيـدانِ منطرِحاً على البِلاط طَوال الصَّيـف كالوَرِن [4]

لا أنتَ ضيفٌ فيُرجَى يومُ رحلته ولآنتَ في نفقات البيت ذا شَطَنِ [5]

وزُغتَ من « فندق التيسير » لا هَرَباً من نامِسِ اللَّيلِ بل من أجرةِ السَّكنِ [6]

باظَت حياتُك ، ماضيها وحاضرُها مادام شِعرُك فيها عُقـــدةَ الكَفَـــنِ [7]

وخُضتَ من غمَرات الصَّبرِ أحلَكَها في « قهوةِ السُّدّ » أو في « مقعد اللَّبني » [8]

★ ★ ★

---

(١) وايه لزوم كلامي منت عارفه : لغة عامية مصرية ، وكلمة « ايه » تعني الاستفهام ، و « منت » : ألست .

(٢) لعبة الانن : لعبة شعبية يغمض فيها أحد اللاعبين عينيه ، ويضربه أحد اللاعبين حوله ، وعليه أن يمسك اليد التي صفعته ، أو على الأقل يميزها ، فإن اهتدى إليه حلّ الضارب محله ، وإذا فتح المضروب عينيه هذّ الجميع أياديهم وصاحوا : إنن .. (أعلام الحجاز للمغربي ١٥٨/٢) .

(٣) اللَّبن : المضروب بالطين يبنى به ، دون أن يطبخ . الحوش : أرض الدار .

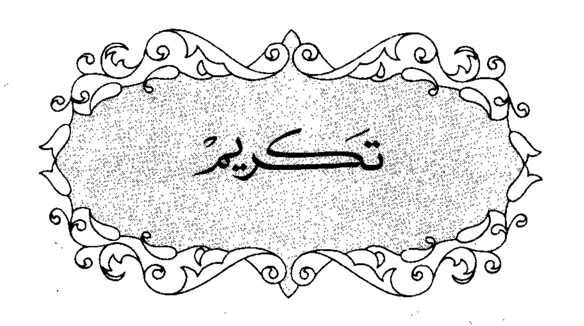
(٤) دكَّة الزيدان : مجلس كان يقام في منزل الأديب محمد حسين زيدان بالطائف . الوَرِن : الممتلىء شحماً .

(٥) الشطن : الحبل الطويل .

(٦) فندق التيسير : أحد فنادق مكة المكرمة .

(٧) باظت حياتك : خربت ، وذهبت هدراً .

(٨) قهوة السُّدّ : مقهى في منطقة أجياد بمكة المكرمة . مقعد اللَّبني : مجلس لأسرة اللبني في « الفَلْق » من منطقة الشامية بمكة المكرمة .



أنتَ ناغمتَه النّشيدَ فغنّا ... كَ وألهمتَه البيانَ فقالا

فإذا فاضَ بالثّناءِ فمن فَيـ ... ـضكَ إحسانُه : رؤىً وظلالا

كنتَ في نفسه ، ومازلتَ ، شِعراً ... وشعوراً .. وفتنةً .. وجَمالا

فمعانيكَ في معانيه سحرٌ ... يتجلّى .. ونغمةٌ تتعالى

ويجول الجوادُ في الملعب الرَّحْـ ... ـب طليقاً .. وكنتَ هذا المجالا

أنتَ ملءُ العيونِ خَلْقاً وخُلْقاً ... وسجايا كريمةً .. وفِعالا

أنتَ ملءُ الأسماع ذِكراً سَرِيّاً ... ومَدىً صار للخيال خيالا

أنت ملءُ النّفوسِ ودّاً وحبّاً ... شَمَلا منك هيبةً وجَلالا

فتفرَّدْ بالسَّبق في حَلْبة المجـ ... ـد بمجدٍ قد أعجزَ الأبطالا

وارقَ ما شئتَ من معارجك الشمّ ... وفاخرْ بِيَومك الأجيالا

أنتَ رمزُ النّضال في الوطن الغا ... لي فعشْ للنّضال مِثالا

وتقدمْ صفوفَه ظافر الخطـ ... ـو تُحقِّقْ لقومك الآمالا

فالذي قاد من أمانيه ما قُدْ ... تَ جديرٌ بأن يَقودَ الرِّجالا

والرَّعيلُ الذي وراءَك مازا ... ل على عهدِه ، فما صُلْتَ صالا

١٣٧٦ هـ



رسالة إلى أبودلش

قِف بالطُّلولِ ، وأَرسِل دمعةَ الأسفِ ... واطرَح همومَك من ياءٍ إلى أَلِفِ

وآشْكُ الزَّمانَ وأهلِيه وما جَلَبا ... من وَقفةِ الحالِ ، بعد العزِّ والتّرفِ

فربَّما خفَّ حَمْلٌ فوق صاحِبِه ... إذا تَزَحزح عن ظَهرٍ إلى كَتِفِ

والبَوحُ بالهَمِّ إن لم يَشفِ ، خَفَّفَه ... كالعَطس في زَكمَةٍ ، والهَرْشِ من قَشَفِ (1)

وآقرَ السّلامَ على ماضيكَ فهْو هنا ... ذِكرَى تعيش بها وَهماً على النَّشَفِ

والذّكرياتُ حِسابٌ لا يراجعه ... إلاّ فتىً عَزَّزَ الأوهامَ بالخَرَفِ

وإن تكن لِلّذي راحَت عليه رُؤىً ... من العزاءِ ، تُشيعُ الدّفءَ في اللُّحُفِ

فإنّها في ظلام العيش مَسرَجَةٌ ... ضئيلةُ الضَّوْءِ ، لا تُغنيك في السَّدَفِ

والآن ، لابدَّ من حَلٍّ نُدَبِّرُهُ ... ولو سكنتَ به في أضيق الغرفِ

فآنزِل على واقع الدّنيا ومنطقِها ... وآقبَله منتصِفاً أو غيرَ منتصِفِ

واخشَ الصَّلابةَ في حقٍّ وكن مَرِناً ... إن فاتكَ التَّمرُ ، لا تُضرِبْ عن الحَشَفِ

ولا تَقِفْ في ثنايا الصَّفّ منتظراً ... حسناءَ ، لن تَتَخطَّى ألفَ مختَطِفِ

فآدفع وزاحِم ، وعَنْقِل كلَّ مَن سبقَت ... رجلاهُ رجلَيكَ ، مِن شِقٍّ ومن طَرَفِ (2)

ولا تَرُدُّكَ عن أمرٍ هَمَمتَ به ... مقالةُ النّاس : باعَ الحقَّ بالعَلَفِ

---

(1) الهرش : – هنا – الحكّ الشديد . القَشَف : وسخ وخشونة تصيب الجلد ، ولاسيما شتاء .

(2) عَنْقِل : ضع رجلك بين رجليه ليسقط .

أَإنْ بُلِيتَ بِبكرٍ لا أمانَ لها … أدرتَ ظهرَك كالقرْفانِ للنُّصُفِ ؟[1]

فرُبَّ ذي نِعمةٍ مال الزّمانُ به … وضامَه ، هَجَرَ السِّيجَانَ للكُنُفِ [2]

وكلُّهم أنت فيما أنتَ فاعِلُه … والفوزُ بالقَصد يُنسِي لعنةَ الجَدَفِ [3]

وإنّما الحقّ في دنياكَ مهزَلَةٌ … ضاعَت بعُمْرك بين القَصد والسَّرَفِ

فآسمعْ كلامي ، ونفِّذْ ما أَشرتُ به … يابنَ الحلال ، وشلِّحْ غيرَ منكَسِفِ

إن الحياءَ رصيدٌ لا اعتبارَ له … وعزّةَ النّفس « شِيكٌ » غيرُ منصَرِفِ

وإن واقعَنا المنكودَ : أنّ غِنى الـ … أنذالِ سَوَّدَ منهم كلَّ منحرِفِ

فإنْ أَطَقْتَ فخُضْ في الوحل تَلقَ به … أرطالَ قومِكَ من جانٍ ومقتَرِفِ [4]

ولا تقل : كيف أَرضى الوحلَ عاقبةً … فالجوعُ يرضِي أسود الغاب بالجِيَفِ

« مَنْتا اللّي » ضيَّعْتَ أيام الشّبابِ سُدى … في الفَنّ والحبّ بين الغَيّ والشَّغَفِ ؟[5]

وخاب ظنُّك بالأصحابِ حين أَتَوْا … على قروشِك في دوّامة السُّلَفِ [6]

ورُحتَ تُنفِق ما حَوَّشْتَ فَنجَرَةً … على النِّساءِ ، وما أَعقَبْنَ من خَلَفِ [7]

وأشبَعَتْكَ قضاياهُنَّ بَهْدَلَةً … بين المحاكم من مصرٍ إلى النَّجَفِ

حجزاً ، ونقضاً ، وإبراماً ، وَطفْحَ دم … بَلَغتَ بالعمرِ فيها غايةَ القَرَفِ [8]

وعاد ماضيك أشباحاً تسامرها … على همومك في رِفق وفي عُنُفِ

---

(١) النَّصَف : المرأة التي تجاوزت مرحلة الشباب الزاهي . القرفان : الكاره .

(٢) السّيجان : نوع فاخر من أسماك البحر الأحمر . الكنف : الجانب .

(٣) الجَدَف : ما رمي به عن الشراب من زبد أو قذى .

(٤) أرطال القوم : حمقاهم . مفردها : رِطل .

(٥) منتا اللي : ألست الذي (في لهجة عامة مصر) .

(٦) السَّلَف : القرض الذي لا منفعة للمقرض فيه .

(٧) حوَّش : جمع وادّخر . « الفنجرة » : التباهي ، السَّفه .

(٨) الحجز ، النقض ، الإبرام : من ألفاظ المحاكم في دعاوي الناس ، ولكل منها معنى محدّد .

وأنتَ في بحرِها أو فوق ساحلها ... عُريانُ ، تُشبِه صياداً بلا لَعَفِ [(١)]

فاليوم لو رُمتَ قِرشاً ما ظفرتَ به ... من ناكرٍ دَيْنَكَ الماضي ومعترِفِ

ولو تَصرَمَحْتَ ساعاتٍ بلا كَلَلٍ ... من الرُّغامَةِ حتى مسجِدِ الحَنَفِي [(٢)]

لقد نصحتُك ، فانهضْ غيرَ متَّئِدٍ ... فَطُولَةُ البال قد تُفضِي إلى التَّلَفِ

وذاك آخِرُ ما عندي ، فإن صَعُبَتْ ... عليك نفسُك ، فالزَم عِيشة الشّظَفِ

واهربْ إلى الشّعر مثلي ، كلَّما غَثِيَتْ ... بالحزن نفسُك ، واملأْ أَنهُرَ الصُّحفِ [(٣)]

فالشّعر أصل البلاوِي ، وهْو كاشفُها ... متى تخيَّرتَ أن تحيا بلا هدفِ

والشّعر كالفقر في إرضاء صاحبه ... بقطعة الخبز ، في كوخ ، على خَصَفِ [(٤)]

وإنما هو محرابٌ يلوذ به ... مَن فاتَه حظُّه من سُنَّة السَّلَفِ

والكِذْب في الشّعر لا يُزرِي بقائله ... وسارقُ الشّعر لم يُقذَف إلى جُرُفِ [(٥)]

وليس يَخلو مجالُ الشّعر من فُرَصٍ ... عُلْيا تَدُرُّ عليك المالَ بالقُفَفِ

فقد تصيبُ عِصاميّاً تؤرِّقه ... أحلامُه في ادّعاءِ المجد ، فَازْدَلِفِ [(٦)]

وأمدَحْه ، واصنَعْ له تاريخَ أسرته ... بما تيسَّر من دُرٍّ ومن صَدَفِ

وصُغْ له من فنون المدح مُفترِياً ... ما صاغه المتنبي في أبي دُلَفِ [(٧)]

---

(١) اللَّعف : الزاد .

(٢) الرّغامة : محطة في جدة ، على طريق مكة المكرمة . مسجد الحنفي : مسجد كبير في جدة قريب من سوق الذهب

تصرمحت : سرت على غير هدى .

(٣) غثيت نفسه : جاشت ، وتهيأت للقيء .

(٤) الخَصَف : الثوب الغليظ الخشن .

(٥) الجُرُف : شِق الوادي إذا حفر الماء في أسفله .

(٦) ازدلف : تقدم ، تقرب .

(٧) أبو دلف : اسمه أبو دلف بن كنداج ، كان سجّان والي حمص ، في عهد أبي الطيب المتنبي ، وقد مدحه المتنبي وهو في السجن بعدة أبيات تزلفاً وقال في جملتها : « والجوع يرضي الأسود بالجيف » .

فرُبَّ مجدٍ بنــــاه المالُ من ذهب   ورُبَّ مجدٍ بناه الشّعر من شُقَفِ
ولا يُهِــمَّك علــمُ العــارفين به   همساً على الأرض ، أو جهراً على الطُّنُفِ [1]
فما يَعـيبُ غنيّـاً سوءُ سيرتــه   كما تَعيبُ المغنّــي غُنَّــةُ الخَنَــفِ [2]
وإنَّهـــم قِلَّـــة لا يُستساغ لها   قولٌ ، وهل عيبَ حسنُ البدر بالكَلَف ؟
والرّكُّ عَ الحظّ إن أعطاك تَذكَرَةً   فقد وصلت إلى اليَنبوع ، فاغتَرِف

* * *

يا رائدَ الجِيـل في فنٍّ وفلسفــة   سَلْ عن مصيرِهما في أَسوَإِ الخَلَفِ
فإنّ زهــرَك لم يفــرح بمقتَطِــف   وإنّ كأسَك لم تَهتِــف لمرتشِفِ
قد كنتَ للجيل ميزاناً يُحكّمُــه   فرَدَّك الفقــر مِيزانــاً بلا كِفَــفِ [3]
فاركب إلى العيش ، واشدُدْ كلَّ راحلة   وآصبُبْ على جانِبَيْها سوطَ معتَسِفِ
فما تَديــنُ المنــى إلا لِمقتَحِــم   ماضي العزيمة في عدل ، وفي جَنَفِ
وشرُّ عهدَيْكَ ، عَبْرَ العيش ، خيرُهما   متى حلَــلْتَ به في دارة الشَّرَفِ
عهدُ الهواية ولّــى يا أبــا دُلَش   فاخلعْ ومزّقْ رداءَ الفنِّ ، واحتَرِف

* * *

(١) الطُّنُف : البارز من البناء كالإفريز وسواه .
(٢) الخَنَف : التواء الأنف مما يحدث صوتاً غير واضح .
(٣) الكِفف : جمع كفة وهي طرف الميزان .



حظوظ

أقصرتُ من همّي ومن تَشمِيري ... ورضيتُ من دنيايَ بالمَيْسُورِ

ومضَيتُ أمتدِح القناعةَ بعدما ... سبقَتْ جيادُ الرّاكبين حَمِيري

وأقولُ : آثَرتُ السّلامَةَ من هَوى الدّ... نيا الدَّنِيَّة ، أو أَرَحتُ ضميري

وغرامُها مِلءُ الفؤادِ ، وإنَّما ... دَعوى الزَّهادَة حُجَّة التَّقصيرِ

ولو آنّ لي بين العمائم عِمَّةً ... رسمِيَّةً لم أَرْضَ « بالطُّرطورِ » (1)

لكنَّ مَن جَعَلوا الوظائفَ قيمةَ الـ... إخلاص لم يُطرِبْهُمو طُنْبُوري

فحملتُ بين البارزينَ ، وكلُّهم ... دوني ، وقَلَّ من الرجال نَظيري

والنُّجحُ معيارُ المزايا ، والغِنَى ... ميزانُها المُغنِي عن التّقديرِ

لِبسَ اللّصوصُ به ثيابَ ذوي التُّقَى ... وحَمَى جرائِمَهم من التَّعزيرِ (2)

وتناهَبوا الأمجادَ باهرةَ السَّنَى ... مَوْصولةَ المشهودِ بالمأثورِ

* * *

قالوا : حَذِقْتَ الشّعرَ وهْو رسالةُ الـ... أحرارِ . كلّا ، يا شهودَ الزُّورِ

لو صَحَّ ما قلتُم لما خاضَ الدُّجى ... شعراؤكم ، ونَعِمتُمو بالنّورِ

المالُ مِعيارُ الحياة ، ومُشتَرِي ... رِقّ الرّجالِ بها ، وزَنْدُ المُورِي

---

(1) الطرطور : لباس قميء يوضع على الرأس .

(2) التعزير : العقاب .

وذَوُوهُ أصنامٌ تُؤَلَّــهُ جَهْــرةً زَكّى عبادَتَها ترابُ « المِيرِي »[1]

هي قصَّةٌ قام الخِــداعُ بِدَوْرِه فيها ، ومَسرَحُها قَفَا الجُهمورِ

* * *

وإذا سألتَ النَّاس عنّي لم تَجِدْ لأخيكَ غيرَ سَفَاسِفٍ وقُشورِ

ما شئتَ من شِعرٍ ونثرٍ مونِقٍ ومشاركاتِ حِجىً وفيضِ شُعورِ

والعِلمُ آفتُه الغُرورُ ، وربّما عَصَفَ العَمى بالعالِم النِّحريرِ

فرأى الثَّراءَ مع الهوانِ حقارةً فاختار أن يحيا بلا « تَزْفِيرِ »[2]

وأنا المَلُومُ ، فلو سَلَكتُ سُلوكَهُم لَمَلأتُ من ذَهَبٍ حُمولةَ « لُورِي »[3]

وصِراع صُوفِي تُجُوهِلَ قَدْرُهُ بين الرِّجالِ ، فعاشَ « كالخُنْشُورِ »[4]

يَمشِي وقد ركِب « الكَدَالِكَ » غَيرُهُ في الحَرِّ ، يَرشَحُ لاهثاً كالزِّيرِ[5]

لا يستطيعُ ، وقد تضاءَلَ دَخْلُه أن يَهجُرَ الأوتوبيسَ « للحَنْطورِ »[6]

فتراه في سوق الخضار مُقسِّمَ الـ.........ـقرشَينِ بين العَيْش والجَرْجِيرِ

عَرَضوا عليه وظائفاً مشبوهةً فأبى ، وردَّدَ : يا دوائرُ ، دُوري

وأطالَ في بعض الأمور لِسانَه فأُصيبَ بعد الحَبسِ بالتَّسفيرِ

وإذا اشتَهَت « سيخَ الكَبَابِ » « مراتُهُ » في كلّ تِسعة أشهرٍ وكُسورِ[7]

ومضَت تطالِب بالطَّلاق لغُلبِها من راجِلٍ مُتَنَطِّعٍ دَبُّورِ[8]

(١) الميري : ما يتبع الدولة الرسمية .

(٢) بلا تزفير : كناية عن عدم التعب .

(٣) اللوري : الحافلة الصغيرة المعدّة للحمولة .

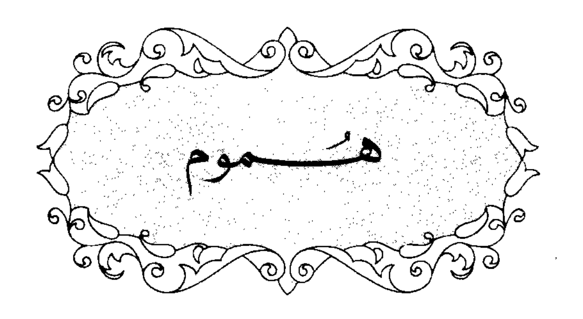
(٤) الخُنْشُور : التافه من الرجال .

(٥) الكدالك : جمع كاديلاك ، نوع فاخر من السيارات الأمريكية .

(٦) الأوتوبيس : الحافلة التي تنقل الناس . الحنطور : العربة التي تجرها الخيل أو الحمير .

(٧) سيخ الكباب : العود الذي يُوضع عليه اللحم المفروم ويشوى على النار. مراته : زوجته .

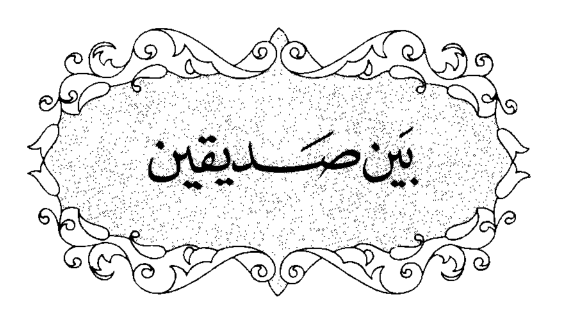
(٨) دبّور : ألعبان ، مفلس .



هُمــوم

(أَقِلِّي اللَّوْمَ عاذلَ والعِتابا وقُولي إنْ أَصبتُ : لقد أصابا)
فحَسْبِي منكِ مَعْيَرةٌ وذمٌّ فإنَّ لكلِّ ذي أجلٍ كتابا
وكَوْني لستُ أوَّلَ مستقيل تَنَطَّعَ في وظيفتِه فخابا
دليلٌ أنّ للأرزاقِ عُمْراً وأنَّ لكلّ مرتحِل مآبا
وأنّ لطاعة الرؤساءِ سِحراً يُبَلِّغُ مَن يُطيفُ به السَّحابا
وما أخطأتُ إذْ ألزمتُ نفسي كرامَتَها ، وآثرتُ الصَّوابا
فإنَّ الحقَّ أجدرُ باتّباع ولو كانت عواقبُه هُبابا
وما حُمِدَتْ لصاحِبها المخازي فأَسلُكَها إلى الغايات بابا
وإنَّ الفقرَ خيرٌ من ثَراءٍ يكونُ مصيرُ صاحبه عَذابا
ولكنَّ الغَوايةَ قد تَفَشَّت فقامَرَ كلُّ مقتَرِف ورابى
وجاهرَ بالمفاسد كلُّ نَذْلٍ وخاضَ إلى منابِعها العُبابا
وأصبحَتِ الوظائفُ كيمياءً تُبَدِّل عَدْسَ عارِفها « كَبَابا »

* * *



بين صديقين

أمير الشعراء شوقي بك يخاطب صديقه غاندي ، ويتشوق إليه ، ويشكو محن الدهر .

سَلامُ النِّيلِ « يا غَنْدِي » وهذا الزَّهرُ من عِندي
ولو ساعَفَني الدَّهْرُ لَقابلتُك في الهندِ
ولكنّي كما تدري فقيرٌ عارِيُ الجِلدِ
أضعتُ البيتَ والقرشيـ ـن في التَّهليس والجِدّ [1]
وبعتُ العنزةَ الكبرى على صاحِبِنا السِّنّدي [2]
وأمّا سائرُ العَفشِ فقد صادَرَهُ وَجْدِي [3]
فمَنْ لى اليوم بالنَّوْلِ وما في قبضتي أُرْدِي [4]
لِألقاكَ على الكَنْجِ زميلاً صادقَ العهدِ [5]
فقد أوحَشْتَني جِدّاً وما لَك سلوةٌ بَعدي
كِلانا مخفقُ المَسعى وبَرْبَنْدُكَ بَرْبَنْدِي [6]
فأَرثيكَ وتَرثيني لعلّ رثاءَنا يُجدِي

---

(١) التهليس : الحديث الذي لا تحقق فيه ، العَبَث .
(٢) السندي : لقب لرجل ، قد تكون القافية اضطرت إليه .
(٣) العفش : المتاع .
(٤) أُردي : وحدة عملة هندية .
(٥) الكنج : نهر الغانج في الهند .
(٦) بربندي : مدينة هندية .

وقـد ضيَّعَنِي قَومـــى   وقِدْمـاً أنكـروا جُهـدي

ومـا بدَّدتُ من وقتٍ   ومــا فرَّقتُ من نَقــدِ

وهـل في أمَّـة يَشْقَـى   بها الأحــرارُ من رُشد ؟

ولما طقَّنِــي الفقــرُ   وأضحَت أمَّتي ضِدّي [1]

توكَّلْتُ على المَــولى   وعــوَّلتُ على زَنــدي

أبيـعُ الفـولَ والحِلْبَــ......ـةَ وَالفُصْفُصَ والمَنْـدِي [2]

فطَــوْراً ألتقــي أكلى   وطـوراً أطفَـحُ الـدُّرْدِي [3]

وكان الحالُ مستــوراً   وأشغــــالي على قَدّي

ولي جارٌ رفيــقُ الحا......ل يُدْعَى الحاجَ خُوجَنْدِي [4]

رَكَنْتُ إليـه من غُلْبِي   فجــــازاني على وُدّي

بأن رشَّحنــي يومــاً   لدى التَّعدين في المَهـدِ [5]

فرُحْتُ ، وكنت مِرْطاناً   أسَمّي النّورَ ، نُورمَنْدي [6]

فرقّــاني المديــرُ إلى   وظيفـةِ كاتبِ الجَــرْدِ

وزوَّدَ راتبـي عِشريــ......ـن مِرْيــالاً بلا كَدِّ [7]

وخَصَّصَ لي من البَسْكُو......تِ كيلويــنِ بالزُّبــدِ

وكان إذا رآني قا......ل (قود مورننق أو فرنِد) [8]

---

(١) طقني : أصابني .

(٢) الحلبة : نبات يطبخ ويؤكل . الفصفص : نوى البطيخ . المندي : رأس الخروف المشوي في المنداة .

(٣) الدردي : الطعام السيّئ .

(٤) خوجندي : اسم اضطرت القافية إليه .

(٥) المهد : منجم الذهب في المملكة العربية السعودية .

(٦) نورمندي : مقاطعة في فرنسا (والشاعر يريدها كلمتين) .

(٧) مريال : تصريف (ريال) في معجم الشاعر حمزة شحاته .

(٨) قود مورننق أو فرند : صباح الخير ياصديقى (بالإنكليزية) .

فلمّـــا ثارتِ الحربُ وجرَّ الويلَ هتلــردي

أقالـــــوني ، وردُّوني وصَحَّ الجَمْعُ في جُغدي [١]

وناهــيكَ بحُـــرٍّ نا...م في البرد بلا دُقْـدِي [٢]

تمنّـــى ستــرةَ الحال فلـم يعثُـر على صَلْدِي [٣]

ولـــو أنصَفَتِ الأيّــا...م لَحَابَتْه بأُوكلَنْــدي [٤]

وخلّتـــهُ كفُـــوردٍ أو كرُوكْفِلّـــرْ وروتشِلْــدِ [٥]

ولـــو أنَّ شرورَ الحر...بِ قد كانت على حَدِّي

لَمَـــا أنشدتُهاحزنـــاً من المَهـد إلى اللّحــدِ

* * *

فمـا رأيُك في أمـــري إذا جئـــتُك والقنـــدي؟ [٦]

وهل عندك ما يكفـي من الشّاوُلِ والهَـــرْدِ؟ [٧]

وهـل نلقـاكَ مرتاحـــاً إلينـا أَوْ شَلُو جِلْــدي؟ [٨]

فقد أغرى بنـا الفقـر لئاما من بنـــي سعــدِ

وقد يَعدُو كلابُ الحيّ من جهـــلٍ على الأُسدِ

وإن أدبَـــرَتِ الدّنيــا تساوَى الشَّهـمُ بالوَغـدِ

---

(١) جغدي : الفك ، الحنك .

(٢) دقدي : اختصار كلمة (دقديق) : البطانية .

(٣) صَلد : أصغر عملة هندية .

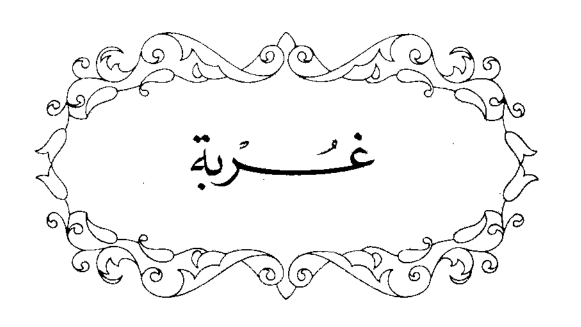
(٤) أوكلندي : معدن من معادن الهند .

(٥) فورد : صاحب معمل السيارات الأمريكية المعروفة . روكفلر : من أغنياء العالم . روتشلد : من أغنياء العالم (يهودي) .

(٦) القندي : سكر أحمر هندي شديد الحلاوة .

(٧) الشاول : نوع من التوابل ، يأتي من الهند . الهرد : نوع من التوابل ، يأتي من الهند .

(٨) شَلُوجلدي : كلمة هندية تعني : انصرف عنا .



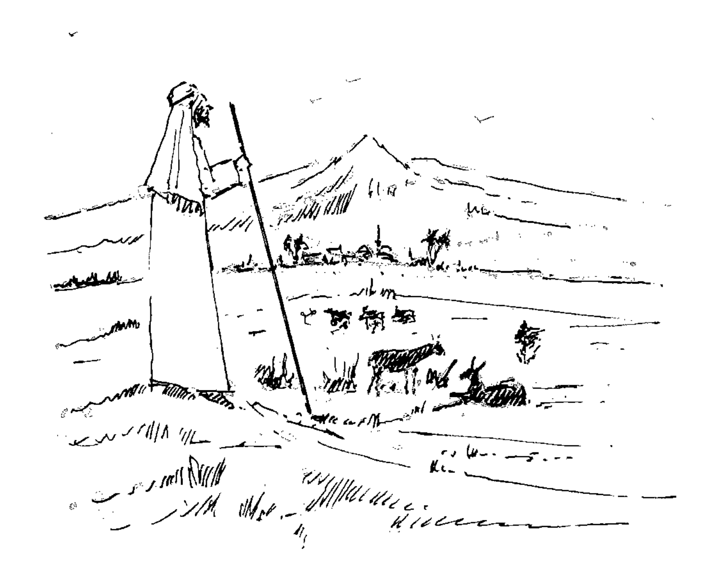
غُـــربة

(سلامٌ من صَبَـــا بردى أَرَقُّ ودمعٌ لا يُكفكَفُ يا دمشقُ)
وأشواقٌ تَضيـــــقُ بها صدورٌ يُخَشخِشُ في مسالكها البَهَـنقُ[1]
وأسئلـةٌ عن الأحـــوال طالت تَحمَّلَها إلى مغنـــاك خَلـــقُ
وليس سوى سُكاتِك من جواب تكـاد عليـه من زَعَـل تَطُـــقّ[2]
فمـــاذا عنك بعـــد فِراق عامٍ وأيـن به صريـخُك والـــمِشَقّ[3]
وأيـن رسائـلُ الأشواقِ تُرجَـى وبعضُ الشّوقِ للأحبـاب حَقُّ
فنحـن هنـا بلا وطـنٍ وأهـــلٍ نعـيش سُدًى على حالٍ تَشُقّ
فلا شغـلٌ يَجيبُ لنـا فلـوسا ولا دَخْـلٌ يَطـولُ عليـه عُنـــقُ
وقـد مُنِـعَتْ حوالـةُ كلّ شهـرٍ وكان المنـــعُ مشكلـــةً تَدِقّ
وقالـــوا : المنـــعُ أيـــامٌ قصارٌ فطـالت ، والمَطـالبُ لا تَرِقّ
يُظَـنّ بنـا الغِنـى والحالُ زِفتٌ وخيـرُ طعامنـــا عيشٌ ودَقّـــو[4]
ألا يا بنتَ يَعـــرُبَ خبّرينـــا متى تصفو المواردُ وهـي رَنْـقُ؟[5]

---

(١) يخشخش : يصوت بالخشاخيش . البهنق : محرفة عن (الهَبَنَّك) وهو الأحمق ، أو النّمام .
(٢) السُّكات : لعله أراد السكوت .
(٣) المشق : المغني الذي يرفع صوته بالغناء .
(٤) دقو : لعله يعني (الدقة) وهي ملح وفلفل وتوابل .
(٥) الرنق : الماء الذي فيه تراب ، الكدر .

ومـاذا تبتغـي الأسواقُ منّـا ونحنُ بها عبيـدٌ تُستَـرَقّ ؟
كأنّا والتُّجَـارَ خصومُ حربٍ على الأقواتِ أو غَربٌ وشَرقُ
ولـولا سُتـرةُ المولى شَحَتْنـا وطـال بنـا على الأبـواب دَقّ[1]
ولكـنّ الإقامـةَ ليس تُعطَـى لشحـاتٍ له في مصرَ زَنْـقُ[2]
فمـا نَفـعُ الغـريبِ بغير مالٍ ولـيس وراءَه للقُطـرِ رزقُ
وتـلك سيـاسةٌ للحـقِ فيها مزاميـرٌ وطيرانٌ تدقّ
فليت رجالَنـا فطنـوا إليها[3]



(١) شحتنا ـ : شحذنا .
(٢) الزنق : المكان الضيق (الزنقة) .
(٣) القصيدة هكذا وردت غير كاملة .



صُــــورَة

لي صديقٌ دعَتْه داعيــةُ العَيْـــــ.........ـشِ ، على ضَعفِه المُبين ، فجَدّا

ضاق بالإنزِواء ذَرْعاً ، وفي الوثــ........ـبِ عزاءٌ للمُقعَديـــــن ، فشَدّا

واقتفى السَّائريـنَ في سُبُـل الفِكـــ.........ـر وُثُوباً ، فارتـدّ بُهْـراً وأَكْـدَى[1]

وانثَنى لاهثاً ، يَعيبُ على النّـا........جح دَعوى نجاحِــه ، فتــردّى

لم يزل ذاك شأنَ مُفتَقِـدِ النُّجـــ.........ـح ، ورمزَ الإخفاق ، عكساً وطَرْدا

فإذا ضاع مَطلَبٌ ، عزّتِ النفـ.........ـس فتاهـا بحكمــةٍ ، فتَهَـدّى[2]

* * *

وصديقـي الحكيـمُ ، كان أديبـاً أو كذا كان يَرتَجي ، فاستَعـدّا

ورأى النّاسَ يكتبـونَ ، فظـنَّ الـ........أمرَ سهـلاً ، فحـاول الأمـرَ جِدّا

ورآهـــم يُصوِّرونَ رُؤى الفِكـــ.........ـر جَمالاً طَلْقا ، ولَحْناً ، ووَرْداً

فانثنى قائـلاً : ومـا خَطَرُ التّصـ.........ـويرِ ؟ إنّ الإبداعَ بالفحلِ أَجْدى

فلأَكُنْ مبدِعـاً ، تُقيمُ تصاويـــ.........ـرُ يَراعـي لِفتنـة الفـنّ مَجْــدا

قالها ، واحتبى على قِمَّــة التّـــ........ـلِّ يُوارى زَنـداً ، لِيَقـدَحَ زَنْـدا

* * *

(١) بُهراً : مُجهَداً . أكدى : افتقر بعد غنى .

(٢) عزّت النفس فتاها : قدمت إليه العزاء والسّلوى .

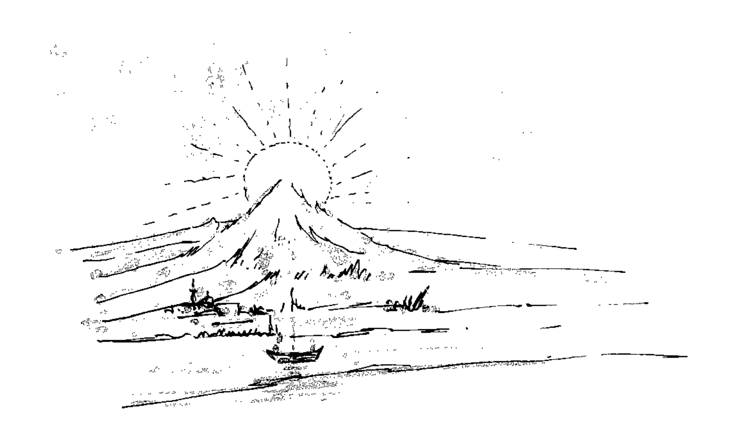
قال : شأنُ الأديبِ أن يُبدِعَ الصُّو......رةَ ، ما للأديبِ عن ذاك مَعْدَى

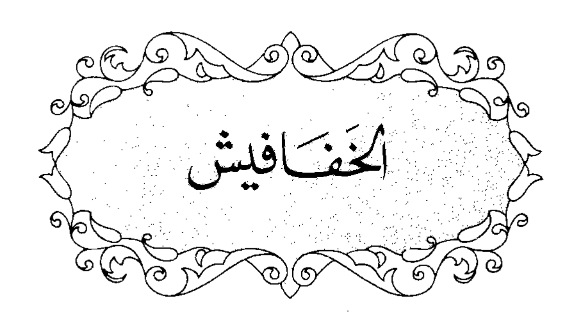
أو فهـذا شأني إذا عَجَـز النّـــا......سُ ، وَلِمْ لا أكونُ في النّاس فَرْدا ؟

أتلقّاهُمُـــو بِبـــدعٍ جديـــدٍ   من صنيعـي ومـا أُحـاول إدّا

وتـــراءت أمامَـه صُوَرُ الكَـــو......ن تِباعاً ، بِيضاً وسُوداً ، ورُبْـدا

فانتَقَى خيرَها ، كما ارتجَـل الإمْـ......ـكانُ ، لا خيرَهـا اختيـاراً ونقـدا





الخفافيش

أطَلْنا .. وأوجَزْنا سُدىً في عِتابِها ... فهل نَتراخَى بعدَ ذا عن عِقابِها

صَمَتْنا .. فأعطيْنا المروءةَ حَقَّها ... حِفاظاً على آدابها وارْتِقاً بِها

فإن ركبتْ بالأمن تِيهَ غرورِها ... فقد سقطتْ في هُوّةٍ من مُصابِها

خفافيشُ عاشت في الظلام ، ورفرفَت ... بأجنحةٍ لم تَنطلِق من حِجابها

وفاقتْ نُسُورَ الجوِّ كِبْراً وسُرعةً ... وقادت زِمامَ الضَّوْءِ من خَلفِ بابِها

أَليسَت تَرى في الليل دربَ ذَهابها ؟ ... أليست تَرى فيه سَبيلَ مآبِها ؟

أليس على أوكارِها النَّدُّ والنَّدى ... سحائبَ في تهويمها وانسكابِها ؟

أليسَت إلى أعلى المرامي تطلَّعَت ؟ ... فكلُّ مَرامي الكونِ مِلكُ رِكابها

بلى .. وخيوطُ النُّورِ تَشهدُ أنَّها ... غَزَت ظلماتِ الكونِ بعد ضَبابِها

كذا هيَ في عُرْفِ الخفافيشِ رُتبةً ... تَحارُ اعتزاماتُ الوَرى في طِلابِها

بَلى ، يابُغاثَ الطَّير .. بل يا خِشَاشَةً ... تَمَشَّى على سطح الدُّنَا كذُبابِها

رأيتُ بكِ الدّنيا تَمُوجُ كأنَّها ... تَقُصُّ على المفجوعِ سِرَّ انقلابِها

أما رُزِئَتْ في الفِكر أدهى رَزِيَّةٍ ؟ ... بزحفِ بُغاثِ الطّيرِ فوق ترابِها

تَهيمُ ولا تدري إلى أينَ تَنتهي ... سوى أنها مَوْكولةٌ لانصِبابِها

خفافيشُ عُمْيٌ إن تَرى الفَجر أنكَرَت ... سَنَاهُ ، كما لو كان موتاً مُجابِها

هَلُمّي إلينا يا خفافيشُ كي نَرى ... ونسمعَ عن دنياكِ فَصْلَ خطابِها

ونأخـذَ منكِ الفكـرَ والشّعـرَ والغِنـا ... قشوراً سَتُغنينـا بِفَـيْضِ لِبابِهـا

مَراقِ حُرِمناهـا شُيوخـاً وفتيـةً ... وعِشنـا حَيارى في فسيـح رِحابِهـا

لقد فاتنا سَعيُ الخفافيشِ في الدُّجى ... وحِكمتُها في دَرسِهـا وانكبابِهـا

فها نحنُ بعدَ الجهلِ تحت لوائِهـا ... نُشيّـدُ أوكارَ المُنـى في جَنابِهـا

ونَنهلُ من عِلم الخفافـيشِ كلَّ ما ... جَهلناه عن دِيوانِهـا .. وكتابِهـا

وعِشنـا نَروضُ الشّعـرَ بعد جِماحِهِ ... فتطلعُ شمسُ الشّعر بعد احتجابِها

وتغدو خفافـيشاً تَهيـمُ بظُلمَـةٍ ... سَرَى بِرؤاها شاعرٌ وحَـدَا بِهـا

أحِيـنَ اكتَهلنا يا خَفافيشُ مَسَّنـا ... بفضلِ الأذى والشرّ ذَرْقُ شبابِهـا

فما رمَّـدت في مَوقِـدِ العَـزْمِ جَمـرَةٌ ... ولكـنّ عُوراً أخطـأت في حِسابِهـا

ويـا رُبَّ .. خفّـاشٍ أطالت بقـاءَه ... حقارتُـه ، لم يَلـقَ في النّـاس آبِهـا

تبـاركتَ يا عِلم الخفافيشِ لم تَدَع ... لأُسدِ الشَّرى حتـى مساتيرَ غابِهـا

أحـطتَ بأسرارِ الطّبيعـة والـوَرَى ... وأصبـحتَ قاضيْ سَهلِها وشِعابِهـا

ولَمْلَـمتَ أرسانَ الفُنـونِ ورُضْتَهـا ... كما شِئتَ لم يُعْجِـزك طولُ غلابِهـا

فها أنتَ تحت التّـاج أسطـورةٌ دَوَّى ... بها الكونُ أو أُحدوثةٌ قد سَمَـا بِهـا

ركـبتَ بها للشّمسِ ، واللّيـلُ نائـمٌ ... بُراقـاً تغطّـي وجهَهـا بنقابِهـا

فما نوَّرتْ من بعدُ وَكـراً ولا بدَت ... ومـات أديمُ الأرضِ بعـد غِيـابها

وكَم معجـزاتٍ للخفافـيش غيرُهـا ... يَضِلُّ الحِجى في صِدقها وكِذابِها

لأنَّ خيـالاتِ الخفافـيش وحدَهـا ... دعائـمُ ، تكفـي للهُـدى بانتصابِها

ألـيست ينابيعَ الفنـون على المَـدى ... وفي غاية استقرارِهـا واضطرابِهـا

إذاً ، فهي قانونُ الخفافيش ، لا الحِجَى ، ... ومـا حزمت أوكارَهـا في احتطابِهـا

وليس إذنْ للنّاسِ شعرٌ وشاعرٌ وغاصت بحوراً قصّروا عن عُبابِها
وما ذاع من أنبائِهم فَهْو باطلٌ وأرديةٌ قد أجرموا باستلابِها
سوى شاعرٍ أرضَى الخفافيشَ قُدرةً وفلسفةً طارت بكلّ صوابِها
أصابته عدوى الذَّرْقِ فانحلَّ صُلبُه فشاطرها المَيدانَ بعد اصطحابِها
وسارت له بين الخفافيش شهرةٌ تَحيَّرَ بالسّاعين أمرُ اجتلابِها
ويا خُسْرَ من تُعلي الخفافيشُ قَدْرَه فعاش على ما آدَه من ثوابِها
وكان غنيَّ الآدميّةِ قبلَها فها هو يَجلو وجهه بخِضابِها
عواقبُ ما تنفكّ سَاخِرَةً بنا تَفرَّقُ ألْبابُ الورى في عُجابِها
وتُركِيبُنا أقدارُنا شرَّ وجهةٍ وليست لنا من حيلةٍ في اجتنابِها
رأيتُ لأوكارِ الخفافيش حُرمةً من الضَّعف لم تنهَض بجُهد اكتسابِها
ولكنَّ رأياً للخفافيش قائلاً : قضى سادِراً في غَيِّه بخرابِها
متى أطلق الخفاشُ في اللّيل فِرْيَةً سيفضح ضوءُ الصبح سرَّ انتسابِها
وكتَّم خفاشٌ فظاعةَ نتْنِه فكرَّت عليه لعنةٌ في انصبابِها
كذلك أوكار الخفافيشِ لم تزل تغالبُ تَيّارَ الحياة بعابِها
ترى العيشَ ذرقاً لا يكفُّ وظلمةً يَغول السَّنا فيها نباحُ كلابِها
ورُبَّ نفوسٍ أعربَت عن يقينها فأفشت بما أبدت خفيَّ ارتيابِها
وبارُبُّ لاهٍ عَاب بالقول وادَّعى فأشقى معانِيه به واكتوى بِها
فعاد يُوَلّي وجهَه حِجرَ أمّه ولم يَدْرِ ما غصَّت به من عذابِها
فقد فُجعتْ فيه صبيّاً ويافِعاً وكهلاً تَجلّى فيه رمزُ اكتئابِها
وأُغرِقَ في ذرقِ الخفافيش بيتُها فهاج اطرادُ الذَّرق داءَ عُصابِها

وسَرَّ بغــاثَ الــطير ماساءَ أمَّــه فراح به في مَعرِض الذِّكْر نابِهــا
يهزّ إذا ما ضمَّــه الوَكـــرُ ذيلَــه ومنقارُه في ذرقه قد رمــى بِهــا
أما نَجَّسَ الدّنيا فما آحتجّ ناكرٌ لِفعلتِــه في رملهــا وهضابِهـــا ؟
أما قاد أرتالَ الخفافيش خلفَــه ؟ وشيَّــد للأوكارِ أسمَـــى قبابِهــا ؟
أما قال ما شاءت سَماديرُ حِلمــه أمــا شقَّ للدنيــا مجاري سَرابِهــا ؟
إذاً ، فهو سلطانُ الخفافيش ، ما جرَتْ على شَرطــه ، في سَعِيها ورقابِهــا
وما النّاسُ إلّا كالخفافــيش مِلّــةً متى عُقِلَتْ في بُعدهــا واقترابِهــا ؟
وما الشّعرُ إلّا من عطاياه وحدَه تأبَّطهــا مخبـــوءةً في جِرابِهـــا
فيعطي ، ولا يُعطَى ، مُشيحاً ومُقبِلاً على ظهر عَشواءَ جَرَت وجرى بها
ويَرتجِلُ التّاريخَ كالشّعــر محدَثــاً فيصنــعُ للدّنيــا جديــدَ إهابِهــا
ويُلغــي مساعِيها تَليــداً وطارفــاً ومــا أثمرتْ في أمنِهــا واحترابِهــا
وما اقتاتَ إلّا من بقايا طعامِهــا ولا عاش إلّا من فضول شرابِهـــا
ولكنَّــه ذَرْقُ الخفافـــيشِ لم يزل ينازعُهــا ميراثَهــا والمَشابِهـــا
وما هو إلّا الذّرقُ ، والذَّرقُ وحدَه تراكَــم في أوكارهــا وعِيابِهـــا
ومــا هو إلّا لُوثَـــةٌ ضاع بابُهـــا ومفتاحُــه إذْ أحــدثتْ في ثيابِهـــا
فإن أخطأتْ في سيرهـا وتَعَثَّـــرتْ فقد كان هذا السُّمُ من صُنع نابِها
ألا ليتَ أوكار الخفافــيشِ عَلَّــمتْ نُسورَ الحِمى ما فاتها في انتهابِهـــا
فتــلك يقينــاً للهياثِــمِ غايـــةٌ من السَّبق لم تَنهضْ لإدراك قابِهـــا
تعالَوْا إلى دنيا الخفافيش ، وانظروا كؤوساً خَلَت من خمرها وحَبابِهـــا
وروضاً بلا وَردٍ ، ووَرْداً بلا شَذاً ومسرحَ زهرٍ غُيِّبتْ في سَحابِهـــا

لَغَاضَ الحِجَى والفنُّ والذّوقُ والهوى إذا ساد في الدّنيا نعـيبُ غرابِهـا

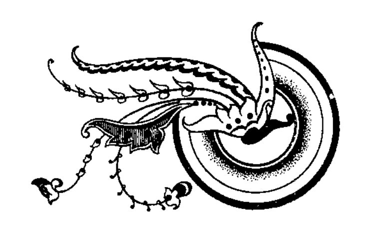
وهـانَتْ مراقي الصّاعديـن إلى العُلى إذا أُنكـر اللّاهـون ضوءَ شِهابِهـا

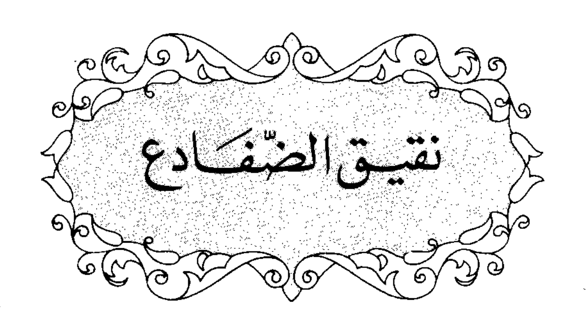
مهـازلُ هذا الدَّهـر كُثْـرٌ وشرُّهـا صغائرُ لا يُسليكَ خوضُ صعابِها

وقـد بدأ الخفـاشُ بالـذّرقِ قِصَّةً تعجَّلَـه مَقـدُورُه فانتهى بها

وجَلَّ الذي أُوْلَـى الخفافيشَ كلَّ ما أقـام لدنياهـا مَضاءَ حِرابِهـا

إلى حيث لا تُنْجِي السّلامةُ راضِخاً لِما أعقبتْـه من تَجَـرُّعِ صابِهـا





لولا بقايا « مزاميرٍ » و « ألـواحِ » لم تبقَ « ريمةُ » يوماً بعد « مِشْكاح »[1]

فَلْتَهْـنَ بالإرث يَستبقِـي بذِكـرِهما جهـادَ كُفئَيـنِ ضرّاطٍ وسَلاّحِ

وبوركَتْ حلقـاتُ الذِّكر بينهمـا نقشاً على الماءِ يَستعصِي على الماحي

من أينَ يا شطحاتِ السُّكْرِ جئتِ بها شعراً ، تحيَّـرَ منه منطقُ الصّاحـي ؟

نقَّتْ ضفـادعُ غَيْـلٍ فاستطـارَ لها فيمـا رأت بعَماها ، ألـفُ تِمساحِ

سبحانَ واهبِ هذا الضَّعفِ سَطوَتَـه في غائصٍ من فُضولِ الماء ضَحضاحِ



(١) ريمة ومشكاح : ثنائي هزلي .. زوج وزوجة .



جُوزيف

جوزيفُ ، هل خابَ الفتى أم أصابْ وفاتَه ، أم نال شرطَ الـــنِّصابْ ؟
وخاضَهـــا معركـــةً ، أخصبَتْ أم أجـــدَبَتْ ، لم يَكُ منها مآبْ ؟
غابت رُؤى الــحُسنِ وأحلامُــه منــذ رأى السَّبـاحُ تلكَ الشِّعـابْ
سيَّـــانِ مَن يَغــرق في رملهـــا مستأنياً ، أو يَستقلّ السَّحـــابْ
هِمْنـا بأسرارِ الهوى ، والهَـــوى ضلالـــةٌ من دونها ألـــفُ بابْ
والحبّ وَهْــمٌ لا يراه الـــذي يَنشُدُه من بعدِ خَلــع الثّيـــابْ
وقـد عَلَت سِنُّكَ ، يا صاحبـــي وإنْ تَقُلْ : ما زلتُ غَضَّ الإهابْ
فالدّرسُ عِبْءٌ ، والحِجى عَثْرةٌ والدَّربُ وعرٌ ، والأمانـيْ كِذَابْ

* * *

جوزيـفُ ، عِشْ وآنهضْ بأثقالِهـا معمعةً ، يُفصَل فيها الخِطـــابْ
واحمِلْ على رِجلَـيْكَ كلتيهمـــا وقـــلْ لنـــا : ماذا وراءَ السَّرابْ ؟
فقـد قضَينـــا العمـــرَ في غفلـــةٍ رمَت بنـا في ظلُمات الـــعُصابْ
البـــيتُ ، والأولادُ ، والمنتهَـــى نهايـــةٌ مُثقَلَـــةٌ بالعـــذابْ
والسُّهدُ ، والجَهدُ ، وضَنْكُ السُّرَى إلى قشورٍ ، ليس فيها لِبـــابْ
« لكنّهـــا يَعْنُـــو لها الــــ..........ـصّاحِي ، كما يَعنو صريعُ الشَّرابْ »[1]

---
(١) التفعيلات ناقصة .

قد أذعــنَ النّـــاس لها قبلَنــــا ... خطيئةٌ ، قد ضاع فيها العِتــابْ
فَرِحتَ في يومِك ، لكنّنِــــــي ... شعَرتُ بالعقــل كبيــرَ المصابْ
عَسَاكَ إذْ هِمتَ بها غايـــــةً ... راعــيتَ فيها سنَّــةَ الإنتخــابْ

* * *

جوزيفُ ، قد أصبحتَ ذا أسرةٍ ... فاجعل (لِزَنبيلِكَ) فَصْلَ الخِطابْ
واحرِص على صُلبك لا يَنثني ، ... وادعَمْه ، وآرْفِدْه بمَضْغِ السَّذَابْ[1]
واحــذرْ من الهمّ « وأسبابِــه » ... فإنّهـــا تنمـــو نمُوَّ الذّبـــابْ
ودَعْ دراساتِك ، واقــــذِفْ بها ... من جالـقٍ ، فَهْي نذيرُ الخرابْ
وأحرِقِ الكــتْبَ ، فإنْ بِعتَهــا ... فلا تَدَعْ في البيت منها كِتــابْ

* * *

جوزيــفُ ، ماذا يَبتغــي طامــعٌ ... من سعيِه بعد الهوى والشّبابْ ؟
ها أنتَ من بيــتك في جَنَّـــةٍ ... تَزينُهـــا جِنيَّـــةٌ ذات (كابْ)[2]
تُنسيك عهـداً مُجدِبـــاً عِشتَــه ... في وَقدة الحِرمان بين الصِّحابْ
تَجـــول في الأسواق تجتاحُهـــا ... في نظرةٍ تَنْقَضُّ مثلَ العُقـــابْ
خلفَ الصّبايا يبتدِرْنَ الخُطـــى ... مثلَ ظِباءٍ نفَــرَت من ذئـــابْ
وأنت تنسلُّ جريءَ الخُطـــــى ... وقـد بدا في شفتــيك اللّعـــابْ

* * *

جُوزيفُ ، هل أمضِي إلى غايتي ... من قصَّة الماضي مدًى لا يُجابْ ؟
أم أكتفـــي منها بما سُقتُـــه ... مَباذلاً زحــزَحْتُ عنها النّقــاب ؟

---

(١) السَّذاب : نبتٌ طيب الرائحة .

(٢) كاب : معطف طويل تلبسه المرأة فوق ثيابها .

جوزيفُ ، ما أحلى المُنى لو وَفَتْ صدقاً ، وما أسمى الهوى لو أثابْ
كنتَ ، ومـــازلتَ صديقـــاً له بين أحـاسيسٍ صدًى مُستَجـابْ
فادفـع إلى اليُمنِ مطايا الهُـــدى وعُـدْ بما ترجـو مَليءَ الوِطـابْ[1]

* * *

جوزيـفُ ، ما غايـةُ هذا السُّرى طاحت به أحلامُنـــا في يَبــاب ؟
إلى متـــى نسعـــى ولا نهتـــدي وفيـمَ نَستـرضي الرِّيـاحَ الغِضاب ؟
وظلمـــةُ اللّيـــلِ متـــــى تنتهي والفجـرُ لا يُدنِيه منّا ارتقـــابْ ؟
أبَتْ مساري الأينِ أنْ تنـــقضي ونحنُ فيها هدفٌ للعِقـــــابْ
لَعنـةُ (سيزيـفَ) أطافت بنـــا وصوتُـه الوانِـي بنـــا قد أهـــابْ[2]
وقصَّةُ الصخـرة لا تَبْلـغُ القمَّـــ.........ـةَ إلّا انحدَرَت للتّـــــــرابْ
قِصتُّنـــا ، في عَيْشِنـــا ، ذاتُهـــا بين مرامي جُهدِنـــا والطِّـلابْ
تحدو بنـــا الآمالُ نحو الـــذُّرى حتـــى إذا ما آذنَت باقتـــرابْ
هَوَت بنـــا الأقـــدارُ غلّابـــةً إلى سفـــوحٍ تستعيـــد الغِـلابْ

* * *

جوزيـفُ ، إنّ العـــيش دُوّامَـــةٌ تخبَّـــطَ السبَّـــاحُ فيها ، فغـــابْ
ما الحيُّ فيها غيـــــرُ فُقّاعـــةٍ تَذوبُ في لحظتِها كالحَبـــــابْ
هل هي مَلهـــاةٌ نَعِمْنَـــا بها ؟ أم هي مأساةٌ تَفـيضُ اكتئـــابْ ؟

---

(١) الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن ، ويصنع من جلد ، والمراد به هنا الجعبة .

(٢) سيزيف : اسم لرجل حلّت عليه اللعنة في الأساطير الإغريقية ، وحكم عليه بنقل صخرة من أسفل الوادي إلى أعلى الجبل ، فهو يحملها على ظهره بصعوبة . يصعد بها ، حتى إذا كاد يبلغ القمة هوت الصخرة إلى الوادي ، وعاد من جديد يحملها ويصعد بها ، إلى يوم الدين .

صِراعُنـــــا بينهمـــــــا دائبٌ ضاقت به أقدامُنـا .. والرّقـــابْ

* * *

جوزيـفُ ، ما أُسهبتُ لكنّهـــا ثرثـرةُ اللّاهـي إذا ما استطــابْ
أو إنها قصَّةُ (لا مُنْتَمـــــــي) تجنَّبَ النـاسَ ، وصافَـى الكـلابْ[1]
وعـــــاد من رحلتـــــه خاسراً يَنـعَب من آثارهـا ، كالغــرابْ
فراحَ في إثْـــــرِ صديـــــقٍ له فاصطـاده بعدَ طويـل الغيـابْ
فانهالَ بالقـــــــول على رأسه كأنَّـــه عاصفـــةٌ فوق غابْ

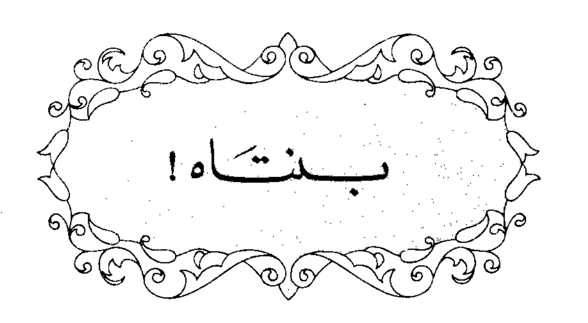
* * *

جوزيفُ ، إن ضِقتَ بها فاحتمِلْ حظَّكَ منها ، فَهْي بعضُ الثَّوابْ
فطالما أثخَـنتَ فينـا ضُحـــىً إلى مغيبِ الشمس ظُفْراً ونـابْ
كنّـــا ضحايـاكَ سِنينـاً مضَتْ وكان في وُسعِك ألّا تُصابْ
وقـــد تَصيَّـــدَتكَ ، في ليلـــةٍ جاد بها قيدُك خلف الحِجاب
لا انفكَّ عنك القَيدُ حتى ترى الـ.........أولادَ من حولك ملءَ العِيـــابْ
مشتغِــــلاً عنّـــا بهم ، راسبـــاً أو طافياً فوق متـــونِ العُبـــابْ

* * *

جوزيـفُ ، قد صِرتَ إلى غايــة تُشبِــــهُ فيها جُرَذاً ، في جِرابْ
تأبى انطلاقـــــاً ، فإذا رُمتَـــــه جَرَّتْكَ من ذيـلِك كفُّ الرَّبــابْ
فعُدتَ رهـنَ القيـدِ ، لا تَرتَجِـي منـه خلاصاً قبـــلَ يومِ الحسابْ

(١) اللامنتمي : رواية كتبها « كولن ولسون » ونالت شهرة عالمية ، وترجمت إلى كثير من لغات العالم ، والشاعر هنا يشرح خلاصتها .



بـــنتـَــاه!

يا بنتـــــاهُ : أديــــــري رأسَكِ
في أُفُــــق الأحــــــلام
وانتظــــــــري – مثلي
أن يتحقَّـق – حُلـمٌ منها
سيطولُ الليل .. نَعَم سيطول
ولكـنْ ليس إلى غيـرِ نهايـة
لم يَمُتِ الفجــــرُ
والنّـــــور وَلُــــود
والصّمتُ المطبِقُ ينسُجُ في بطءٍ
أكفانَ الظلمةِ بألوفِ الأيـدي
يَغزِلُ راياتٍ .. تحملُ شاراتِ الإصرار
والصَّمتُ عنيــدٌ يا بنتــــاهُ
والصّبرُ رمادٌ تكمُن فيه النّار
وسكونُ القرية مفتاحُ الأملِ الموعود
ما زالَ يُلجلجُ في الأقفالِ الصَّدِئة
ويحرّكُها من نومٍ طال

وطاحَ بها عَبْرَ الأجيال

بِنتاهُ : سيعلو الهمسُ رويداً

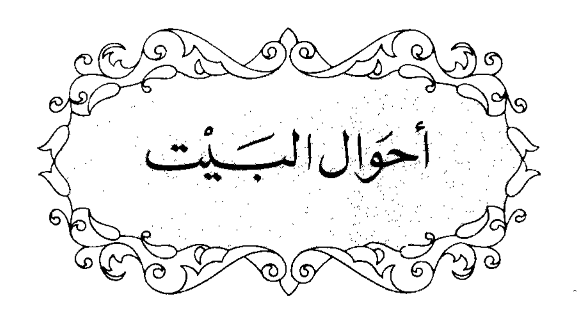
ويقـــودُ السَّيْـــــــلَ

ويجرِف أغلالَ الأوهام

وسيغسِلُ كلَّ دروب القرية ويطهِّرها

وتُغنّي للأطفال نشيـدَ العيـد





أحوال البيْت

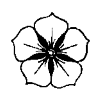
وكما تركتِ البيتَ مازالا قَلَقاً ، وأعباءً ، وأطفالا
و « معاركاً » بين الصّغار غَدَا حُلُم النّظام بهنَّ أطلالا

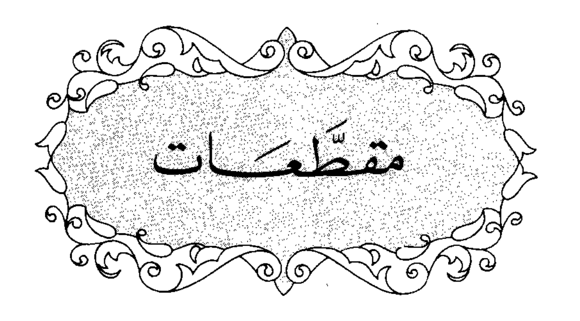
* * *

أخَذَتْ كتابي . ضَيَّعَتْ قلمي شدَّتْ يدي ، قَفَزَتْ على ظهري
ذاتُ الحياة .. وربّما اختلفتْ عما كرهتِ ، ونحن لا ندري

* * *

فإذا الصّباحُ أطلَّ خضناها حرباً يكون وَقودَها أختي
هدى تقول : حذاؤها ضاعا زُلفى تسائلُ : أين مَرْيَلَتي ؟
وسهامُ تبحث عن حَقيبَتِها وتصيحُ ليلى : لم أجدْ قلمي
فتجـــيبها نجلا بدمـــعتها وأنا صحوتُ فلم أجد كتبي
فإذا انصرَفْنَ تقوم معركة ويَجِدُّ أهل البيت في الطَّلَب





مقطّعات

يا ربّةَ البيتِ ، ماذا خلفَ رَونَقِهِ آلـــــبادي من النّقصِ والتّنقيص والقَذَرِ ؟
جَلَّتكِ أمُّك للبعلِ الذي اجتذَبت مرضيّةَ الحُسن والأخلاقِ والبَصرِ
وكاتَمَتْه على عِلم بحاجته ما تحتَ ظاهرِك المجلوِّ من غَرَرِ
حتّى تكشّفتِ عن نُكرٍ تخوَّفه مذْ كان يخبط بين الخُبْر والخَبَرِ
فإن أطاقَكِ أحنى العبْءُ كاهلَه وإن أراقَك لم يَسلم من الهَذَرِ
يا لِلحياةِ ، أراغَ الصَّفوَ ناشدُها فلم تَقُد خطوُه إلا إلى الكدَرِ
لا يتّقي عاقلٌ محتومَ غايتِه بما تعوَّدَ من خوفٍ ومن حذَرِ

* * *

يا خاطبَ الظّبيةِ الحسناءِ محتقِباً عنها الأحاديثَ ، ماذا خلفَ ظاهرها ؟
لا تطلبِ الحسنَ تجلوه مفاتنُها واطلبْه حُسنَ خَلاقٍ في معاشرها
فربَّ فاتنةٍ يُخفي مقابحَها عن نظرة المتمنّي وشيُ مئزرها
الحسنُ مطلبُ أيامٍ يقصّرها عَجْزُ المليحةِ عن إشباع ساترِها
ويا بقيّةَ حزمٍ كنتُ أدّخرُها مضى بها ، غيرَ ساعٍ ، حظُّ قامرِها
ماذا عليكَ ، وشرُّ الخَطوِ أعجلُه لو اتّأدْتَ قليلاً في بوادرها
كانت نشيدةَ ملتاحٍ تعجَّلها وراح يحمل إصراً من جرائرها

* * *

وقالو : تزوّجْ غيرَ ذاتِ جهالةٍ تفُزْ بهواها خُلَّةً ومُشاكلا

فجاءتْ كما شاء النَّصيحُ أريبةً وزادت فكانت خَلّةً ومَشاكلا

مَلِلْتُ هواها زينةً وصَباحةً لئن ضِقتُ ذرعاً بالطَّوى وشمائلا

لقد كان شرّاً أن طلبتُ عشيرةً ورأياً على طول التردّد قائلا

يلوم على أني تشاءمتُ صاحبي ولو أمكن الخطوُ الكسيحَ تفاءلا

ألا شَدَّ ما يوهي قُواكَ مبغَّضٌ تَراهُ ، وقد أوليتَه الصَّرمَ واصلا

* * *

على أيّ حالَينا من العيش نلتقي زهادةِ سالٍ ، أم نهايةِ مخفِق ؟

وأيَّ ضلالات العواقب يَرتجي سَؤومٌ متى عاطيتَه الودَّ يَصْعَقِ

عثرتَ ، وما كان اختيارُكِ فطنةً فيالكِ من خرقاءَ سِيقتْ لأخرقِ

بأيِّ ملاذٍ من عَنائكِ أحتمي وأيَّ سجاياكِ البغيضةِ أتّقي ؟

فما كنتِ إلا صفقةَ الغبنِ باطناً على ظاهرٍ مما اصطنعتِ مُزَوَّقِ

* * *

تُباهينَ جهلاً بالجَمال ، وإنّه ذخيرةُ لهوٍ لا تَدوم لمنفقِ

وما الحُسنُ عندي غيرُ ملهاةِ عابثٍ إذا لم يَزِنْه طِيبُ مَسعًى ومنطقِ

وما حُسنُ أنثى جانبَ البعلُ بيتَها وجافاه ، لم يحفِل ، ولم يتشوّقِ ؟

لَشَرٌّ الذي ألقاه منكِ ودادةً تنازِعُني أشلاءَ صبرٍ ممزَّقِ

تَهيمين بي ؟ لو كنتِ ماءً لِعفتُه على ظمأٍ ، والموتُ يُلوي بمخنقي

رُوَيْدَكِ ، ما أُجزيكِ بالحبّ صَبوةً وما هيَ إلّا رحمةُ المتصدّقِ

ألا ليت يوماً لاظني بكِ لم يكن   فما أنتِ إلّا الدّاءُ حاقَ بمحلقِ

* * *

كلا اثنيهما فيما أباديكِ مُرمِضي   جهامةُ آلٍ ، أم عداوةُ مبغضِ

وما صبرُ مثلي عند بلهاءَ يستوي   لديها سروري طافحاً ، وتقبّضي

لها منزلٌ عافته نفسي قذارةً   تحوّلَ عنه كالحاً كلُّ أبيضِ

وما عرفتْ من شأنها فيه غيرَ ما   تُزَيّنُهُ من مُذهَبٍ ومُفضَّضِ

لكِ الويلُ ما تحلو عروسٌ بثوبها   لدى بعلِها فيما تَنِدّ وتنتضي

ولكن بأخلاق ومسعاةِ ناشطٍ   لعيدٍ بلبسِ العيش ريانَ ، فانهضي

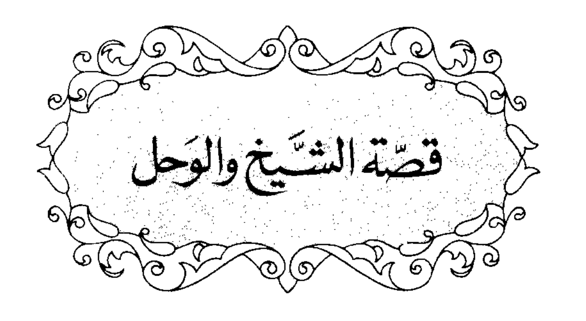
جزيتُكِ بالحبِّ الذي تزعمينَه   إشاحةَ مغبونٍ ونُفرةَ مُعرِضِ

فما فيكِ لِلمُلتاجِ رِيٌّ يُسيغُه   وقد غصَّ إلا آهة المتمرض

فأيَّ أمانيِّ الهوى فيكِ أقتضي   وأيَّ مرازي طبعِكِ الكَزِّ أرتضي ؟

لقد كان رأيي في اختيارِكِ عثرةً   فمَن لي وقد خارت قُواي بمُنهِضِ ؟





قصّة الشَّيخ والوَحل

طرقتُ - فما أذِنَتْ - بابَها ... ولمَّتْ على العَهرِ جِلبابَها

فدُرْتُ برأسيَ عَبرَ الفضاءِ ... أذكّرُ نفسِي بما رابها

وقال أبو واصِلٍ : إنَّها ... مراسيلُ ، تعرب ركّابَها

ودانت له مصعَباتُ الكلام ... فأنسَى الجماعةَ نُدّابَها

وأثخَنَ في مخطِئي دَربِه ... إلى « قصّة » كان بَوّابها

وأيقنتُ أنّ حياءَ الكريم ... رذيلتُه ، عند مَن عابَها

وما صحَّ عند أبي واصل ... خلا رحلةٍ في الدجى جابَها

فصار بها من ليوثِ الشَّرى ... وزاد ، فنازعها غابَها

ولم يجهلِ الشّيخُ أسبابَها ... فهل يعرِفُ الشيخُ إعرابَها ؟

أما خاضها بعدُ في درعه ... فعاد يكابر أوصابَها ؟

وفي ذيله قطعةٌ لم تَعُد ... فهل عِلم الناسُ ما نابَها ؟

قد انتزعَتْها يدا ناشئٍ ... غريرٍ ، فرجَّل هَدَّابَها

وهيّأ منها له ، لحيةً ... تُطاوِلُ في المَعْزِ أترابَها

وألصقَها بأبي واصل ... حصاناً تطارد ، طلاّبَها

فما ظفرتْ بالذي ناوشَت ... ولا لحقتْ بالذي هابها

وظلّتْ تقود أبا واصل ... إلى وِجهة أخطأ قابَها

* * *

ألا يا أبـــا واصِلٍ إنّهـــا مشاربُ تقتـــــل شُرَّابها

وإنّ الفضائلَ ليست طِلـــىً تُعاطيكَ دنيــاكَ أكوابَهــا

ولكنّهـــا قِمـــمٌ ما سَمَت ليبلغَ جُهـــدُك ، محرابَهـــا

فأنتَ لحانـــاتِك الراويـــاتِ تَفــيءُ ، وتَلثُــم أعتابَهـــا

فتَجزيكَ عبثاً على أخدَعَيْك مآثـــمُ ، تشرب أنخابَهـــا

وما أنتَ فيها ، ولا أنتَ منها سوى حَوْبَة خاب من حابَها[1]

وقد أخلفَتْك حقولُ المنى فكيـف تَوقّـيكَ أجدابَهـــا ؟

* * *

حِسانُ المعالي ، أبـا واصل ، شُكـولٌ ، تماثِلُ أضرابَهـــا

وتُضرِبُ عن شبُهات الهوى ولـو أنكـرَ النـاسُ إضرابَها

ولـو سَفِـــهَ المالُ والأغنيـــاءُ وفلسفـةُ الشيـــخ أترابَهـــا

وأنّ العفـافَ وطهـرَ النفـوس فضائـلُ تُضنِـيكَ أربابهـــا

وتعرفُ في الفقر .. في كِبره وإنكـارِه الآثِمِ - خطّابَهـــا

بلى ، إنّهـــا يا أبـــا واصل مصاعـــيبُ تُرهِب أقتابَهـــا

وأنّ الحيـاةَ التـي أخطـــأتْكَ وأخطَأْتَهـا ، سمَّـرت بابَهـا

زحـفتَ إليها ، على ركبتيك وأعـدَدتَ للقـوس نُشّابَهـــا

فهـا أنتَ في وحلهـا . حيّـةٌ على جسمهـا سلّطتْ نابَهـا

خسرتَ الشّيوخة ، بعد الشباب وكم خزيـةٍ كنت كسّابَهـــا

* * *

(١) الحوبة : الإثم .

دواعي الهوى ، يا دواعي الهوى جَفَوْنا ، ولم نألُ ، أصحابَها

أيرقصُ شيخُكِ بين الظباء نديماً ، يعاقرُ أسرابَها ؟

ويُسرِجُ فروتَه للصّغار ليغسِلَ بالمال ما شابَها ؟

تخيَّرَ غايتَه ، وانتهى إليها ، فكحَّلَ أهدابَها

وقدَّمها هِبةً تُشتَهى وأثقلَ بالخير .. أوطابَها

وما الخيرُ عند أبي واصل سوى نعجةٍ .. كان حَلّابَها

ففاءتْ إليه ، وقد أنجبتْ فقاسمها الشّيخُ إنجابَها

* * *

هَلَا بقفاكَ أبا واصل لدنيا ، تُواكِبُ أقطابَها

ومرحَى لأيامك الباقياتِ تَهزُّ المَواطِرُ ميزابَها

ذممتَ لماضيكَ إيجازَها فها أنتَ تحمَدُ إطنابَها

* * *

عرفْنا بطونَ الهوى والحرام فما نُنكرُ ، الغدَ ، إخصابَها

وأعراقُها فيك أعرافُها ذيولٌ توشّح أنسابَها

وتسري بها في تخوم (البلاد) نواصبَ ، تكفر أنصابَها

* * *

ألا عاشَ فينا أبو واصل حياةَ ذوي الفضل أوشابَها

يعاطي العشيرةَ أيامَها ويَروي المضاربَ آدابَها ؟

ويكشفُ للنّجم عن إبطِه إذا نافر النجمَ ، أو نابَها ؟

فيُـخلي الهواءُ له دربَـه   وتَحني الشوامخُ أصلابَها ؟

فيَـمضي لِطيّتـه راشداً   جهيرَ العقيرة ، خلّابَها

يقـود الطبيعـةَ من ذيلها   قويٌّ العـزيمة ، غلّابَها

فما قادها في غبار الزمان   غنـيٌّ ، تحسَّسَ أبوابَها

كما كان في فقره حيث كان   يدافعُ عن ذقنه ، عابَها

ولكنّـه زمـنٌ كافـرٌ   يراجـع في توبـةٍ تابَها

* * *

هَيَا مُلهياتِ الغِنىَ والشّراب   حَسِبْنَ المعـاركَ أسلابَها

إذا هَزَأَ المجدُ بالأدعيـاء   وأنكـرَتِ الأرضُ أوشابَها

وقامت على مشهدِ الضاحكين   بطـونٌ تغامِـزُ أعقابَها

أَلِكْـنَ أبـا واصل مَربِطـاً   يَقيـه الحيـاةَ وآرابَها

فما كان مذهبُـه يومَ راح   إلى بُغيـةٍ لَمَّ أسبابَها

ولم تكُ أوبتُـه حيـنَ آبَ   سوى خيبةٍ عاقرٍ خابَها

على أنّها خطوةٌ في الظّلام   أدارت ، على اللصّ ، أثوابَها

فإنْ سَتَـرَ اللّيـلُ آثارَها   فقـد فضحَ الصّبحُ جلّابَها

ويا ليتَها لطُفَتْ في العِقاب   بلِحيتِه .. والـذي انتابَها

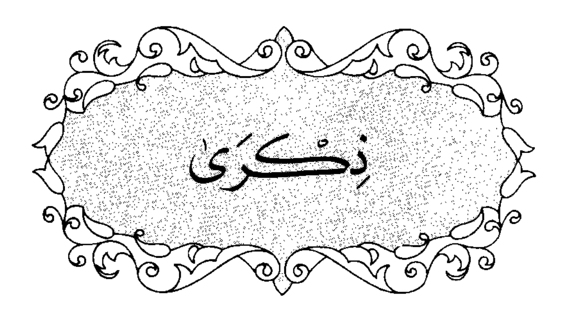
وحسْبُك مزرأةً في اللّحى   ذقـونٌ تُسوّدُ أذنابَها

وأنّ رؤوساً أدلَّت بها   تَدوسُ – لتشبعَ – ألبابَها

* * *

نعـم ، إنّهـا وثَبــاتُ الهوانِ تَشَمُّ ، فتعـرفُ ، وثّابَهــا
فيـا قصةَ الوحـل أيـن الختـامُ بديـلٌ لمن جُرِّعـوا صابَهــا
ألـيس سوى أنّ تلك اللّحى تعــيشُ لتعــرضَ ألعابَهَــا ؟
أسى العقلِ في رَوْحَـةِ راحَهـا أسى العقـل في أَوْبَـةِ آبَهــا





ذِكْرَى

سألتُ اللّيلَ عن عهدِ التي أهوى وذِكراها

وعن مَسْراه عَبْرَ الصَّمت ، مبتهلاً لِمسراها

وعن نَجواه في نجوايَ ، ترتقبانِ مَرآها

وعن أعيادِنا احتفلت ، مفاتنُها بلُقياها

وعن مَسرى خُطاها في الطّريق تدورُ عيناها

روَاها الرَّمل بالشّاطئ للموج ، فغنّاها

تساجَلَ حولَها النّسماتُ ، أسماعاً وأفواها

وأطرقَ – لا يجيبُ اللّيل . في مأساتِه تاها

وقال الصَّمتُ ، ما أشجَتْ به الكلماتُ معناها

بلى يا ليلُ ، إنَّ الحبَّ أشقانا وأشقاها

وعاقت خَطوَها الأقدارُ عن محراب مغناها

تُضيء بظلّهِ الصّلواتُ مشرقةً محيّاها

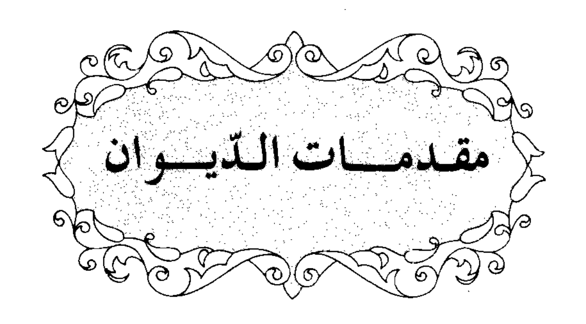
وتُفعِم جوَّه القدسيَّ بالترتيل عيناها

وتَفرِشُ أرضَه بالزّهر في الأسحار خدّاها

لقد ذهبَتْ ، وقام الصَّمتُ يُجْهِشُ في مُصلّاها

* * *





الغــزل

الوجدانيـــات

الملاحـم

المتنـوعـات

★ ★ ★

دار الأصفهاني للطباعة بجدة
رقم الترخيص ١٨ ص - ١٣٩٣/٤/٥هـ